

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

IN THE NAME OF ALLAH THE MOST BENEFICENT
THE MOST MERCIFUL





مركز الإمام الحسين للإداريات التخصصية

العتبة الحسينية المقدسة

IMAM HASAN (P.B.U.H) CENTER FOR SPECIALIZED STUDIES
IMAM HUSSEIN HOLY SHRINE

مجلة من علماء السنة



مجلة نصف سنوية تصدر عن
مركز الإمام الحسين للإداريات التخصصية

اسم المجلة:مجلة الزكي العلمية
المؤلف:مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصصية
الطبعة:الأولى
سنة الطبع:٢٠٢٢
الكمية:٢٠٠٠
الناشر:مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصصية
التصميم والإخراج الفني:وحدة الإخراج الفني

Emial: Alzaki@imamhassan.org
Telephone: 00964 780 335 8020

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد ٢٥٦٨ لسنة ٢٠٢٢

هياة التحرير

المشرف العام
الشيخ عبد المهدي الكربلائي

رئيس التحرير
السيد كاظم الخراسان

هيئة التحرير
الشيخ قيس العطار
الشيخ حيدر القرشي
الشيخ محمد حسين النجفي
الدكتور محمد نوري
الدكتور رضا عرب
الدكتور قاسم شهري

الهيئة الاستشارية
السيد محمد علي بحر العلوم
السيد ضياء الخباز
الدكتور ستار الاعرجي
الدكتور علي حجي
الأستاذ عبد الكريم الدباغ

ضوابط النشر في مجلة الزكي

ترحب هيئة تحرير مجلة الزكي العلمية بكتابات الباحثين والباحثات من داخل العراق وخارجه في ما يختص بالإمام الحسن المجتبي عليه السلام ضمن شروط النشر أدناه:

- ١- يخضع البحث المُقدم لتقييم لجنة علمية مختصة.
- ٢- يكون تقديم وتأخير البحوث في المجلة اعتمادا على الظروف الفنية المتبعة.
- ٣- أن تكون البحوث مشتملة على المنهجية العلمية وغير منشورة سابقا.
- ٤- يُسلم البحث الى المركز او يرسل عبر البريد الالكتروني alzaki@imamhassan.org مصفوقا على برنامج الورد وان لا يقل عن (١٠) صفحات ولا يزيد عن (٤٠) صفحة في الحالات الاعتيادية).
- ٥- يُثبّت عنوان البحث على الصفحة الاولى بالإضافة الى اسم الباحث الكامل ولقبه العلمي (إن وجد) وفي حال اشتراك أكثر من باحث في بحث واحد تذكر اسماؤهم جميعا.
- ٦- تمتلك المجلة البحوث المقدمة إليها وهي غير ملزمة بإعادتها للباحثين سواء نُشرت او لم تُنشر ولها الحق في إعادة نشرها وطبعها بكتاب او ضمن كتاب أو ترجمتها إلى لغة أخرى مع حفظ الحق العلمي للباحث.
- ٧- إرسال نبذة عن السيرة الذاتية للباحث مع رقم الهاتف والبريد الالكتروني.
- ٨- تمنح مكافئة تقديرية لكل باحث بعد طباعة بحثه.

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين؛ محمد و آله الطيبين الطاهرين، واللّعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين، آمين رب العالمين.

مازالت المواضيع المرتبطة بالإمام الحسن المجتبي عليه السلام خصبة وثرية بالمزيد من البحوث والكتابات، لبيان الأحداث والمواقف التي تزخر بها حياته المباركة، وشرح وتفسير جواهر الحكمة من كلامه.

ورغم كلّ ما يحمله الإمام الحسن المجتبي عليه السلام من إرث حضاري وفكري، فإننا لا نعدم الرأي لو قلنا: إنّ الكتابات في حقّه خجولة لا تتناسب والأدوار التي اضطلع بها في حياته المباركة، والتي تُعدُّ حياة استثنائية بكلّ ما للكلمة من معنى.

ولعلّ موضوعة الشبهات المثارة حول حياته عليه السلام - والتي بدأت في بدايات العصر العباسي، وتوسّعت مع توسّع نفوذه - أخذت المساحة الأكبر في الكتابة عنه، وبالتالي أعطت النظرة الأولى للقارئ عن هذه الشخصية الإسلامية العظيمة من دون تفصيل في المحطّات المهمّة من حياته.

ومن هنا جاء دور مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصصية، التابع للعتبة الحسينية المقدّسة، بالكتابة والاستكتاب في المواضيع الأكثر أهميّة في حياة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، أو تلك التي لم يُكتب فيها، وإصدارها في كتب وموسوعات وبحوث ودراسات، إضافة إلى نشاطات حسنيّة أخرى.

حيث وُفقنا لإنشاء أول مكتبة مختصة بحياة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، والتي تحتوي على جُلِّ ما كُتِبَ عن الإمام الحسن عليه السلام بمختلف اللّغات، وإقامة الندوات العلميّة والدورات التعليميّة، والعشرات من المجالس العزائيّة والمهرجانات الشعريّة، وإنتاج المئات من الملقّات الصوتيّة والمرئيّة، وإصدار آلاف التصاميم الفنيّة، بالإضافة إلى مواقع الإنترنت وصفحات التواصل الاجتماعيّ التي تصدح بذكر الإمام الحسن المجتبي عليه السلام.

هذه الأعمال التي وُفقنا لها كانت برعاية ومباركة ومتابعة سماحة المتولّي الشرعيّ للعتبة الحسينية المقدّسة؛ العلامة الحجّة الأستاذ الشيخ عبد المهدي الكربلائيّ دامت بركاته، الذي كان وما زال يتابع أعمال المركز بدقّة متناهية، ويوليه اهتماماً بالغاً، ويحجّنا دائماً على المزيد من

كلمة العدد

الأعمال والمشاريع التي ترفع ولو شيئاً بسيطاً من ظلامه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام.

وهذه المجلة هي واحدة من المشاريع الهامة للمركز؛ حيث إنّ المجالات العلميّة تمثل أوعية فكرية محورية يمكن الاستفادة منها في نشر أفضل البحوث والمقالات، كما يمكن الاستشهاد بما تحويه من معلومات فريدة، إضافةً إلى اكتساب الخبرات العلميّة المتعدّدة من الكُتّاب المشاركين فيها.

ونأمل من خلال مجلة الرّكبيّ العلميّة تقديم حياة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، وعطاءه الفكريّ، وحياته المليئة بالأحداث، من خلال قراءات جديدة للتأريخ والسيرة؛ حيث إنّ الفترات الزمنيّة التي مرّت على الإنسان، كان للتأريخ فيها ذكر مفصّل، ولرواياته قول فصل؛ لأنّ الأمم والمجتمعات التي تروم التقدّم وتسعى إليه، لا يمكنها تحقيق مبتغاها ما لم تستلهم لحاضرها ومستقبلها من الماضي المخزون في ذاكرة التأريخ، ولهذا السبب تأتي أهميّة الحفاظ على التراث الفكريّ والحضاريّ الذي تتناقله الأجيال لتوثيق المعرفة وعدم ضياعها أو الدسّ فيها.

المحتويات

١١	الدكتور احمد راسم النفيس	الإمام الحسن بن علي <small>عليه السلام</small> خليفة للمسلمين
٣٥	الشيخ قيس العطار	شعر الإمام الحسن بن علي <small>عليه السلام</small> بصنعة أبي الحسن المدائني
٧١	السيد عاراء الموسوي	السَّيِّدُ الْمُعَظَّمُ الْحَسَنُ الْمُثَنَّى بْنُ الْإِمَامِ الْحَسَنِ الْمُجْتَبَى <small>عليه السلام</small>
١٠١	الشيخ محمد جواد المحموري	التعددية الفكرية في جيش الإمام الحسن المجتبي <small>عليه السلام</small>
١٢١	الدكتور أحمد فاهمه يار	دراسة في تاريخ بناء قبة الإمام الحسن بن علي <small>عليه السلام</small> بالبقيع
١٤٧	الشيخ عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبى	علاقة شيعة عرب البحرين بالإمام الحسن السبط <small>عليه السلام</small>
١٦٣	تحقيق ر. الشيخ أمين حسين بوري	فضائلُ السَّبْطِ الْأَكْبَرِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْمُجْتَبَى سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا بِرَوَايَةِ الْحَاكِمِ الْجِسْمِيِّ (٤١٣-٤٩٤هـ)
١٩٩	الشيخ محمد باقر ملكيان	هل كان الإمام الحسن <small>عليه السلام</small> مطلقاً؟!
٢١٧	تحقيق السيد كاظم الخراسان	بنو هاشم، وبنو أمية والحسن ومعاوية
٢٥١	عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي البغدادي (٢١٤ ٢١٧)	سيّد شباب أهل الجنة الإمام الحسن <small>عليه السلام</small>

الإمام الحسن بن علي
عليه السلام
خليفة للمسلمين

الدكتور
احمد راسم النفيس

ملخص المقالة

يتناول هذا البحث إثبات خلافة الإمام الحسن ؑ في منهج جديد، ويبيّن الفرق بين الحكم الإلهي والحكم السلطوي، وقد استطاع الكاتب أن يثير تساؤلات جديدة حول خلافة الإمام الحسن ؑ في المتلقي، ويُجري مقارنةً بين خلافته ؑ وخلافة أمير المؤمنين علي ؑ، ويعرض لنا على سبيل المثال الموقف الذي تعرّض له الإمام علي ؑ عندما أُجبر على قبول التحكيم، ردّاً على الذين يستغربون محاولة قتل الإمام الحسن ؑ، وتواصل الخونة مع ابن آكلة الأكباد، وعرضهم استحلال دمه، وتسليمه إلى عدوّ الله وعدو رسوله، وقد استشهد المقال ودعم كلّ ذلك في منهجه بآيات وروايات من الشيعة والعامّة.

وقد أثبت أنّ الإمامة هبة وفضل إلهي يمنُّ بها الله على من يشاء، وجعلها الله ودیعة عند أهل بيت النبي ﷺ.

الكلمات الأساسية: الإمامة، الإمام علي ؑ، الإمام الحسن ؑ.

المقدمة

لما قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ في عام ٤٠ هـ بايع المسلمون بالخلافة للإمام الحسن بن علي ؑ؛ حيث يروي ابن الأثير: وكان أول من بايعه قيس بن سعد الأنصاري، وقال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه وقاتل المحلين، فقال الحسن ؑ: على كتاب الله وسنة رسوله فإنهما يأتيان على كل شرط، فبايعه الناس، وكان الحسن ؑ يشترط عليهم: أتكم مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت.

قال الشيخ المفيد: ولما قبض أمير المؤمنين ؑ بايعه أصحاب أبيه على حرب من حارب وسلم من سلم.

وبعد أن بويع له خطب الإمام الحسن بن علي ؑ صبيحة الليلة التي قبض فيها أمير المؤمنين ؑ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله وآله، ثم قال:

«لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله ﷺ فيقيه بنفسه، وكان رسول الله ﷺ يوجهه برايته فيكنفه جبرئيل ؑ عن يمينه، وميكائيل ؑ عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله على يديه، ولقد ثويي ؑ في الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم ؑ، وفيها قبض يؤشع بن نون وصي موسى ؑ، وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه، أراد أن يتنازع بها خادماً لأهله»، ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه.

ثم قال: «أنا ابن البشير، أنا ابن التذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، أنا ابن السراج المنير، أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، أنا من أهل بيت افترض الله حبهم في كتابه؛ فقال عز وجل:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾^(١) فالحسنه مودتنا أهل البيت»^(٢). ثم جلس، فقام عبد الله بن عباس - رحمة الله عليه - بين يديه فقال: معاشر

الناس، هذا ابن نبيكم ووصي إمامكم فبايعوه. فاستجاب له الناس وقالوا: ما أحبه إلينا وأوجب حقه علينا، وتبادروا إلى البيعة له بالخلافة وذلك في يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة.

فرتب العمال وأمر الأمراء، وأنفذ عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - إلى البصرة، ونظر في الأمور^(٣).

وسار معاوية نحو العراق ليغلب عليه، فلما بلغ جسر منبج تحرك الحسن ؑ وبعث حُجر بن عدي فامر العمال بالمسير، واستنفر الناس للجهاد فتأقلموا عنه، ثم خف معه أخلاط من الناس، بعضهم شيعته له ولأبيه ؑ

١-الشورى: ٢٣

٢-الارشاد، المفيد ٢: ٨.

٣-المصدر نفسه ٢: ٨.

وبعضهم مُحْكَمَةٌ [أي من الخوارج رافعي شعار إن الحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ] يُؤَثِرُونَ قتالَ معاويةَ بكلِّ حيلةٍ، وبعضهم أصحابُ فتْنٍ وطمعٍ في الغنائم، وبعضهم شُكَّاكٌ، وبعضهم أصحابُ عصبيةٍ اتَّبَعُوا رؤساءَ قبائلهم لا يرجعون إلى دين، فسارَ حتى أتى حَمَامَ عُمَرَ، ثم أخذَ على دَيْرِ كَعْبٍ فنزلَ سَابَاطَ دونِ القَنْطَرَةِ، وباتَ هناكَ.

فلَمَّا أصبحَ أرادَ ﷺ أن يمتحنَ أصحابَه ويستبرئَ أحواكِمَ في الطَّاعَةِ له، ليتميَّزَ بذلكَ أوليائُه من أعدائه، ويكونَ على بصيرةٍ في لقاءِ معاويةَ وأهلِ الشَّامِ، فأمرَ أن يُنادى في النَّاسِ بالصَّلَاةِ جامعَةً، فاجتمعوا، فصعدَ المنبرَ فخطبهم فقال: «الحمدُ لله بكلِّ ما حمده حامدٌ، وأشهدُ أن لا إلهَ إِلَّا اللهُ كلِّما شهدَ له شاهدٌ، وأشهدُ أن محمداً عبدهُ ورسوله، أرسله بالحقِّ، واثمنه على الوحي ﷺ».

أما بعدُ: فواللهِ إني لأرجو أن أكونَ قد أصبحتُ بحمدِ اللهِ ومنه وأنا أنصحُ خلقِ اللهِ لخلقِهِ، وما أصبحتُ محتملاً على مسلمٍ ضعيفاً، ولا مُريداً له بسوءٍ ولا عاتلةً، ألا وإنَّ ما تُكرهونَ في الجماعةِ خيرٌ لكم ممَّا تُحبونَ في الفرقةِ، ألا وإني ناظرٌ لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تُخالِفوا أمرِي، ولا تُردُّوا عليَّ رأيي، غفرَ اللهُ لي ولكم، وأرشدني وإياكم لما فيه المحبَّةُ والرِّضا»^(١).

فنظرَ النَّاسُ بعضهم إلى بعضٍ وقالوا: ما تروونه يُريدُ بما قال؟ قالوا: نَظُنُّه والله يُريدُ أن يُصالحَ معاويةَ ويُسلِّمَ الأمرَ إليه، فقالوا: كفرَ اللهُ الرَّجلُ، ثم شدُّوا على فُسطاطِهِ فانتهبوه حتى أخذوا مُصَلَّاهُ من تحتِهِ، ثم شدَّ عليه عبدُ الرحمن بن عبدِ اللهِ بنِ جَعَالِ الأزدِيّ فنزعَ مطرْفُه عن عاتِقِهِ، فبقي جالساً متقلِّداً السَّيفَ بغيرِ رداءٍ. ثم دعا بفرسه فركبَه، وأحدقَ به طوائفٌ من خاصَّتِهِ وشيعتِهِ ومنعوا منه من أرادَه، فقال: «ادعوا إني ربيعةٌ وهمدانٌ»، فدعوا له، فأطافوا به ودفعوا النَّاسَ عنه، وسارَ معه شوبٌ من النَّاسِ، فلَمَّا مرَّ في مُظلمٍ ساباطَ بدرٍ إليه رجلٌ من الخوارج فأخذَ بلجامِ بغلتهِ ويديه مغولٌ وقال: اللهُ أكبرُ، أشركتَ يا حسنٌ كما أشركَ أبوك من قبل، ثم طعنه في فخذه فشقَّه حتى بلغَ العظمَ، فاعتنقه الحسنُ ﷺ وحرَّاً جميعاً إلى الأرضِ، فوثبَ إليه رجلٌ من شيعةِ الحسنِ ﷺ يُقالُ له: عبدُ اللهِ بن حَظَلِ الطَّائِي - فانتزعَ المغولَ من يده وحضَّضَ به جوفه، وأكبَّ عليه آخرُ يقالُ له: ظبيان ابنِ عمارة - فقطعَ أنفهَ فهلكَ من ذلكَ، وأخذَ آخرُ كان معه فقتل^(٢).

وحملَ الحسنُ ﷺ على سريره إلى المدائنِ، فأنزلَ به على سعدِ بنِ مسعودٍ التَّقْفِيَّ.. واشتغلَ بنفسِهِ يُعالِجُ جرحه، وكتبَ جماعةً من رؤساءِ القبائلِ إلى معاويةَ بالطَّاعَةِ له في السِّيرِ، واستحثَّوه على السِّيرِ نحوهم، وضمَّنوا

له تسليم الإمام الحسن ؑ إليه عند دُثُوبِهِم من عسكرِهِ أو الفتك به^(١).

وبلغ الحسن ؑ ذلك.. فازدادت بصيرةُ الحسن ؑ بخذلانِ القوم له وفسادِ نياتِهِم.. ولم يبقَ معه من يأمن غوائله إلا خاصة من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين ؑ، وهم جماعة لا تقوم لأجناد الشام.

فكتب إليه معاوية في الهدنة والصُلح، وأنفذ إليه بكتب أصحابه التي ضمّنوا له فيها الفتك به وتسليمه إليه، واشترط له على نفسه في إجابته إلى صلحه شروطاً كثيرة، وعقد له عقوداً كان في الوفاء بها مصالح شاملة، فلم يتفق به الحسن ؑ وعلم احتياله بذلك واغتياله، غير أنه لم يجد بداً من إجابته إلى ما التمس من ترك الحرب وإنفاذ الهدنة، لما كان عليه أصحابه ممّا وصفناه من ضعف البصائر في حقّه، والفساد عليه، والخلف منهم له، وما انطوى كثيرٌ منهم عليه في استحلال دمه، وتسليمه إلى خصمه، وما كان من خذلان ابن عمه له ومصيره إلى عدوه، وميل الجمهور منهم إلى العاجلة، وزهدهم في الآجلة.

فتوثق الحسن ؑ لنفسه من معاوية لتأكيد الحجّة عليه، والإعذار فيما بينه وبينه عند الله عزّ وجلّ وعند كافة المسلمين، واشترط عليه ترك سب أمير المؤمنين ؑ والعدول عن القنوت عليه في الصلوات، وأن يؤمن شيعته - رضي الله عنهم - ولا يتعرّض لأحدٍ منهم بسوء، ويوصل إلى كلّ ذي حقّ منهم حقّه، فأجابته معاوية إلى ذلك كلّّه، وعاهده عليه، وحلف له بالوفاء به^(٢).

كما يروي ابن الأثير في الكامل: تسلّم معاوية الأمر لخمس بقين من ربيع الأول من هذه السنة، وقيل: في جمادى الأولى، وقيل: إمّا سلّم الحسن الأمر إلى معاوية لأنه لما راسله معاوية في تسليم الخلافة إليه خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «إنّا والله ما يثنينا عن أهل الشام شكّ ولا ندم، وإمّا كنّا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فشيبت السّلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم في مسيركم إلى صفين ودينكُم أمام دنياكم، وأصبحتم اليوم ودينكُم أمام دينكُم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون له، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره، وأما الباقي فخاذل، وأما الباقي فثائر.

ألا وإنّ معاوية دعانا لأمر ليس فيه عزٌّ ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله عزّ وجلّ بظُبا السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضى». فناداه الناس من كل جانب: البقية البقية! وأمضى الصلح.

ولمّا عزم على تسليم الأمر إلى معاوية خطب الناس فقال: «أيها الناس، إنّما نحن أمراءكم وضيّفانكم، ونحن أهل بيت نبيكم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، وكرر ذلك حتى ما بقي في المجلس إلا من بكى حتّى سُمِعَ نَشِيْجُهُ.

وكانت خلافة الحسن عليه السلام على قول من يقول: إنه سلّم الأمر في ربيع الأول خمسة أشهر ونحو نصف شهر، وعلى قول من يقول: في ربيع الآخر يكون ستة أشهر وشيئاً عليه السلام وعلى قول من يقول: في جمادى الأولى يكون سبعة أشهر وشيئاً، والله تعالى أعلم^(١).

تعليق

يقول تعالى ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ مَنْ كَانَتْ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

لا نرى جديدا فيما واجهه الإمام الحسن بن علي عليه السلام من ظروف دفعته للتفاوض مع ابن آكلة الأكباد أولاً، ثم القبول بالصلح الذي عرض عليه بعد أن «كتب إليه معاوية في الهدنة والصلح، وأنفذ إليه بكتب أصحابه التي ضمّنوا له فيها الفتك به وتسليمه إليه، واشترط له على نفسه في إجابته إلى صلحه شروطاً كثيرة، وعقد له عقوداً كان في الوفاء بها مصالحٌ شاملة، فلم يتيق به الحسن عليه السلام وعلم احتياله بذلك واغتياله، غير أنه لم يجده بداً من إجابته إلى ما التمس من ترك الحرب وإنفاذ الهدنة، لما كان عليه أصحابه ممّا وصفناه من ضعف البصائر في حقه، والفساد عليه، والخلف منهم له، وما انطوى كثيرٌ منهم عليه في استحلال دمه، وتسليمه إلى خصمه، وميل الجمهور منهم إلى العاجلة، وزهدهم في الآجلة» حسب وصف الشيخ المفيد رضوان الله عليه في كتاب (الإرشاد).

إنها نفس الأوضاع التي أجبرت الإمام علياً عليه السلام على القبول بالتحكيم رغم رأيه الواضح فيه، ووصفه لهذه الدعوة بقوله: «ناعق نعق إن أجيب أضل، وإن ترك ذل»^(٣)، ورغم أن الدعوة للتحكيم لم يكن لها من هدف سوى إنقاذ المعسكر الأموي من هزيمة محققة؛ حيث كانت طلائع جيش الحقّ توشك على اقتحام مقر قيادة

١-الكامل في التاريخ ٤٠٦:٣.

٢-العنكبوت: ١٦.

٣-فتح البلاغة ١: ٢٣٦/٢ خ ١٢٢.

ابن آكلة الأكباد.

الذين يستغربون محاولة قتل الإمام الحسن ؑ أو يستغربون تواصل الخونة مع ابن آكلة الأكباد، وعرضهم استحلال دمه وتسليمه إلى عدو الله وعدو رسوله ﷺ، عليهم أن يرجعوا إلى ذات الموقف الذي تعرّض له الإمام علي ؑ وهو هو في جلاله ومنزلته عندما أجبر على قبول التحكيم، وأجبر الفارس المغوار مالك الأشتر على إيقاف هجومه النهائي على مقرّ قيادة الكفر والضلال، ودونكم الصورة كاملة.

كانت كتيبة الأشتر توشك على اقتحام مقرّ القيادة الأموي، وبدأ هؤلاء التائهون من معسكر الإمام علي ؑ يلحّون في إيقاف القتال، فأرسل الإمام عليّ ؑ إلى الأشتر يزيد بن هانئ: أن اثني، فأناه فأبلغه، فقال الأشتر: قل له: ليست هذه بالساعة التي ينبغي لك أن تزيلي عن موقفني، إنّي قد رجوت الفتح فلا تعجلني، فرجع يزيد بن هانئ إلى عليّ ؑ فأخبره، فما هو إلّا أن ارتفع الرّهج وعلت الأصوات من قبيل الأشتر، وظهرت دلائل الفتح والنصر لأهل العراق، ودلائل الخذلان و الإدبار على أهل الشام، فقال القوم لعليّ ؑ: والله ما نراك أمرته إلّا بالقتال، فقال ؑ: أرأيتموني شاورت رسولي إليه؟! أليس إنّما كلمته على رؤوسكم علانية و أنتم تسمعون؟! قالوا: فابعث إليه فليأتك وإلّا والله اعتزلناك، فقال: ويحك يا يزيد، قل له: أقبل إلي فإنّ الفتنة قد وقعت، فأناه فأخبره، فقال الأشتر: أرفع هذه المصاحف؟ قال: نعم، قال: والله لقد علمت أمّا حين رفعت ستوقع خلافا وفرقة، إنّها مشورة ابن النابغة، ثم قال ليزيد بن هانئ: ويحك ألا ترى إلى الفتح؟! ألا ترى إلى ما يلقون؟! ألا ترى إلى الذي يصنع الله لنا؟! أبنبغي أن ندع هذا ونصرف عنه؟! فقال له يزيد: أحب أنّك ظفرت هاهنا وأنّ أمير المؤمنين ؑ بمكانه الذي هو فيه يُفْرَج عنه ويُسَلَّم إلى عدوه؟! قال: سبحان الله! لا والله لا أحبّ ذلك، قال: فإنهم قد قالوا له وحلفوا عليه: لترسلنّ إلى الأشتر فليأتينك أو لنقتلنك بأسيا فإنا كما قتلنا عثمان، أو لنسلمنك إلى عدوك، فأقبل الأشتر حتّى انتهى إليهم فصاح: يا أهل الذل والوهن، أحين علوتم القوم و ظنّوا أنّكم لهم قاهرون، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها؟! وقد والله تركوا ما أمر الله به فيها، وتركوا سنّة من أنزلت عليه، فلا تجيبوهم، أمهلوني فوفا فإني قد أحسست بالفتح، قالوا: لا نمهلك، قال: فأمهلوني عدوة الفرس فإني قد طمعت في النصر، قالوا: إذن ندخل معك في خطيبتك، قال: فحدثوني عنكم وقد قيل أمثالكم وبقي أراذلكم، متى كنتم محقين؟! أحين كنتم تقتلون أهل الشام، فأنتم الآن حين أمسكنم عن قتالهم مبطلون؟! أم أنتم الآن في إمساكم عن القتال محقون، فقتلاكم إذن الذين لا تنكرون فضلهم وأنهم خير منكم في النار؟! قالوا: دعنا منك يا أشتر، قاتلناهم في الله، وندع قتالهم في الله، إنّنا لسنا نطيعك فاجتنبنا، فقال: خدعتم والله فانخدعتم، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتكم، يا أصحاب الجباه السود، كنّا نظنّ صلاتكم زهادة

في الدنيا، وشوقاً إلى لقاء الله، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت، ألا فثبثاً يا أشباه النبي الجلالة، ما أنتم برائين بعدها عزّاً أبداً، فابعدوا كما بعد القوم الظالمون، فسبوه وسبهم، وضربوا وجهه دابته بسياطهم وضرب بسوطه وجوه دوابهم، وصاح بهم علي عليه السلام فكفوا^(١).

يستغربون تعرّض الإمام الحسن عليه السلام للخيانة من بعض من كان في معسكره، رغم أنّ الخيانة هي دأب الأعراب الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، ويكفي هؤلاء أنهم نكثوا عهدهم الذي عاهدوا عليه رسول الله ﷺ يوم غدير خم ونقضوا بيعتهم، رغم أنهم جعلوا الله عليها شهيداً!!.

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلُونَ الْأَدْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾^(٢).

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْجُلُوكُمْ اللَّهُ بِئِهِ وَلِيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(٣).

يستغربون من نقض هؤلاء لعهودهم وتربصهم بإمام الحق من آل محمد، بينما هم أسلافهم بقتل رسول يوم العقبه، وأنزل الله في هذه الواقعة الفاضحة قرآناً يتلى إلى يوم الدين، وذلك قوله تعالى ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٤).

إنها الواقعة التي رواها الرواة والمحدثون والمفسرون، ومنهم مسلم في (صحيحه)، قال:

١- وقعة صفين: ٤٩١-٤٩٠.

٢- الأحزاب ١٥-١٧.

٣- النحل ٩١-٩٢.

٤- التوبة ٧٤.

حدثنا زهير بن حرب، حدثنا أبو أحمد الكوفي، حدثنا الوليد بن جميع، حدثنا أبو الطفيل، قال: كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس، فقال: أنشدك بالله! كم كان أصحاب العقبة؟ قال: فقال له القوم: أخبره إذ سألك. قال: كُنَّا نخبّر أنهم أربعة عشر، قال حذيفة: فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر. وأشهد بالله أنّ اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وعَدَرَ ثلاثة قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ ولا علمنا بما أراد القوم^(١).

أما الذين اعتذروا بأنهم لم يسمعوا منادي رسول الله ﷺ أن يسلكوا الوادي ويتركوا المضيق فإنّ اعتذارهم يشير إلى أنّ خطة الاغتيال كانت تقوم على إسقاط رسول الله ﷺ من ظهر دابته من أجل قتله، ثم تقديم المسألة كحادث تدافع أدى لسقوطه وسط الزحام.

أما بقية الروايات التي أوردها مسلم فتشير إلى أمر غريب، وهو الربط بين حرب الجمل ومشروع قتل الرسول ﷺ، مما يطرح سؤالاً عن هوية هؤلاء الأشخاص، وأنهم من المشاهير الذين كانوا طرفاً رئيساً في هذه الحرب.

روى مسلم أيضاً:

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أسود بن عامر، حدثنا شعبة بن الحجاج، عن قتادة، عن أبي نضرة، عن قيس، قال: قلت لعمار: رأيتم صنيعكم هذا الذي صنعتم في أمر عليّ ؑ، أرايا رأيتموه أو شيئاً عهده إليكم رسول الله ﷺ؟ فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة، ولكنّ حذيفة أخبرني عن النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «في أصحابي اثنا عشر منافقاً، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة»، وأربعة لم أحفظ ما قال شعبة فيهم^(٢).

حدثنا محمد بن المثني ومحمد بن بشار (واللفظ لابن المثني)، قالوا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أبي نضرة، عن قيس بن عباد، قال: قلنا لعمار: رأيتم قتالكم، أرايا رأيتموه؟ فإنّ الرأي يخطئ ويصيب، أو عهداً عهده إليكم رسول الله ﷺ؟ فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة، إنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ في أمّتي»، قال شعبة: وأحسبه قال: حدّثني حذيفة.

وقال غندر: أراه قال: في أمّتي اثنا عشر منافقاً لا يدخلون الجنة، ولا يجدون رجحها، حتى يلج الجمل في سم الخياط، ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة؛ سراج من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم^(٣).

١- صحيح مسلم ٨: ١٢٣ / ح ٢٧٧٩.

٢- صحيح مسلم ٨: ١٢٢ / ح ٢٧٧٧.

٣- صحيح مسلم ٨: ١٢٣ / ح ٢٧٧٨.

الذين نقضوا عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدِير خَم بوسعهم أن يفعلوا نفس الشيء مرة إثر أخرى، خاصة وقد وجدوا ضالتهم تحت راية ابن آكلة الأكباد، ولن يصعب عليهم أن يكونوا كالتي نقضت غزها من بعد قوة أنكاثا حسداً من عند أنفسهم وبغياً واستكباراً في الأرض، كما وصفهم أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أَيُّنَ الَّذِينَ رَزَعُوا أُمَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنا، كَذِباً وَبَغِياً عَلَيْنَا، أَنْ رَفَعْنَا اللَّهَ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلْنَا وَأَخْرَجَهُمْ»^(١).

لا تستغربوا خيانتهم وبغيهم، فوفاؤهم بالعهد هو الأغر!!

العقود والمعاهدات بين البشر أصل عظيم من أصول الحياة الإنسانية، والذين يحمِلون المسؤولية لمن جرت خيانتهم، ونقض ما أبرم من التزامات قدمها الخائن، هم شركاء لهذا الخائن ومتواطئون معه، بل ومستهزؤون بالعقد والعهد، ولا يمكن الوثوق بهم أو الاطمئنان لهم أو ائتمانهم على مصير الأمة الإسلامية.

الخيانة جريمة كبرى لا تسقط بالتقادم، وهي ليست جريمة مرتكبة في حق طرف واحد، بل هي خيانة لله ورسوله، وهذا معنى قوله تعالى ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٢).

هي جريمة مرتكبة بحق الذات الإلهية، وليست بحق طرف بشري يسهل الاستخفاف به وإسكاته عن المطالبة بحقه ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ﴾^(٣).

فالوفاء بالعهد والميثاق وفاء لله، والخيانة والغدر مبارزة وإعلان لله تبارك وتعالى بالحرب، وعلى المرء أن يعي ويدرك من يحارب، وعليه أن يتحمل النتائج والتبعات.

الذين خانوا الله سبحانه سيَمَكِنُ منهم إن لم يكن اليوم فغداً ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيْشُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾^(٤) ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾^(٥).

١- نصح البلاغة ٢: ٢٧ / خ ١٤٤.

٢- الأنفال ٧١.

٣- النحل ٩١.

٤- الروم ٥٥.

٥- الروم ٦٠.



الذين يكرِّرونَ وكأنهم يتساءلون: لماذا صالح الإمام الحسن؟ يعرفون الجواب لكنهم يطرحون سؤالهم على سبيل الشتمة والاستخفاف، وأساء منهم من يزعمون أن هذا الصلح جاء بمثابة إقرار بأحقية ومشروعية سلطة ابن آكلة الأكباد، ثم يرجعون إلى بيعة السقيفة المشؤومة ليستخلصوا لها شرعية من العدم، وهذه هي طبيعة منطقهم الأعوج التهافت الذي يريد أن يصنع من العدم أبراجاً وبنائات!!.

وبدلاً من أن يسألوا القاتل: لماذا قَتَلْت، والخائن: لماذا خُنْتُ؟ نراهم يَنْقُضُونَ على المظلوم ويسألونه: لماذا قبلت بالظلم؟ رغم أن جيوشهم كانت ولا تزال حاضرة للانقضاء على المظلوم، وإكمال ما ارتكَبَ بحقه من ظلم وبخس وقهر!!.

خطبة معاوية ورد الإمام الحسن ؑ:

فلَمَّا تَمَّتِ الْهُدْنَةُ عَلَى ذَلِكَ سَارَ مَعَاوِيَةُ حَتَّى نَزَلَ بِالنُّخَيْلَةِ - وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ جَمْعَةٍ - فَصَلَّى بِالنَّاسِ ضَحَى النَّهَارِ، فَخَطَبَهُمْ وَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: إِيَّيَّيَّ وَاللَّهِ مَا قَاتَلْتُكُمْ لَتُصَلُّوا وَلَا لِتَصُومُوا وَلَا لِتَحْجُّوا وَلَا لِتَزْكُوا، إِيَّاكُمْ لِتَفْعَلُوا ذَلِكَ، وَلَكِي قَاتَلْتُكُمْ لِأَتَمَّرَ عَلَيْكُمْ، وَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ ذَلِكَ وَأَنْتُمْ لَهُ كَارِهُونَ، أَلَا وَإِيَّيَّيَّ كُنْتُ مَنِّيْتُ الْحَسَنَ وَأَعْطَيْتُهُ أَشْيَاءَ، وَجَمِعْتُهَا تَحْتَ قَدَمِي لَا أُنِي بِشَيْءٍ مِنْهَا لَهُ.

ثم سار حتى دخل الكوفة فأقام بها أياماً فلما تمت البيعة له من أهلها صعد المنبر فخطب الناس، وذكر أمير المؤمنين ؑ فقال منه ونال من الحسن ؑ - وكان الحسن والحسين صلوات الله عليهما - حاضرين - فقام الحسين ليرد عليه فأخذ بيده الحسن فأجلسه، ثم قام فقال: «أيها الذاكر علياً، أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة وأمك هند، وجدتي رسول الله وجدك حرب، وجدتي خديجة وجدتك قتيبة، فلعن الله أئمننا ذكراً، وأئمننا حسباً، وشرنا قدماً، وأقدمنا كفرةً ونفاقاً»، فقال طوائف من أهل المسجد: آمين آمين (١).

الخلافة والإمامة

بانتهاء خلافة الإمام الحسن بن علي ؑ ونزوله عن السلطة لمعاوية بن أبي سفيان انتهى ذلك اللقاء المؤقت بين الخلافة والإمامة، والذي لم يدم سوى خمسة أعوام ونصف، هي فترة حكومة الإمام علي ؑ والإمام الحسن ؑ من بعده.

بقي الإمام إماماً للدين وهو الأحق بإمامة الدنيا، إلا أن إمامة الدنيا تحتاج إلى أدوات تختلف عن تلك التي

تحتاجها إمامة الدين!!.

إمامة الدين هبة وفضل إلهي يمنُّ بها الله على من يشاء من عباده.

أما السلطة الدنيوية فيمكن أن تكون بالقوة والغضب الجبري!!.

وكما ورد في الأثر: «إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا لِمَنْ يَحِبُّ وَمَنْ لَا يَحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ يَحِبُّ»^(١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ وَلِئِيُوْتِيَهُمْ آتُونًا وَسُرْرًا عَلَيْهَا يُتَّكَلَّمُونَ وَرُحْرُقًا وَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢)

رأينا إذاً كيف ساد التخاذل صفوف المسلمين، وتفرقت كلمتهم، وضعفت نيتهم عن وأد الفتنة في مهدها، مما حتمَّ على الإمام الحسن ؑ إعادة النظر في الموقف كلِّه، والبحث عن خيارات أخرى تحفظ دماء المسلمين، وتحول دون فناء تلك القِلة المؤمنة العارفة بفضل أئمة أهل البيت ؑ ووجوب طاعتهم.

لم يكن الأمر كما يصوِّره البعض الآن إقراراً بشرعية النظام الأموي، ولا تسليمياً بصحة السلطة القائمة على الجبر والغضب والإكراه، ولكنَّها حكمة التعامل مع الأمر الواقع، ولذا اشترط عدَّة شروط أوردها الشيخ الصدوق في كتاب (علل الشرائع)، قال: بايع الحسن بن علي - صلوات الله عليه - معاوية على ألاَّ يسمِّيه أمير المؤمنين، ولا يقيم عنده شهادة، وعلى ألاَّ يتعقَّب على شيعة عليٍّ شيئاً، وعلى أن يفرِّق في أولاد من قتل مع أبيه يوم الجمل وأولاد من قتل مع أبيه بصفين ألف ألف درهم، وعلى أن يجعل ذلك من خراج دار أجرد^(٣).

كما يروي أبو الفرج الأصفهاني، عن سفيان بن أبي ليلي، قال: أتيت الحسن بن علي ؑ حين بايع معاوية فوجدته ببناء داره وعنده رهط، فقلت: السلام عليك يا مدلاً المؤمنين، فقال: «وعليك السلام يا سفيان»، ونزلت فعقلت راحلتي، ثمَّ جلستُ إليه فقال: «كيف قلتَ يا سفيان؟» فقلت: السلام عليك يا مدلاً المؤمنين، فقال: «ما جرَّ هذا منك إلينا؟!»، قلت: أنت والله بأبي أنت وأمي أذلت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة، وسلّمت الأمر إلى اللعين ابن آكلة الأكباد، ومعك مائة ألف كلَّهم يموت دونك، فقد جمع الله عليك أمر الناس، فقال: «يا سفيان، إنا أهل بيت ؑ إذا علمنا الحقَّ تمسكنا به، وإني سمعت عليّاً يقول: لا تذهب

١- تاريخ مدينة دمشق ٤٩: ٨٧.

٢- الزخرف ٣٣-٣٥.

٣- علل الشرائع، الصدوق، ج ١ ص ٢١٢.

الأيام والليالي حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرة، ضخم البلعوم، يأكل ولا يشبع، لا ينظر الله إليه، ولا يموت حتى لا يبقى له في السماء عاذر، ولا في الأرض ناصر، وإنه لمعاوية بن أبي سفيان، وإني عرفت أن الله بالغ أمره»، ثم قال: «ما جاء بك يا سفيان؟»، قلت: حبكم والذي بعث محمدًا بالهدى ودين الحق، قال: «أبشر يا سفيان، فإني سمعت عليًا يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يرد عليّ الحوض أهل بيتي ومن أحبهم من أمتي كهاتين - يعني السبابة والوسطى - إحداهما تفضل على الأخرى، أبشر يا سفيان، فإن الدنيا تسع البر والفاجر، حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمد»^(١).

إنها رواية لا تختلف كثيراً عن تلك التي رواها ابن الأثير في الكامل، قال: ولما سار الحسن من الكوفة عرض له رجل فقال له: يا مسودّ وجوه المسلمين! فقال: «لا تعذلني، فإن رسول الله ﷺ رأى في المنام بني أمية ينزون على منبره رجلاً فرجلاً، فسأه ذلك ﷺ فأنزل الله عز وجل: ﴿تَا أَنْزَلْتَهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ حَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾»^(٢).

الآن مر على هذه الواقعة ١٤٠٠ عام اطمأنّ فيها المجرمون أو توهموا أنّ يد العقاب الإلهي لن تطأهم، «حتى يظنّ الظأنّ أنّ الدنيا معقولة على بني أمية تمخّضهم درّها، وتورّذهم صفوها، ولا يرفع عن هذه الأمة سوطها ولا سيفها، وكذب الظأنّ لذلك بل هي حجة من لذيذ العيش يتطعمونها برهة ثم يلفظونها جملة»^(٣).

ذهبت السلطة (مؤقتاً) لمن أرادها وسعى لها سعيها من أهل الدنيا، ولحق به من لحق طمعاً في فضلاته وغنائمه، وبقيت الإمامة عند أهل الإمامة ﷺ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وصدق الله العلي العظيم ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلِّيهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ﴾^(٤).

١- مقاتل الطالبين، ابو الفرج الاصفهاني، ص ٤٥.

٢- الكامل في التاريخ، ابن الاثير، ٣: ٤٠٨.

٣- نهج البلاغة ١: ١٥٥/ خ ٨٧.

٤- الإسراء ١٨-٢١.

إمامة الدين كانت ولا زالت حاضرة في ضمائر المؤمنين، أما السلطة الدنيوية فهي ظل زائل وعرض لا يدوم، حيث يروي ابن الأثير أيضاً: أنّ معاوية لما دخل الكوفة أشار عليه عمرو بن العاص أن يأمر الحسن ؑ أن يقوم فيخطب الناس ليظهر لهم عيّه، فخطب معاوية الناس، ثم أمر الحسن ؑ أن يخطبهم، فقام فحمد الله بديهة ثم قال: «أيها الناس، إنّ الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بأخرنا، وإنّ لهذا الأمر مدّة، والدُّنيا دولٌّ، وإن الله عز وجل قال لنبيه: ﴿وَإِنَّ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُمْ فِتْنَةً لَّكُمْ وَمَتَّعَ إِلَىٰ حِينٍ﴾»^(١)، فلما تكلم قال له معاوية: اجلس، وحقدها على عمرو وقال: هذا من رأيك^(٢). ولحق الحسن ؑ بالمدينة ومعه أهل بيته، وجعل الناس يكون عند مسيرهم من الكوفة.

كتب بعض الكتّاب عن صلح الإمام الحسن ؑ مع معاوية بن أبي سفيان، متجاهلين كلّ تلك الوقائع التي ذكرناها، والتي ساقّت الإمام الحسن ؑ لاتخاذ قراره التاريخي بوضع الحرب، زاعمين أنّ الأمر كان إقراراً منه بشرعية النظام الأموي المتغلّب.

كما كتب البعض الآخر يدعي أنّ الإمام الحسن ؑ أبرم هذا الصلح ليتفرّغ للزهد والعبادة، وكأنّه سلام الله عليه لم يكن يؤدي الصلاة بسبب انشغاله بالحروب وسفك الدماء!! رغم أنه من أهل بيت مدحه الله عز وجل بقوله ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحَ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾^(٣).

إنها جماعة الراضين بأفعال وجرائم بني أمية، تلك الجماعة التي لا همّ لها إلّا تبرير هذه الجرائم والدفاع عنها، والتشكيك في مواقف أئمة أهل البيت ؑ، ومحاولة نزع الشرعية عنها، وتقديمهم في صورة الشُّكَّاء في أمرهم، وقد نال إمامنا الحسن بن علي ؑ قسطاً لا يستهان به من تلك السهام الشيطانية!!

محاولات تشويه صورة الإمام الحسن ؑ

حاول هؤلاء القوم وبعضهم ممن يلبس العمام، والبعض الآخر ممن يرتدي ثياب الاستنارة المزعومة؛ وكأنّ الاستنارة العقلية لا تختلف عن الإنارة الكهربائية إلّا في موضع تعليق المصابيح هذه فوق الرؤوس وتلك فوق الجدران! إلقاء ظلال من الريبة على مواقف الإمام الحسن ؑ، زاعمين أنّه كان من الرافضين لموقف إمام الأمة وأبي الأئمة علي بن أبي طالب ؑ في قتال الفئة الباغية، وأنّ أمير المؤمنين عليّاً ؑ ونجّه قائلاً: «ما زلت تحن

١-الأنبياء ١١١.

٢-انظر: البداية والنهاية، لابن كثير ٨: ٢٠.

٣-النور ٣٦-٣٧.



حنين الأمة»^(١).

تجاهل هؤلاء أو جهلوا الأدوار التي قام بها الحسنان ؑ في نصرة الإمام وقتال الفئة الباغية، وتجاهلوا أنّ الإمام علي بن أبي طالب ؑ لم يكن راغباً ولا حريصاً على سفك قطرة دم واحدة من دمائه المسلمين حتّى ولو كانت دماء الفئة الباغية، وأتته فعل ما في وسعه وفوق ما في وسعه للحيلولة دون نشوب مثل هكذا قتال، وأن المسؤولية الكاملة في كلّ ما جرى تقع على عاتق هؤلاء الذين انتهكوا كلّ القيم والأعراف والتقاليد من أجل تحقيق أهدافهم الدنيوية الرخيصة والتافهة.

أما عن اندفاع الحسن ؑ نحو القتال والشهادة بين يدي أمير المؤمنين ؑ فيكفي للتدليل عليه ما قاله الإمام علي ؑ في بعض أيام صفين وقد رأى الحسن ؑ يتسرّع إلى الحرب: «أَمَلِكُوا عَنِّي هَذَا الْعُلَامَ لَا يَهْدِينِي، فَإِنِّي أَنَفَسُ مَهْدِينٍ - يَعْني الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ؑ - عَلَى الْمَوْتِ لِمَلَأَ يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٢).

إنه الحسن بن علي بن أبي طالب ؑ الذي قال: «فَوَاللَّهِ مَا أَبَالِي وَقَعْتُ عَلَى الْمَوْتِ أَوْ وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيَّ»^(٣)، وهو أيضاً من قال: «وَاللَّهِ لَأَبْنُ أَبِي طَالِبٍ آتَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطَّلِئِ بِئْذِي أُمَّهُ»^(٤).

دعك إذن من تلك التفسيرات الخبيثة التي لا يكف أدعياء العلم والاستنارة عن ترويجها في حق إمام عظيم من أئمة آل محمد، ضحّى بنفسه من أجل إحياء أمر الدين والأمة، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو فليصمت!!

لم يكن الإمام الحسن بن علي ؑ أقل مضاءً ولا عزمياً على إحقاق الحق وإبطال الباطل من أبيه علي ؑ، ولا من أخيه الحسين ؑ، والفارق بين هؤلاء الأئمة ؑ لم يكن سوى اختلاف الظرف الذي عاشه وعايينه كل منهم، وتبقى المبادئ والأسس التي ساروا عليها كلهم واحدة.

السعي الخبيث الخبيث لإثبات مفارقة وهمية بين الإمامين علي بن أبي طالب وابنه الإمام الحسن ؑ - من خلال تصوير الإمام علي ؑ وكأنه كان وحشاً متعطشاً لسفك الدماء، بينما كان الحسن ؑ رافضاً لقتال أهل القبلة ينفيه - تماماً تزيّت الإمام علي ؑ طويلاً قبل اللجوء إلى استخدام القوة يوم صفين، حتّى أنّ البعض

١- شرح نوح البلاغة، لابن أبي الحديد ١: ٢٢٦. والظاهر أنه نقلها عن الطبري بسنده عن سيف بن عمر التميمي، والتي سيأتي ذكرها وتفنيدها.

٢- نوح البلاغة ٢: ١٨٦ / خ ٢٠٧.

٣- نوح البلاغة ١: ١٠٤ / خ ٥٥.

٤- نوح البلاغة ١: ٤١ / خ ٥.

تذمر من هذا الانتظار، فرد عليهم قائلاً: «أَمَا قَوْلُكُمْ: أَكَلَّ ذَلِكَ كِرَاهِيَةَ الْمَوْتِ؟ فَوَاللَّهِ مَا أَبَالِي أَدْخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ. وَأَمَا قَوْلُكُمْ: شَكَا فِي أَهْلِ الشَّامِ! فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمًا إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِي بِي، وَتَعْتَشُو إِلَى ضَوْئِي، فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا، وَإِنْ كَانَتْ تَبْوُّ بِأَنَامِهَا»^(١).

أما الرواية التي حاول البعض من خلالها الدس والزعم بأنه عليه السلام كان رافضاً لمواقف الإمام علي عليه السلام فهي رواية ركيكة لا تصمد أمام النقد والتمحيص، خاصة بالعودة إلى نصها.

روى الطبري في تاريخه: عن السري، عن شعيب، عن سيف، عن خالد بن مهران البجلي، عن مروان بن عبد الرحمن الحميسي، عن طارق بن شهاب، قال: خرجنا من الكوفة معتمرين حين أتاننا قتل عثمان، فلما انتهينا إلى الربرة - وذلك في وجه الصبح - إذا الرفاق وإذا بعضهم يتلو بعضاً، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: أمير المؤمنين عليه السلام، فقلت: ما له؟ قالوا: غلبه طلحة والزبير، فخرج يعترض لهما ليردّهما، فبلغه أنهما قد فاتاه فهو يريد أن يخرج في آثارهما، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، أتى علياً فأقاتل معه هذين الرجلين وأم المؤمنين، أو أخالفه؟ إن هذا لشديد، فخرجت فأتيته، فأقيمت الصلاة بغلس، فتقدم فصلّى، فلما انصرف أتاه ابنه الحسن فجلس فقال: «قد أمرتك فعصيتني، فتقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك!» فقال علي عليه السلام: «إنك لا تزال تحنّ حنين الجارية، وما الذي أمرني فعصيتك؟» قال: «أمرتك يوم أحيط بعثمان أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قُتِلَ أَلَّا تبايع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا؛ فإن كان الفساد كان على يدي غيرك، فعصيتني في ذلك كلّه».....^(٢)

أول آفات هذه الرواية أنها عن (السري، عن شعيب، عن سيف) وهو من هو، وهو صاحب أشهر أكلوبة في التاريخ، ونعني أكلوبة ابن سبأ أو ابن السوداء.

قال الذهبي في ميزان الاعتدال:

سيف بن عمر الضبي الأسدي - ويقال: - التميمي البرجمي، ويقال: السعدي - الكوفي، مصنف الفتوح والردة وغير ذلك. هو كالواقدي. يروى عن هشام بن عروة، وعبيد الله بن عمر، وجابر الجعفي، وخلق كثير

من المجهولين. كان أخبارياً عارفاً، روى عنه جبارة بن المغلس، وأبو معمر القطيعي، والنضر بن حماد العتكي، وجماعة. قال عباس، عن يحيى: ضعيف. وروى مطين، عن يحيى: فلس خير منه. وقال أبو داود: ليس بشيء. وقال أبو حاتم: متروك. وقال ابن حبان: أنهم بالزندقة. وقال ابن عدي: عامة حديثه منكر.

عبيد الله بن سعد الزهري، عن عمه يعقوب، حدثنا سيف بن عمر، عن وائل أبي بكر، عن الزهري، عن عبید الله، وعن عطية بن الحارث، عن أبي أيوب، عن عليّ، وعن الضحاك، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل بمكة يدهم الظهور، فإذا قالوا: لمن الملك بعدك؟ أمسك لأنه لم يؤمر في ذلك بشيء، حتى نزلت: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾^(١)، فكان بعد إذا سئل قال: لقريش، فلا يجيبونه حتى قبلته الأنصار.

مكحول البيروتي: سمعت جعفر بن أبان، سمعت ابن نمير يقول: سيف الضبي تميمي، كان جميعاً يقول: حدثني رجل من بني تميم، وكان سيف يضع الحديث، وقد أنهم بالزندقة.

أنبأنا أحمد بن سلامة، وأحمد بن عبد السلام، عن ابن كليب، أخبرنا المبارك بن الحسين الغسال، حدثنا الحسن بن محمد الحافظ، حدثنا القطيعي، حدثنا محمد بن يونس، أخبرنا النضر بن حماد العتكي، حدثنا سيف بن عمر السعدي، حدثنا عبید الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي فالعنوهم». رواه الترمذي عن أبي بكر بن نافع، عن العتكي. وقال: هذا منكر. ومات سيف زمن الرشيد^(٢).

أما أبو حاتم الرازي فيقول عنه: سيف بن عمر الضبي. روى عن عبید الله بن عمر العمري. روى عنه عبد الرحمن بن محمد المحاربي، والنضر بن حماد، سمعت أبي يقول ذلك.

حدثنا عبد الرحمن، قال: قرئ على العباس بن محمد الدوري، عن يحيى بن معين، أنه قال: سيف بن عمر الضبي الذي يحدث عنه المحاربي ضعيف الحديث. حدثنا عبد الرحمن، قال: سُئِلَ أبي عن سيف بن عمر الضبي، فقال: متروك الحديث، يشبه حديثه حديث الواقدي^(٣). هذا عند علماء الرجال من العامة!! ناهيك عن أنّ تشبيهه بالواقدي ظلم للواقدي.

١-الزخرف: ٤٤.

٢-ميزان الاعتدال: ٢/٢٥٥: الترجمة ٣٦٣٧.

٣-الجرح والتعديل: ٤/٢٧٨: الترجمة ١١٩٨.

مناقشة المضمون

أما من ناحية المضمون، فكيف لنا أن نصدق أنّ الإمام الحسن عليه السلام يرفض نهضة الإمام علي عليه السلام في مواجهة الناكثين، مع علمه ويقينه بوصية رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، ويوصيه بالعودة قائلاً: «ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطالحوا، فإن كان الفساد كان على يدي غيرك»!!.

ألم يكن الإمام الحسن عليه السلام هو مبعوث الإمام علي عليه السلام من أجل تعبئة أهل الكوفة حينما حاول عبد الله بن قيس (أبو موسى الأشعري) أن يفسدها عليه، وكان أن خطب تلك الخطبة التي دونها المؤرخون:

عقد الإمام الحسن عليه السلام مؤتمراً شعبياً حضره عمار بن ياسر - والرواية لأبي مخنف - فقام الحسن عليه السلام فاستنفر الناس، فحمد الله وصلى على رسوله ﷺ، ثم قال: «أيها الناس، إنا جئنا ندعوكم إلى الله وإلى كتابه وإلى سنة رسوله، وإلى أفقه من تفقه من المسلمين، وأعدل من تعدّلون، وأفضل من تفضّلون، وأوفى من تبايعون، من لم يعبه القرآن، ولم تجهله السنة، ولم تقعد به السابقة، إلى من قربه الله تعالى إلى رسوله قرابتين: قرابة الدين وقرابة الرحم، إلى من سبق الناس إلى كل مآثرة، إلى من كفى الله به رسوله والناس متخاذلون، وقرب منه وهم متباعدون، وصلى معه وهم مشركون، وقاتل معه وهم منهزمون، وبارز معه وهم محجمون، وصدّقه وهم يكذبون، إلى من لم تُرد له راية، ولا تكافأ له سابقة، وهو يسألكم النصر، ويدعوكم إلى الحق، ويأمركم بالمسير إليه، لتوازروه وتنصروه على قوم نكثوا بيعته، وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه، ومثّلوا بعماله، وانتهبوا ماله، فاشخصوا إليه رحمكم الله، فمُروا بالمعروف، وانموا عن المنكر، واحضروا بما يحضر به الصالحون»^(١).

ولا يفوتنا هنا أن ثبت ما ذكره أبو مخنف نقلاً عن تميم بن حذيم الناجي، قال: قدم علينا الحسن بن علي عليه السلام وعمار بن ياسر يستنفران الناس إلى علي عليه السلام ومعهما كتابه، فلما فرغا من قراءة كتابه قام الحسن عليه السلام - وهو فتى حدث والله إني لأرثي له من حداثة سنّه وصعوبة مقامه فرماه الناس بأبصارهم وهم يقولون: اللهم سدد منطلق ابن بنت نبيّنا، فوضع يده على عمود يتساند إليه وكان عليلاً من شكوى به - فقال: «الحمد لله العزيز الجبار، الواحد القهار، الكبير المتعال، ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِوَعْمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِأَيْلٍ وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ﴾^(٢)، أحمده على حسن البلاء، وتظاهر النعماء، وعلى ما أحببنا أو كرهنا من شدة أو رخاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، امتنّ علينا بنبوته، واختصّه برسالته،

١- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ٣: ٢٩٢.

٢- الرعد: ١٠.



وأُنزل عليه وحيه، واصطفاه على جميع خلقه، وأرسله إلى الإنس والجن حين عبدت الأوثان، وأطبع الشيطان، وجحد الرحمن، فصلى الله عليه وعلى آله، وجزاه أفضل ما جزى المسلمين.

أما بعد، فإني لا أقول لكم إلا ما تعرفون، إنَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أرشد الله أمره، وأعز نصره بعني إليكم يدعوكم إلى الصواب، وإلى العمل بالكتاب، والجهد في سبيل الله، وإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون، فإنَّ في آجله ما تحبون إن شاء الله. ولقد علمتم أنَّ علياً صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وحده، وأنَّه يوم صدَّق به لفي عاشره من سنِّه، ثم شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله جميع مشاهدته، وكان من اجتهاده في مرضاة الله، وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله، وآثاره الحسنة في الإسلام، ما قد بلغكم، ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله راضياً عنه حتَّى غمَّضه بيده، وغسَّله وحده والملائكة أعوانه، والفضل ابن عمه ينقل إليه الماء، ثم أدخله حفرة، وأوصاه بقضاء دينه وعداته وغير ذلك من أموره، كُلُّ ذلك من مَنِّ الله عليه.

ثم والله ما دعا إلى نفسه، ولقد تداكَّ الناس عليه تداكَّ الإبل الهيم عند ورودها، فبايعوه طائعين، ثم نكث منهم ناكثون بلا حدث أحدثه، ولا خلاف أتاه، حسداً له وبغياً عليه.

فعليكم عباد الله بتقوى الله وطاعته، والجد والصبر، والاستعانة بالله، والخوف إلى ما دعاكم إليه أمير المؤمنين عليه السلام. عصمنا الله وإياكم بما عصم به أوليائه وأهل طاعته، وألهمنا وإياكم تقواه، وأعاننا وإياكم على جهاد أعدائه، وأستغفر الله العظيم لي ولكم». ثم مضى إلى الرحبة فهياً منزلاً لأبيه أمير المؤمنين.

قال جابر: فقلت لتميم: كيف أطاق هذا الغلام ما قد قصصته من كلامه؟ فقال: ولما سقط عني من قوله أكثر، ولقد حفظت بعض ما سمعت^(١).

تبييض الوجوه السُّود

لا يحتاج أئمتنا عليهم السلام لمن يبيض وجوههم أو يدفع عنهم محاولات التزييف الفاشلة التي أدمنها فلول بني أمية الذين لم يجدوا وسيلة لتبييض سوادهم ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾^(٢) غير التشكيك وإبراز ما يظنونه تناقضات بين الأئمة عليهم السلام.

١- شرح نهج البلاغة ١٤: ١٢.

٢- آل عمران: ١٠٦.

يزعمون أنّ ابن آكلة الأكباد أقام دولة ترعى مصالح المسلمين، وأنه كان سياسياً فذاً، والسياسة عند هؤلاء تعني الغدر والخيانة ونقض العهود والمواثيق.

لم يجد القوم ما يُبيّض وجوه أئمة أهل النار أساطين الكذب والغش والتضليل ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ

الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾^(١) سوى الرقص والتلويح حول الكلمات، وطرح الشكوك والشبهات، فتارة: لماذا صالح الإمام ؑ؟ وتارة أخرى: لماذا ثار الإمام؟ وهكذا، لأنهم ربما يعتقدون أنّ الوقوف على التل أسلم، والأكل من قصعة معاوية أدمس، والصلاة وراء عليّ أتمّ، أمّا أن يتفضّل أحدهم على الناس بجواب أو تفسير: لماذا نحن في ذيل الأمم؟ ولماذا يجد أحفاد معاوية وذراري البطل المغوار صلاح الدين بالركض وراء الصهاينة طلباً للأمان؟ فهذا ليس من واجبه ولا التزامهم!

يقول القرظاوي في كتابه الأعجوبة (تاريخنا المفترى عليه): إنّنا إذا نظرنا إلى خليفة وحاكم مثل معاوية بن أبي سفيان نجده من أعظم حكام العالم، وأقربهم إلى العدل والحكمة، وإمّا نزلت مرتبته لمقارنته بمثل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ؑ في مثاليتهما الرفيعة، ولأنّه انحرف بالحكم عن سنّة الخلافة الراشدة من ترك المسلمين يختارون لأنفسهم أو استخلاف أحد من غير عصبته^(٢).

ثم لا يجد بأساً أن ينقل عن محمد رشيد رضا في كتابه (الوحي المحمدي) عن أحد العلماء الألمان قوله: إنّّه ينبغي لنا أن نقيم تمثالاً من الذهب لمعاوية في عاصمتنا برلين، لأنه هو الذي حوّل نظام الحكم الإسلامي عن قاعدته الديمقراطية إلى عصبية الغالب، ولولا ذلك لعمّ الإسلام العالم كلّهُ، ولكنّا نحن الألمان وسائر شعوب أوروبا عرباً ومسلمين^(٣).

في المحصلة النهائية لا نرى فارقاً يذكر بين موقف الإمامين علي بن أبي طالب والإمام الحسن ؑ ثم موقف الإمام الحسين ؑ من بعدهما، والفارق الوحيد هو في الظروف التي عايشها كلٌّ منهم.

نهاية الموقف:

ولما استقر الصلح بين الإمام الحسن ؑ ومعاوية، خرج الإمام الحسين ؑ إلى المدينة فأقام بها منتظراً لأمر ربه، إلى

١-القصص ٤١-٤٢.

٢-تاريخنا المفترى عليه: ٩٢٩٣.

٣-نفس المصدر ٩٤-٩٥.

أن تمّ لمعاوية عشر سنين من إمارته، وعزم على البيعة ليزيد، فدرّس إلى الإمام الحسن ؑ من سمّه، فبقي ؑ مريضاً أربعين يوماً، ومضى ؑ لسبيله في صفر سنة خمسين من الهجرة وله يومئذ ثمان وأربعون سنة، فكانت مدة إمامته عشر سنين، وتولى أخوه ووصيه الحسين ؑ غسله وتكفينه ودفنه عند جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد منافٍ - رحمة الله عليها - بالبيع.

لقي الإمام الحسن بن علي ؑ ربه شهيداً مظلوماً، سيراً على خطى الأنبياء والأوصياء الذين ضاقت البشرية بهم ذرعاً، ولم تجد وسيلة لإسكاتهم سوى القتل والتصفية الجسدية، وهذا هو دأبهم إلى أن يظهر الحق ويزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً.

المصادر

- ١- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: للشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق وطبع: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.
- ٢- البداية والنهاية: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي البصري الشافعي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، طبع مكتبة المعارف في بيروت ومكتبة النصر في الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٦٦ م.
- ٣- تاريخ الطبري: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق: نخبة من العلماء الأجلاء، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣ هـ.
- ٤- تاريخ مدينة دمشق: لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١ هـ)، تحقيق: علي شيري، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.
- ٥- تاريخنا المفترى عليه: للشيخ يوسف القرضاوي، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٥ م.
- ٦- الجرح والتعديل: لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧ هـ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٩٥٢ م.
- ٧- شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله محمد بن الحسين المدائني المعتزلي (ت ٦٥٦ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثانية، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م.
- ٨- صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)، بيروت، دار الفكر.
- ٩- علل الشرائع: للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، النجف الأشرف، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م.
- ١٠- الكامل في التاريخ، المعروف بتاريخ ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ): لعز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، بيروت، مؤسسة الأعلمي.
- ١١- مقاتل الطالبين: لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ)، تحقيق كاظم المظفر، النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، الطبعة الثالثة، ١٣٨٥ هـ.
- ١٢- ميزان الاعتدال: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٢ هـ.
- ١٣- نهج البلاغة، وهو ما اختاره الشريف الرضي من خطب أمير المؤمنين وكتبه ورسائله وحكمه، تحقيق وشرح: الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
- ١٤- وقعة صفين: لنصر بن مزاحم بن سيار المنقري (ت ٢١٢ هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٢ هـ.



مجلة الزكي العلمية
AL-ZAKI - QUARTERLY AUTHORIZED JOURNAL

نسخة نادرة:

شعر الإمام الحسن بن علي عليه السلام
بصنعة أبي الحسن المدائني المتوفى ٢٢٥ هـ

الشيخ قيس العطار^(١)

الحوزة العلميّة - مشهد المقدسة

١- باحث ومحقّق في التراث الاسلامي، أستاذ في الجامعة الرضوية في مشهد المقدسة.

ملخص المقالة

بعد أن يورد الكاتب نماذج من مكانة الشعر عند أهل البيت ؑ، ويستعرض المناسبات والشواهد الشعرية في أقوالهم، يسرد نماذج من أشعارهم ودواوينهم، ثم يعطف القول في التعريف بنسخة ديوان الإمام الحسن المجتبي ؑ برواية وصنعة أبي الحسن المدائني (ت ٢٥٥هـ)، فيترجم للمؤلف، ويدرس النسخة من حيث النسبة والصحة، فيورد شواهد وأدلة على صحة نسبتها، ورصانة مستواها، كما يدرس الأغراض الشعرية من خلال ذكر نماذج من شعره ؑ.

الكلمات الأساسية: الإمام الحسن المجتبي ؑ - الديوان؛ أبو الحسن المدائني (مؤرخ)؛

أهل البيت ؑ - الشواهد والمناسبات الشعرية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمدٍ وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين، واللجنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

وبعد، فلا يخفى على أحد ما للشعر من دور في بناء ثقافات الأمم عامّةً والأمة الإسلامية خاصّةً، فإنّ الشعر كوّنَ رقماً هاماً فيها، وذلك أنّ تلك الثقافة نشأت في أحضان اللغة العربيّة وانطبعت بطابعها كما تأثرت اللغة العربيّة بشكلٍ ملحوظ بالثقافة الإسلامية.

وكلام العرب ينقسم إلى قسمين: النثر، والشعر، وعدّ بعضهم القرآنَ قسيماً ثالثاً؛ باعتباره ليس كأبي نوع من أنواع النثر العربي، وليس بشعرٍ، لكنّ الصحيح أنّ القرآن المجيد نثر من الطبقة التي لا تجارى، والتي أعجزت بلغاء العرب وفصحائها شعراءً ونائرين.

وقد عُني العرب في الجاهليّة بالشعر أيّما عناية، فكان الشعر ديوانهم، وقد سجّلوا فيه آثارهم ومآثرهم، وتفاصيل حياتهم، وأماكن سكنهم، وعاداتهم وتقاليدهم، وما إلى ذلك من كثير من التفاصيل.

وقد احتلّ الشعر عندهم مكانةً أكبر من النثر، لسهولة قوله، وسهولة حفظه، ولصفاء قرائحهم، ولتشجيع الملوك والرؤساء عليه، ولأنّه أسيرٌ بين القبائل، ولميل الشباب إليه، ولشدة تأثير العربي بالإيقاع الشعري، ولغير ذلك من الأسباب المذكورة في محالّها.

مكانة الشعر عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام:

من هنا ظلّت مكانة الشعر مرموقة عند ظهور الإسلام ونزول القرآن الكريم، إذ تأثّر الشعراء بمفاهيم الإسلام، ولُغته، ومعانيه، وأخلاقه، فكان لهم دورهم الريادي في المنافحة عن الدين الجديد، وثمّ وجدنا مثل قول حسان بن ثابت في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(من الوافر)

وأحسن منك لم ترَ قطّ عيني وأجمل منك لم تلد النساء
خُلِقَتْ مبرّءاً من كلّ عيبٍ كأنّك قد خُلِقْتَ كما تشاء^(١)

ومثل قصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد)، وفيها قوله:

(من البسيط)

يسمى الوشاةً بجنيها وقوهُم
فقلتُ: خلوا سيلي لا أبـا لكم
كلّ ابن أنسى وإن طالـت سلامتُه
يوماً على آله حذباء محمول
أنبت أن رسول الله أوعدي
والعفو عن رسول الله مأمول
إن الرسول لسيفٌ يستضاء به
مهتدٌ من سيف الله مسلول^(١)

ومن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمع النابغة الجعدي بأخبار السقيفة من قيس بن صرمة وعمران بن حصين، فقال لهما: ما فعل أبو حسن علي؟ فقيل له: مشغول بتجهيز النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال:

(من الكامل)

قولا لأصلع هاشم إن أنتما
وإذا قريش بالفخار تساجلت
وعليـك سلّمت الغداة بإمرة
يا خيـر من حملتـه بعد محمد
نكـنت بنو تيم بن مرّة عهدـه
وتخاصمـت يوم السقيفة والذي
لاقيتمـه اهـ لقد حلتـت أرومها
كـنت الجديـر به وكنت زعيمها
للمؤمنين فما رعت تسليمها
أنسى وأكرم هاشم وعظيمها
فتبوات نيراهـم وأجـحيمها
فيه الخصام غداً يكون خصيمها^(٢)

لذلك أفصحت سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام: عن غاية التشجيع للشعر والشعراء، بدعوتهم للمنافة والمدافعة عن الحق، وبدعواتهم له بفنون الدعوات وإكرامهم أحسن الإكرام، وإعطائهم أجزل الأعطيات.

قال ابن قدامة في المغني: والشعر كالكلام؛ حسنه حسنه، وقيحه قبيحه، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إنّ من الشعر لحكماً»، وكان يضع لحسان منبراً يقوم عليه فيهجو من هجا رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمين، وأنشده كعب بن زهير قصيدة (بانة سعاد) في المسجد، وقال له عمه العباس: يا رسول الله إنّي أريد أن أمتدحك، فقال صلى الله عليه وآله: قل لا يفضض الله فاك... وقال عمرو بن الشريد: أردفني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «أمعك من شعر أمية بن أبي الصلت؟» قلت: نعم، فأنشده بيتاً، فقال: هيه، فأنشده بيتاً، فقال: هيه، حتى أنشده مائة قافية... وليس في إباحة الشعر خلاف، وقد قاله الصحابة والعلماء، والحاجة تدعو إليه لمعرفة اللغة والعربية والاستشهاد به في التفسير، وتعرّف معاني كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وآله، ويُستدلّ به أيضاً على النسب والتاريخ وأيام العرب، ويقال: الشعر ديوان العرب^(١).

وقال صلى الله عليه وآله لحسان: «هاجهم - أو اهجهم - فإنّ جبريل معك»^(٢).

وقال الأميني: وكان صلى الله عليه وآله يصوّر للشاعر جهاده وينصّ به ويقول: «اهجوا بالشعر، إنّ المؤمن يجاهد بنفسه وماله، والذي نفس محمد بيده كأتما تنضحونهم بالنبل»، وفي لفظ آخر: «فكأنّ ما ترمونهم به نضح النبل»، وفي ثالث: «والذي نفس محمد بيده فكأتما تنضحونهم بالنبل فيما تقولون لهم من الشعر»^(٣).

وعن عبدالله بن سلمة، قال: كتنا عند عمّار بن ياسر بصفين، وعنده شاعر ينشده هجاءً في معاوية وعمرو ابن العاص، وعمار يقول له: الصق بالعجوزين، فقال له رجل: أيقال الشعر عندكم ويُسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ويُسب أصحاب بدر؟! فقال له عمّار: إن شئت فاسمع وإن شئت فاذهب، فإنّ معاوية وعمراً قعدا بسبيل الله يصدّان عنه، فالله ساجهما وكلّ مسلم، إنّه لما هجانا المشركون شكونا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: «قولوا لهم كما يقولون لكم، فإن كُنّا لنعلّمه الإماماء بالمدينة»^(٤).

وسار أمير المؤمنين عليه السلام على نهج رسول الله صلى الله عليه وآله في تشجيع الشعر والشعراء في الدّبّ عن حريم الإسلام والمسلمين، وقمع الناكثين والقاسطين والمارقين، فبعد أن قال كعب بن جعيل التغلبي - شاعر معاوية في صفين - قصيدة في ذم أهل العراق واتّهام أمير المؤمنين عليه السلام بدم عثمان، دعا أمير المؤمنين عليه السلام شاعره النجاشي فقال له: «إنّ ابن جعيل شاعر أهل الشام، وأنت شاعر أهل العراق، فأجب الرجل»^(٥).

١- المغني لابن قدامة ١٢: ٥٢-٥٣.

٢- مسند أحمد ٤: ٢٩٩.

٣- الغدير ٢: ٧.

٤- أنساب الأشراف: ٣١٦ ح ٣٨٤.

٥- شرح النهج الحديدي ٣: ٨٩.

وكتب عمرو بن العاص كتاباً فيه شعر إلى عبد الله بن العباس يحاول أن يستغويه ويفتله عن ولاية أمير المؤمنين ؑ، قال نصر: فلما قرأ ابن عباس الكتاب أتى به علياً فأقرأه شعره، فضحك ؑ وقال: «قاتل الله ابن العاص، ما أغراه بك؟! يابن عباس أجبه، وليردّ عليه شعره الفضل بن العباس فإنه شاعر»^(١).

وهكذا سائر الأئمة ؑ، بل كان لكلّ منهم ؑ: شاعر أو شاعران أو أكثر، فأما شعراء رسول الله ﷺ فكثيرون، وكذلك شعراء أمير المؤمنين ؑ، فقد أحصينا أكثر من مائتي شاعر من شعراء أمير المؤمنين ؑ وجمعنا شعرهم، وأشهرهم قيس بن عمرو النجاشي شاعر أهل العراق في صفين^(٢).

وأما الإمام الحسن ؑ، فشاعرتة أمّ سنان المذحجية، هكذا ذكر ابن الصبّاغ المالكي^(٣)، وفاته ذكر قيس ابن سعد بن عبادة الأنصاري، وحجر ابن عدي الكندي.

وأما الإمام الحسين ؑ، فشاعره يحيى بن الحكم وجماعة غيره^(٤).

وأما الإمام السجّاد ؑ، فشاعراه الفرزدق وكثير عزة^(٥).

وأما الإمام الباقر ؑ، فشاعراه الكميت والسيد الحميري^(٦).

وأما الإمام الصادق ؑ، فشاعره السيد الحميري^(٧). وفاته ذكر جعفر بن عفان الطائي، ومنصور النمري، وسفيان بن مصعب العبدي الكوفي، وغيرهم.

وأما الإمام الكاظم ؑ، فشاعره السيد الحميري^(٨).

وأما الإمام الرضا ؑ، فشاعره دعبل بن علي الخزاعي^(٩).

وأما الإمام الجواد ؑ، فشاعره حمّاد^(١٠).

١- صفين: ٤١٢.

٢- طبع ديوانه مستقلاً بصنعتنا.

٣- الفصول المهمة: ١٥٣.

٤- الفصول المهمة: ١٧١.

٥- الفصول المهمة: ٢٠١.

٦- الفصول المهمة: ٢١١.

٧- الفصول المهمة: ٢٢٣.

٨- الفصول المهمة: ٢٣٢.

٩- الفصول المهمة: ٢٤٤.

١٠- الفصول المهمة: ٢٦٦.



وأما الإمام المهادي عليه السلام، فشاعراه العوني والديلمي (١).

وأما الإمام العسكري عليه السلام، فشاعره ابن الرومي (٢).

وأما الإمام الحجّة ابن الحسن عليه السلام، فقد كان غائباً، وإلى اليوم كلّ شعراء الشيعة شعراؤه.

المعصومون عليهم السلام: وقول الشعر والاستشهاد به

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مستثنى من هذا البحث، لقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ (٣)، وما ورد موهياً غير ذلك فله أجوبة مقرّرة مذكورة في محالها، وذلك كقوله صلى الله عليه وآله في يوم حنين:

(من الرجز)

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وقوله صلى الله عليه وآله:

(من الرجز)

هل أنت إلا إصبع دमित وفي سبيل الله ما لقيت

وقوله صلى الله عليه وآله:

(من الرجز)

غير الإله قط لا نديننا ولو عبدنا غيره شقينا

فإنّ هذا وأمثاله من الرجز الشبيه بالنثر، ولم يعدّه كثير من العروضيين من الشعر، ولذلك قالوا: شاعر وراجز، ولأنّ الكلام القصير إذا وافق الوزن والقافية صدفة من دون قصد للشعر فليس بشعر (٤)، فلا يكاد يسلم كلام المتكلم طول عمره من أن يكون بعضه على وزن وقافية، دون أن يكون شاعراً، وقد ورد مثل هذا في كلام الله

١- الفصول المهمّة: ٢٧٨.

٢- الفصول المهمّة: ٢٨٥.

٣- يس: ٦٩.

٤- قال البهوتي في كشف القناع ٥: ٢٥ وأما قوله صلى الله عليه وآله «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب» ونحوه فليس بشعر، لأنّه كلام موزون بلا قصد زنته، واتفق أهل العروض والأدب على أنّه لا يكون شعراً إلا بالقصد. واختلفوا في الرجز أشعر أم لا؟».

المجيد، كقوله تعالى: ﴿وَجِيفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَيُخْزِيهِمْ وَيَصُورُهُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾^(٢)، وقوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^(٣)، ولم يخرج الكلام عن كونه قرآنًا ونثرًا^(٤).

أضف إلى ذلك أنّ الدراسات - الحديثة بل والقديمة - تشترط الخيال والتخيّل في الشعر^(٥)، وليس في القرآن ولا كلام النبي صلى الله عليه وآله شيء من ذلك. وتفصيل الأمر موكول إلى محلّه، غير أنّ نهاية المطاف هي أنّ عدم قول للنبي صلى الله عليه وآله للشعر إنّما هو لجهة خاصة.

والذي يهتّمنا هو قول الأئمة عليهم السلام: للشعر، فهل هم ورسول الله صلى الله عليه وآله سواء في عدم قول الشعر أم أنّهم يجوز عليهم قول الشعر؟ وإذا قالوه فهل هو من باب الإنشاء أو من باب الاستشهاد والإنشاد؟ الذي تقتضيه الأدلّة أنّه لم يرد ولا حديث واحد يُجِيل على الأئمة عليهم السلام: قول الشعر أو يمنع منه، فالأصل فيه الإباحة، وإذا ورد في خصوص الرسول الكريم صلى الله عليه وآله المنع لعلّة ما فهذه العلة منتفية في الأئمة عليهم السلام:

قال الراوندي: إنّ النبي صلى الله عليه وآله قد كان يعاف قول الشعر، وقد أمره الله تعالى بذلك لئلا يتوهّم الكفار أنّ القرآن من قبله، وليخلص قلبه ولسانه للقرآن، ويصون الوحي عن صنعة الشعر؛ لأنّ المشركين كانوا يقولون في القرآن: إنّّه شعر، وهم يعلمون أنّه ليس بشعر، ولو كان النبي صلى الله عليه وآله معروفاً بصنعة الشعر لنقموا عليه بذلك وعابوه به^(٦).

وهذه العلة غير موجودة في الأئمة عليهم السلام؛ إذ انتشر الإسلام، وثبت القرآن، وآمن به الناس، ولم يبق من يردّد مقولة المشركين: إنّّه شعر.

إذن منع الشعر عن النبي صلى الله عليه وآله مخصوص بجهة خاتميّته، وكون القرآن معجزه الأكبر، فلكي لا يتطرق له الشكّ والشبهة وطعن الطاعنين منع الله رسوله صلى الله عليه وآله من قول الشعر، وعلة المنع هذه منتفية في الأئمة عليهم السلام.

والذي يؤكّد ذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يكن ينشد أو يقيم حتّى بيتاً واحداً من الشعر، بعكس الأئمة عليهم السلام؛ فإنّهم

١- سبأ: ١٣.

٢- التوبة: ١٤.

٣- الكوثر: ١.

٤- انظر: الخرائج والجرائح ٣: ١٠٥١، والمغني لابن قدامة ١٢: ٥٣.

٥- قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٤: ٤٦٢ وإنما منعه الله تعالى من الشعر ترفيحاً له عمّا في قول الشعراء من التخييل وتزويق القول.

٦- الخرائج والجرائح ٣: ١٠٥١. وانظر: الصراط المستقيم ١: ٦٠.

كانوا يروون الشعر وينشدونه ويستشهدون به في خطبهم وكلماتهم وكتبهم ورسائلهم.

فقد قسم رسول الله ﷺ غنائم حنين في قريش خاصة، وأجزل القسم للمؤلفة قلوبهم كأبي سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وزهير بن أمية، وعبد الله بن أمية، ومعاوية بن أبي سفيان، وهشام بن المغيرة، والأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، في أمثالهم... وقد كان رسول الله ﷺ أعطى العباس بن مرداس أربعاً من الإبل يومئذ فسخطها، وأنشأ يقول:

(من المتقارب)

أتجعل نهبِي ونهب العبيد مديين عيينة والأقرع
فما كان حصن ولا حابس يفوقان شيخخي في الجمع
وما كنت دون امرئٍ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فبلغ النبي ﷺ قوله فاستحضره وقال له: أنت القائل: أتجعل نهي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة؟! فقال له أبو بكر: بأبي أنت وأمي، لست بشاعر، قال: وكيف قال؟ قال: بين عيينة والأقرع... إلى آخر القصة^(١).

وفي رواية: قالوا: يا رسول الله إنما قال: «بين عيينة والأقرع»، فأعادها وقال: «بين الأقرع وعيينة»، فقام إليه أبو بكر حينئذ فقبل رأسه وقال: ﴿وَمَا عَآمَنَهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾^(٢).

وفي رواية أخرى: فقال أبو بكر: «بين عيينة والأقرع»، فقال رسول الله ﷺ: هما واحد^(٣).

وقال ابن عطية الأندلسي: كان رسول الله ﷺ لا يقول الشعر ولا يزينه، وكان إذا حاول إنشاد بيت قديم متمثلاً كسر وزنه، وإنما كان يحرز المعنى فقط، وأنشد يوماً قول طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك من لَم تزوده بالأخبار

وأنشد يوماً وقد قيل له: من أشعر الناس؟ فقال: الذي يقول:

لم ترياني كلما جئت طارقاً وجدت بها وإن لم تطيب طيباً

١- انظر: الإرشاد ١: ١٤٥-١٤٧.

٢- تفسير الثعلبي ٨: ١٣٥.

٣- الدرر، لابن عبد البر: ٢٣٢.

وأنشد يوماً:

أَتَجَمَّلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعَبِيدِ مَدِيٍّ مِنَ الْأَقْرَعِ وَعُيَيْنَةٍ

وقال الحسن بن أبي الحسن: أنشد النبي ﷺ: كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً، فقال أبو بكر وعمر: نشهد أنك رسول الله، إنما قال الشاعر:

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً^(١)

وقالت عائشة: كان يتمثل بشعر أخي قيس طرفة فيعكسه، فقال له أبو بكر: ليس هكذا، فقال ﷺ: ما أنا بشاعر وما ينبغي لي^(٢).

فأما استشهاد الأئمة بالشعر فقد ثبت استشهادهم بالشعر في خطبهم وكلماتهم وكتبهم ورسائلهم. ففي الخطبة الشقشقية تمثل بقول الأعشى:

(من السريع)

شَّـئَانٌ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمٌ حَيَّانٌ أَخِي جَابِرٍ^(٣)

وقال في خطبة له عليه السلام خطبها بعد التحكيم: فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن:

(من الطويل)

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد^(٤)

ومن كتاب له عليه السلام كتبه إلى عثمان بن حنيف الأنصاري عامله على البصرة: أو أكون كما قال القائل:

(من الطويل)

وحسبك داءً أن تبيت ببطنة وحوالك أكباد تحن إلى القيد^(٥)

١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤: ٤٦١.

٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤: ٤٦٢.

٣- نصح البلاغة ١: ٣١ خ ٣.

٤- نصح البلاغة ١: ٨٦ خ ٣٥.

٥- نصح البلاغة ٣: ٧٢ الكتاب ٤٥.



إلى غير ذلك من استشهاده عليه السلام المبثوثة في كتب التواريخ والسير والأدب.

وكتب الإمام الحسن عليه السلام كتاباً إلى معاوية، فيه: أما بعد، فإنك دسست إليّ الرجال كأنك تحب اللقاء، وما أشكّ في ذلك فتوقّعه إن شاء الله، وقد بلغني أنك شمتت بما لا يشمت به ذوو الحجي، وإنما مثلك في ذلك كما قال الأوّل:

(من الطويل)

وقل للذي يبغى خلاف الذي مضى تجهّز لأخرى مثلها فكأن قد
وإنما ومن قد مات منا لكالذي يروح ويمسي في المبيت ليغتدي^(١)

ولمّا وَقَعَ الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية أقام الإمام الحسن عليه السلام بالكوفة أياماً، ثمّ تجهّز للشخص إلى المدينة... فلمّا كان من غد خرج، فلما صار بدير هند نظر إلى الكوفة وقال:

(من الطويل)

وما عن قلّي فارقتُ دار معاشري هم المانعون حوزتي وذماري^(٢)

وقال ابن خلّكان: ولمّا بلغ الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وفاة معاوية بن أبي سفيان وبيعة ولده يزيد بن معاوية، عزم على قصد الكوفة بمكاتبة جماعة من أهلها كما هو مشهور في هذه الواقعة التي قتل فيها الحسين عليه السلام، فكان في تلك المدة يتمثّل كثيراً بقول يزيد بن مُقرغ من جملة أبيات:

(من الخفيف)

لا ذعرت السّوام في غلّس الصّب ح مغيراً ولا دعيث يزيدا
يوم أعطي على المخافة ضيماً والمنابا يرصدني أن أحيدا^(٣)

وخطب الحسين عليه السلام خطبة رائعة في يوم عاشوراء قال فيها: «ألا إنّ الدّعِيّ ابن الدّعِيّ قد ركز بين اثنتين، بين السّلة أو الذّلة، وهيهات منّا الذّلة... ألا إنّني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد، وكثرة العدو، وخذلان

١- مقاتل الطالبين: ٣٣. والبيتان من جملة قصيدة لعبيد بن الأبرص كما في ديوانه: ٦٨.

٢- شرح النهج الحديدي ١٦: ١٧. والشعر لزميل بن أبي الفزاري كما في أنساب الأشراف: ٦٠٩.

٣- وفیات الأعيان ٦: ٣٥٣.

الناصر»، ثم تمثل بأبيات فروة بن مسيك المرادي:

(من الوافر)

فإن نهزم فهزامونَ قِدماً وإن نُغْلَبَ فغير مُغْلَبينا
وما إن طَبَّنا جُبْنَ ولكن منايانا ودولولة آخرينا
إذا ما الموت رَفَعَ عن أناسٍ كلاكِلة أناسٍ بآخرينا
فأفنى ذلكم سرّوات قومي كما أفنى القرونَ الأوّلينا
فلو خَلَدَ الملوكُ إذن خَلَدنا ولو بقي الكرامُ إذن بقينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيقى الشامتون كما لقينا

ثم قال: «أما والله لا تلبثون بعدها إلا كريت ما يُركبُ الفرس حتى تدور بكم دور الرّحى»...^(١)

وقد نَحج هذا المنهج كلّ الأئمّة الاثني عشر، فاستشهدوا بشعر الشعراء في المناسبات والأماكن الملائمة للمقصد الميمثل به بالشعر، بل كانوا يروون الشعر الهادف المتّصل بأعراض الهداية والموعظة والحكمة، فقد قال المأمون للإمام الرضا عليه السلام: هل رويت من الشعر شيئاً؟ فقال عليه السلام: «قد رويت منه الكثير»، فقال: أنشدني أحسن ما رويته في الحلم، فقال عليه السلام:

(من الطويل)

إذا كان دوني من بليثُ بجِهله أيثُ لنفسي أن تُقابِلَ بالجهلِ

فقال له المأمون: ما أحسنَ هذا! من قاله: فقال عليه السلام: «بعض فتياننا»، قال: فأنشدني أحسن ما رويته في السكوت عن الجاهل وترك عقاب الصديق، فقال عليه السلام:

(من الكامل)

إِنِّي لِهَجْرِي الصِّدِيقِ تَجُنَّبَا فَأُرِيهِ أَنْ لَهْجَرِهِ أَسْبَابَا

فقال المأمون: ما أحسن هذا! من قاله؟ قال: «بعض فتياننا»... وهكذا ظلّ المأمون يسأل والإمام يجيبه ويقول: إنّ الشعر لبعض فتيان بني هاشم^(١).

ودخل الإمام الهادي عليه السلام يوماً على المتوكل فقال له: يا أبا الحسن! من أشعر الناس؟ وكان قد سأل قبله ابن الجهم فذكر شعراء الجاهلية وشعراء الإسلام، فلما سأل الإمام عليه السلام قال: عليّ بن محمد الحنّاني حيث يقول:

(من الطويل)

لَقَدْ فَاخَرْنَا مِنْ قَرِيْشٍ عَصَابَةَ بِمِطِّ خُدُودٍ وَامْتِدَادِ أَصَابِعِ

فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْمَقَالَ قَضَى لَنَا عَلَيْهِمْ بِمَا نَهَوَى نِدَاءَ الصَّوَامِعِ

تَرَانَا سَكُوتاً وَالشَّهِيدَ بِفَضْلِنَا تَرَاهُ جَهْرَ الصَّوْتِ فِي كُلِّ جَامِعِ

فقال المتوكل: وما نداء الصوامع يا أبا الحسن؟ قال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، جدّي أم جدّك؟» فضحك المتوكل ثمّ قال: هو جدّك لاندفعك عنه^(٢).

وسكّر المتوكل يوماً وأمر جلاوزته بالهجوم على دار الإمام الهادي عليه السلام، فجاءوا به وكان المتوكل جالساً في مجلس الشرب، فدخل الإمام عليه السلام على المتوكل والكأس في يد المتوكل، فناوله الكأس التي كانت في يده، فقال عليه السلام: «والله ما يخامر لحمي ودمي قط فأعفني»، فأعفاه، فقال: أنشدني شعراً، فقال عليه السلام: «إني قليل الرواية للشعر»، فقال: لا بدّ، فأنشده وهو جالس عنده:

(من البسيط)

بَاتُوا عَلَى قَلِيلِ الْأَجْبَالِ تَحْرَسُهُمْ غُلْبُ الرِّجَالِ فَلَمْ تَنْفَعَهُمُ الْقُلُوبُ

إلى آخر القصيدة، فبكى المتوكل حتّى بلّت لحيتُهُ دموعُ عينيه، وبكى الحاضرون، وضرب المتوكل بالكأس

١- عيون أخبار الرضا ١: ١٨٧/الباب ٤٣ ح ١.

٢- انظر مناقب آل أبي طالب ٣: ٥١٠، وديوان الحنّاني: ٨١.

الأرض، وتغص عيشه في ذلك اليوم^(١).

ولعل الإطالة في سرد الشواهد على ذلك مما يثقل كاهل الأوراق دون كبير فائدة هنا، ففيما ذكرناه من النماذج غني ومقنع.

وأما قولهم الشعر، فقد تواتر عنهم قول الشعر ولو تواتراً إجمالياً، فما من إمام من الأئمة إلا ونُسب إليه شيء من الشعر، وصحّ بعضه بلا أدنى ريب، فقد توافرت المصادر على نقله، ومن هذا الثابت الذي لا يُمتري فيه قول أمير المؤمنين ؑ في غزوة الخندق مجيباً عمرو بن عبد ود:

(من مجزوء الكامل)

لا تعجلنّ ففقد أتما	ك مجيبُ صوتك غير عاجز
ذو نيّةٍ و بصيرة	والصدقُ ينجي كلّ فائز
إنّي لأرجو أن أقي	م عليّك نائحة الجنائز
من ضربتة نجلاء	قى ذكرها عند الهزاهز

وقوله عند مبارزة مرحب بطل اليهود:

(من الرجز)

أنا الذي ستمني أمي حيدرة
أكيلكم بالسيف كيل السندرة
ضرغام أجغام وليت قسورة

قال ابن منظور: قال أبو العباس أحمد بن يحيى: لم تختلف الرواة أنّ هذه الأبيات لعليّ ؑ^(٢).

ومثل ذلك قوله في حزين بن المنذر الذهلي الرقاشي وقد رأى حُسن إقدامه براية ربيعة:

١- انظر البحار ٥٠: ٢١١، وكنز الفوائد: ١٥٩، ووفيات الأعيان ٣: ٢٧١، وتاريخ الإسلام ١٨: ١٩٩، والوفاء بالوفيات

٢٢: ٤٨، والبداية والنهاية ١١: ١٩.

٢- لسان العرب ٤: ٣٨٢ مادة «سندر».

(من الطويل)

لمن راية حمراء يخفق ظلها إذا قيل قدمها حُصَيْنٌ تقدماً

وهي ثلاثة عشر بيتاً، اتفقت - المصادر أو كادت - على نسبتها أو بعضها لأمير المؤمنين عليه السلام.

دوافع قولهم عليهم: الشعر والاستشهاد به

إذن لا ريب في صدور الشعر عنهم عليهم السلام: إجمالاً، والمسوّغ لذلك عدّة أمور:

أولها: وقع الشعر الشديد في النفوس، خصوصاً النفس العربيّة الجياشة التي ربّما رجّحت الموت لبيت من الشعر كما حصل ذلك للمتنبّي شاعر العرب الأكبر^(١).

وثانيها: أنّ من الناس من لا يقع الكلام المنشور في نفسه كموقع الكلام الموزون المقفى، وذلك لتشرب ذهنيته بأشعار العرب ومذاهبهم فيه.

وثالثها: أنّ الشعر أبقى في الذهن؛ لأنّه أسهل حفظاً وأكثر تداولاً من النثر، ومن ثمّ لا يحتاج إلى الكتابة والتدوين كثيراً، بل ينساب من خاطر إلى خاطر دون عناء.

ورابعها: أنّ أعداء أهل البيت عليهم السلام استغلّوا سلاح الشعر أبشع استغلال، فما من خطبة لهم أو كلام يتكلمونه إلاّ ووشّحوه بالشّعر، وما من حاكم إلاّ واتخذ له شعراء لتحقيق مآربه، فقابلهم أهل البيت عليهم السلام بنفس السلاح.

وتبرز هذه الأهميّة في خصوص الإمام الحسن عليه السلام بشكل ملحوظ في احتجاجاته التي كان يحضرها معاوية وابن العاص ومروان وأضرابهم، وكانوا يتشدّقون ويتبجّجون بالأشعار وطول اللسان، وينسبون الإمام عليه السلام - وحاشاه - إلى العمي والفهامة والعياذ بالله، فكان لا بدّ من استخدام نفس السلاح الرادع، لذلك نرى أنّ الجليل الأعظم من شعره عليه السلام هو ما قاله في مثل تلك المناسبات الاحتجاجية.

١- انظر مقتل المتنبّي لتذكير غلامه إيّاه بقوله:

والحربُ الضربُ والقرطاسُ والقَلَمُ الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني

في العمدة ١: ٧٥، ونشوار المحاضرة ٤: ٢٥٠، وبغية الطلب ٢: ٦٨٢.

صنعة الدواوين

بعد كلِّ ما تقدّم نعلم سرَّ عناية القدماء والمحدثين والمعاصرين برواية شعر الأئمة ؑ: وصنعة دواوين لبعضهم. ومن أشهر ما وصل إلينا من شعرهم المجموع هو شعر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ، وشعر الإمام الحسين ؑ، وشعر الإمام السجاد ؑ.

أمّا أمير المؤمنين ؑ

فكان أبو أحمد عبد العزيز الجلودي (المتوفى سنة ٣٣٣ هـ) أقدم من جمع ديوانه.

وجمعه أيضاً الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الفنجركردي (المتوفى سنة ٥٠٠ هـ).

ولابن الشجري (المتوفى سنة ٥٤٣ هـ) ديوان أمير المؤمنين ؑ.

وقد طبع أخيراً كتاب أنوار العقول من أشعار وصي الرسول، جمع قطب الدين الكيدري (المتوفى سنة ٥٧٦ هـ).

وأما ديوان الإمام الحسين ؑ

فقد عُني به منذ القدم أيضاً، وأقدم من تنبّه له ورواه هو أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي (المتوفى سنة ١٥٧ هـ)، لكنّ أوّل من جمعه فيما نعلم هو ابن الخشاب النحوي (المتوفى سنة ٥٦٧ هـ)، وقد وقف عليه علي بن عيسى الإبلي (المتوفى سنة ٦٨٧ هـ)، حيث قال: فأما شعره ؑ فقد ذكر الرواة له شعراً، ووقع إليّ شعره ؑ بخطّ الشيخ عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب النحوي رحمة الله عليه، وفيه:

قال أبو مخنف لوط بن يحيى: أكثر ما يرويه الناس من شعر سيّدنا أبي عبد الله الحسين بن علي ؑ، أمّا هو ما تمثّل به، وقد أخذت شعره من مواضعه، واستخرجته من مظانّه وأماكنه، ورويته عن ثقاة الرجال، منهم: عبد الرحمان بن نجبة الخزاعي، وكان عارفاً بأمر أهل البيت ؑ، ومنهم المسيب بن رافع المخزومي، وغيره رجال كثير...^(١).

وأما ديوان الإمام السجاد ؑ

فله نسخ متعدّدة كثيرة منتشرة في مكتبات العالم، لكنّها متأخّرة التاريخ، وغير جامعة لكلِّ ما نُسب إليه من أشعار.



نعم، توجد نسخة قديمة قوامها جزءان، الأول تاريخه ٢٩٨ هـ، والثاني ٢٩٩ هـ، ذكرها فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي^(١)، والدكتور حسين علي محفوظ في مجلة معهد المخطوطات العربية^(٢)، لكنّ الأغا بزرك شكّك في صحّة هذين التاريخين^(٣). وتوجد نسخة من القصيدة الرائية المرقمة (٢٦) في مركز إحياء التراث في قم برقم (٢٢٨) تاريخها ٧٠٨ هـ، وما عدا ذلك كلّها نسخ متأخرة التاريخ.

وقد طبع ديوانه عليه السلام في ممباي في الهند على الحجر، ونشره ملك الكتاب الميرزا محمد الشيرازي سنة ١٣١٧ هـ بخط الميرزا داود الشيرازي.

وطبع أيضاً بتحقيق ماجد بن أحمد العطية في مؤسسة الأعلمي في بيروت سنة ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.

وطبع بتحقيقنا ضمن منشورات المؤتمر العالمي للإمام السجاد عليه السلام سنة ١٤٣٦ هـ، بنشر الجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام:

ديوان الإمام الحسن عليه السلام

وفي هذا المجال عثرنا على جوهرة ثمينة ودُرّة فريدة فيها شعر الإمام الحسن عليه السلام، بصنعة أبي الحسن علي بن حمّاد بن عبد الله المدائني، المتوفى سنة ٢٢٥ هـ - في نسخة تعود إلى أوائل القرن الثاني عشر^(٤) - وبذلك تكون صنعة شعره عليه السلام أقدم ما وصلنا من شعر إمام من الأئمّة مجموعاً في صعيد واحد، بعد ما جمعه أبو مخنف من شعر الإمام الحسين عليه السلام.

والنسخة هي المحفوظة ضمن مجموعة برقم ٧٠٥٩ في مكتبة جامعة طهران، وهي تحتوي على أربع رسائل:

الأولى: فهرست القواعد للشهيد الأول.

الثانية: أشعار الإمام الحسن بن علي عليه السلام برواية المدائني.

الثالثة: أشعار الإمام الحسين بن علي عليه السلام برواية أبي مخنف.

١- المجموعة الأولى/ المجلد ٣، ص ٢٦٦.

٢- مجلة معهد المخطوطات العربية ١٢:٣-١٣/ أقدم نسخ المخطوطات العربية في العالم: ١٣٥.

٣- انظر الذريعة ٤٣١:٩/ الرقم ٢٤٩٩.

٤- إذ إنّها ضمن مجموعة فيها أربع رسائل، والرسالة الأولى «فهرست القواعد» للشهيد الأول، تمّت كتابتها في ١١ ذي القعدة سنة ١١٠٨ هـ.

الرابعة: أشعار أبي طالب عليه السلام برواية أحمد بن عبد العزيز الجوهري^(١).

وهذه النسخة وإن كانت متأخرة التاريخ، لكنها تعدّ جوهرة من جواهر الأدب، وهناك أدلة وقرائن تصحّح نسبتها للمدائني وإن لم تذكر مستقلة من جملة مؤلّفات ومصنّفات المدائني، فكم مثلها من المؤلّفات والمصنّفات والرسائل التي لم تذكر في الفهارس والتراجم والمعاجم منسوبة إلى أصحابها ثم ثبتت لهم، ناهيك عن أنّها رسالة صغيرة الحجم قد تكون في أصلها مدرجة في كتاب من كتب المدائني ثم استلّت منه، وهذا أيضاً ليس بعزيز.

وكيف كان، فإنّ صانع الديوان هو:

أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني، المولود سنة ١٣٥ هـ، والمتوفّى سنة ٢٢٥ هـ. وهو بصريّ الأصل، سكن المدائن، ثم انتقل إلى بغداد، وبقي فيها إلى أن توفّي، وقيل: إنّ توفّي بمكّة. وكان ثقة، وتصانيفه كثيرة جداً^(٢).

مذهبه

صرّح الشيخ في الفهرست بكونه عاميّ المذهب^(٣)، وتابعه العلامة الحلّي في خلاصة الأقوال^(٤)، وابن داود الحلّي في رجاله^(٥)، ثمّ من جاء بعدهم.

لكنّ آثار الرّجل تحكي غير ذلك، إذ إنّها تحكي تشييعه وحرصه على ذكر مآثر أهل البيت عليهم السلام ومساوي أعدائهم، لذلك حمّل الأغا بزرك الطهراني هذه العبارة على كونه مخالطاً للعامة وشاهراً نفسه بذلك بينهم وإن كان في الواقع متابِعاً لأئمّة أهل البيت عليهم السلام.

قال عند كتاب (خطب أمير المؤمنين) للمدائني: وترجمه الشيخ الطوسي في فهرس مصتفي الأوصحاب، لكن مع التصريح بأنّه عاميّ المذهب، ومراده ما أشرنا إليه آنفاً في (الخصائص العلوية)، فهو نظير مسعدة بن صدقة الآتي ذكره^(٦).

- ١- كذا في فهرست مكتبة جامعة طهران، ولكنّ هذه الرسالة الرابعة غير موجودة في النسخة المذكورة.
- ٢- انظر: الفهرست لابن النديم: ١١٣-١١٧، وسير أعلام النبلاء ١٠: ٤٠٠-٤٠٢ / الترجمة ١١٣، والوافي بالوفيات ٢٩: ٢٢-٣٢، واللباب في تهذيب الأنساب ٣: ١٨٢، والأنساب للسمعاني ٥: ٢٣٢.
- ٣- انظر: الفهرست: ١٥٩ / الرقم ٤٠٥.
- ٤- انظر: خلاصة الأقوال: ٣٦٥ / الترجمة ١١.
- ٥- انظر: رجال ابن داود: ٢٦٢ / الترجمة ٣٥٥ و ٣١٢ / الترجمة ٤ من باب كنى الضعفاء.
- ٦- الذريعة ٧: ١٩٠ / الرقم ٩٧٠.



وكان قد قال من قبل: (الخصائص العلوية على سائر البرية والمآثر العلية لسيد البرية) لمحمد بن أحمد النطنزي العامي كما ذكره ابن شهر آشوب في معالم العلماء... نعم ترجمه العلامة في القسم الثاني من الخلاصة وكذا ابن داود موصوفاً بأنه عامي المذهب...

إلى أن قال:

وأما حسن عقيدة المؤلف فهو المستكشف الظاهر من إيراد في كتابه الروايات الصريحة في تسمية الله تعالى علياً عليه السلام بأمر المؤمنين... والسيد ابن طاوس إنما يخبر في أمثال هذه الموارد بما هو ظاهر حال الرجل المشهر نفسه بين الناس بأنه من علماء العامة و من رواة أحاديثهم... وكذلك قول ابن شهر آشوب: إنه عامي، وقول العلامة: إنه عامي المذهب، لأنه لم يرد منه إلا كون الرجل مختلطاً مع العامة وراوياً لأحاديثهم وإن كان متابِعاً لأئمة أهل البيت عليهم السلام، لا كونه من أهل السنة و المتابعين للأئمة الأربعة.

وقد حمل الشهيد الثاني (العامي) على هذا المعنى في كثير من أطلق عليهم العامي في كتب رجالنا مع كونهم من الشيعة بل من أصحاب الأئمة عليهم السلام، وصرح بذلك في حاشيته على الخلاصة عند ترجمه أبي الصلت الهروي الشيعي عبد السلام بن صالح الذي ترجمه الشيخ مرة باسمه وأخرى بكنيته وذكر في الموضعين أنه عامي، قال الشهيد: «وهذا يشعر بأنه مخالط للعامة وراوٍ لأخبارهم... كمحمد بن إسحاق صاحب السير والأعمش وخلق كثير».

وقد ارتضى كلام الشهيد الميرزا الرجالي في الرجال الكبير، وصدقه الأستاذ الوحيد البهبهاني في تعليقه عليه فقال: «لا يخفى أن الأمر كذلك».

وأقول (والقول للأغا بزرك): لعل القرينة على هذا الحمل أن الكتب المهيأة لتراجم رجال الشيعة - كما يظهر من مؤلفيها - لا بد أن تكون خالية عن ترجمة العامي الحقيقي رأساً حسب ما بنى عليه مؤلفوها، فلو أطلق العامي فيها على رجل يحمل على أنه عامي المشرب لا أنه عامي العقيدة، ولا سيما مع بعض القرائن على تشييعه^(١).

وقال من بعد عند كتاب (خطب أمير المؤمنين): لأبي محمد - أو أبي بشر - مسعدة بن صدقة العبدي... ومع كونه من أصحاب الرواية عن الإمامين (أبي عبد الله وأبي الحسن عليهم السلام) قال الشيخ في رجاله: مسعدة بن

صدقة عامي، فالمراد أنه عاقبي المشرب^(١).

والحق هو ما توصل إليه الأغا بزرك الطهراني، لأن آثار أبي الحسن المدائني ورواياته كلها تعضد كونه كان شيعياً أو مائلاً إلى التشيع، ومن خيرة الكتب التي طبعت أخيراً كتاب (أخبار أهل البيت عليهم السلام: في تراث المدائني) المكتوب^(٢)، للشيخ الأستاذ حسين مرادي نسب، وفيه تظهر بوضوح آثار تشييعه.

المدائني وشعر الإمام الحسن عليه السلام

بما أن هذه النسخة التي وقفنا عليها متأخرة التاريخ، كان لا بد لنا من بحث الأدلة والقرائن الدالة على صحة نسبتها لأبي الحسن المدائني، وصحة نسبة ما فيها من الأشعار - إجمالاً - للإمام الحسن عليه السلام، والأدلة والقرائن هي:

ما وقفت عليه من تشييع المدائني أو ميله إلى التشيع، مما يجعله يعني بجمع تراث أهل البيت عليهم السلام: التاريخي والأدبي. اهتمام المدائني بتراث أهل البيت عليهم السلام: بشكل كبير ملحوظ، ومن كتبه في ذلك - على نحو النماذج لا الحصر:

- مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وكان هو أحد راويي كتاب مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف.
- كتاب الحوثة لأمر المؤمنين عليه السلام.
- كتاب حروب أمير المؤمنين عليه السلام.
- كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام وكتبه إلى عماله.
- كتاب أسماء من قتل من الطالبين.
- كتاب أخبار الفاطميات.
- كتاب أخبار الخلفاء
- كتاب أخبار أبي طالب وولده.

مضافاً إلى روايته أخبار السيد الحميري، وأبي ذهبل الجُمحي، وكثير عزة، وغيرهم من شعراء الشيعة، وتصنيفه

١- الذريعة ٧: ١٩١ / الرقم ٩٧١.

٢- طبع ونشر مجمع بحوث الحوزة والجامعة في قم، ومجمع البحوث الإسلامية في مشهد المقدسة، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٦ هـ / ٢٠١٧ م.



(خصوصات الأشراف)، و(أخبار الشعراء)، وغيرها من الكتب التي قد يكون شعر الإمام الحسن عليه السلام جزءاً منها. أن المجموعة الخطيّة التي فيها شعر الإمام عليه السلام تحتوي أيضاً على ديوان الإمام الحسين عليه السلام برواية أبي مخنف، وعند المطابقة والملاحظة وجدنا صحّة ما فيها بالنسبة لمروياتها من الأشعار.

أن أسلوب صنعته يتماشى مع أسلوب صنعة القدماء الأوائل، ففي المقدّمة:

«قال أبو الحسن علي بن محمّد بن عبد الله المدائني: ما زلتُ أبحث عن شعر مولانا الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فوجدته أعزّ شيءٍ، فأخذتُ إلى الصُّحُف فبحثتُ منها شيئاً كثيراً فلم أجد منها شيئاً، إلى أن وقَعَ إلينا شيخ من أهل المدينة، عالمٌ بأمر أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، حافظ لأخبارهم وسيّرهم، فأنشدني من شعر الحسن عليه السلام شيئاً.

ثمّ رأيتُ امرأةً من بني جعفر بن أبي طالب، فأنشدتني منه شيئاً آخر؛ فأضفت بعضه إلى بعضٍ».

وهذا الأسلوب هو عين أسلوب أبي مخنف في روايته لشعر الإمام الحسين عليه السلام، ولا أبعدُ أن يكون هذا الشيخ الذي من أهل المدينة، العالم بأمر أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، هو نفسه الذي ذكره أبو مخنف بقوله: «ورويته عن ثقات الرجال، منهم عبد الرحمان بن نجبة الخزاعي، وكان عارفاً بأمر أهل البيت عليهم السلام».

أن أسلوب الأشعار وتركيب الجمل والكلمات المستعملة فيها، كلّها تدلّ على أنّها من الشعر القديم.

أن أسلوب ما في هذه النسخة من الأشعار (وهي ٢٢ مرقّمة)، والمناسبات والدوافع التي ذكرت في قول بعضها، تتلائم كمال التلاؤم مع عاقبة أشعار الإمام الحسن عليه السلام ومناسبات بعضها المذكورة في المستدرك الذي صنعناه من بطون الكتب والمصادر^(١)، وهي إلى الآن (٣٣) مرقّمة.

وجود بعض الأبيات اللاميّة التي مطلعها:

(من المجتث)

من كان ييأى بجيدٍ فإنّ جدي الرسول

في مناقب آل أبي طالب ١ عليه السلام ٦:٣ منقولة عن الحاكم الجشيميّ في أماليه، ووجود الأبيات الثلاثة التي مطلعها:

١- وقد سبق أن جمع السيّد محمود المقدّس الغريفي المتناثر من شعر الإمام الحسن عليه السلام وطبع في مجلّة علوم الحديث، العدد ٢٤، سنة ١٤٢٩ هـ، تحت عنوان: «ديوان الإمام الحسن عليه السلام»، وقد جمع فيه (٢٩) مرقّمة.

(من الخفيف)

قَبَّعَ النَّفْسَ بِالْقَلْبِ لِي وَالْأَ تَلَبَّثْتُ مِنْكَ فَوْقَ مَا يَكْفِيهَا

مع بيت آخر، منسوبة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام في أنوار العقول: ٤٣١. وهذا يؤكد أصالة الشعر الذي في النسخة المخطوطة.

وجود بعض الشروح اللغوية التي لم نقف على نصِّ عباراتها في المعجمات اللغوية، ممَّا شكَّلَ عندنا ظناً بأنَّها من المدائني نفسه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى وجدنا في النسخة عند قول الإمام الحسن عليه السلام:

(من الطويل)

أَلَمْ تَدْرُ أَنْ الْبَكَرَ لَيْسَ بِصَائِلٍ بِيَا زِلٍ أَعْرَافٍ إِذَا ضَمَّه قَرْنٌ

«قال أبو الحسن: البُرُولُ آخِرُ سِتِّي الْجَمَلِ، ثُمَّ بَازِلُ عَامٍ (و) بَازِلُ (عَامِينَ، وَ) ثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَخَمْسَةٌ، ثُمَّ يَعُودُ فَهُوَ عَوْدٌ، وَالْأُنْثَى عَوْدَةٌ، (فَإِذَا هَرَمَ فَهِيَ قَحْرٌ) وَالْأُنْثَى نَابٌ، وَلَا حَظٌّ لِلذَّكْرِ فِي ذَلِكَ.

وأخذه جرير بن عطية، فقال:

وَابْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لُزَّ فِي قَرْنٍ لَمْ يَسْتَطِيعْ صَوْلَةَ الْبُرُولِ الْقَنَاعِيْسِ»

وكتب في هامش النسخة: «القناعيس: الإبل الضخام، الواحد قنعاس، قال: ووجد في نسخة أخرى هذه الزيادة».

وهذا يؤكد وجود عدَّة نسخ لشعر الإمام الحسن عليه السلام بصنعة المدائني، وأنَّ هذا الهامش موجودٌ في متن بعضها.

بقي شيء

هو أنَّ المدائني صرَّح في مقدِّمة هذه النسخة أنَّه بحث شيئاً كثيراً من الصحف فلم يجد شيئاً من شعر الإمام عليه السلام، لكنَّنا في المستدرك الذي صنعناه وقفنا على رواية المدائني أنَّ الإمام الحسن عليه السلام عندما غادر الكوفة بعد الصلح وصار بدير هند نظر إلى الكوفة وقال:



(من الطويل)

ولا عــــن قلبي فارقْتُ دار معاشري هُــــم المانعونَ حــــوزتي وذماري
ولكنَّهُ ما حُــــمَّ لا بُدُّ واقِعٌ وما هــــذه الدنيا بدارٍ قرارٍ^(١)

وهذا سهل المؤونة، لأنّ البلاذري صرّح بأنّ البيتين لُؤمِلَ بن أبيير الفزاري، وأنّ الحسين عليه السلام - لا الحسن عليه السلام - تمثّل بمهما عند مجاوزته هو والحسن عليه السلام وجماعة دير هند^(٢).

وأما قول الإمام الحسن عليه السلام الذي رواه المدائني كما في أنساب الأشراف:

(من الكامل)

فِيــــم الكلام وقد سبقت مبرزاً سبــــق الجياد إلى المدى المتقيس^(١)

فسبب عدم ذكر المدائني إيّاه في النسخة إمّا لأنّه لا يراه من شعره عليه السلام وإمّا تمثّل به، أو لأنّ المدائني صنع الديوان في أوائل شبابه، ويؤيّد هذه الفرضية أنّه ولد سنة ١٣٥ هـ، ويروي ما في النسخة بواسطة واحدة عن شخصين فقط، ويروي البيت المذكور آنفاً بواسطة إثنين إذ يرويّه عن عبد الرحمان العجلاني، عن سعيد بن عبد الرحمان.

وهذا يفيسّر لنا أيضاً عدم ذكره لأشعار المستدرک أو لمقدارٍ معتدّ به منها. على أيّ احتمال أن يكون المدائني رواه عن أبي مخنف، وهذا محض احتمال قد تؤكّده الأيام أو تنفيه.

وكيف كان، فمما لاحظناه في تحقيق شعر الإمام الحسن عليه السلام بصنعة المدائني وعمل مستدرک له؛ هو أنّ عمدة ما نسب للإمام الحسن عليه السلام له مصدران أساسيان، هما نسخة المدائني هذه، وما ذكره ابن شهر آشوب؛ وذلك إمّا أن يكون عنده نسخة أخرى من شعر الإمام الحسن عليه السلام، أو أنّ الأشعار التي ذكرها وقف عليها في ثنايا مكتبته العامرة الغنية بالمصادر.

أغراضه الشعريّة

إنّ الأغراض الشعريّة الموجودة في هذه النسخة تدور حول عدّة محاور، أهمّها:

١- انظر: شرح النهج الحديدي ١٦:١٦-١٧، وكتاب وفيات الأئمة: ١١١.

٢- انظر: أنساب الأشراف ٣:١٥٠.

٣- انظر: أنساب الأشراف ٣:١٦.

أولاً: فخره عليه السلام بجده وأبيه، وأمه وأخيه، وبنفسه الشريفة وتعداد مناقبها، مثل قوله عليه السلام:

(من المجتث)

مَنْ كَانِ يَبْنَى بِحَيِّ	فَإِنْ جَدِّي الرَّسُولُ
أَوْ كَانِ يَبْنَى بِأَيِّ	فَإِنْ أُمِّي الْبُتُولُ
أَوْ كَانِ يَبْنَى بِزُورٍ	فَزُورُنَا جَبْرِيْلُ
أَنَا الْبَرُّ زُورٌ لِبَاغِي	رَفْدِي الْعَطْفُ وَفِ الرِّمْلُ
أَنَا ابْنُ مَنْ جَاءَ فِيهِ النَّدَى	تَأْوِيْلُ وَالتَّنْزِيلُ
أَنَا ابْنُ مَنْ لَا يُرَى فِي الدُّنْيَا	أَنَا مِنْهُمْ عَمْدِيْلُ
أَنَا ابْنُ أَحْمَدَ حَقًّا	مَنْ مِنْ قَوْلِي يَقُولُ؟
سِوَى أَخِي وَشَقِيْقِي	وَهَوَّ الشَّقِيْقُ الْخَلِيْلُ
إِنِّي إِذَا تَطَلَّتِ الْحَزْنَ	بُكَيْتُهُنَّ الْخَشَلِيْلُ
عَلَيَّ مِنْ كُلِّ خَلْقٍ	فِي الْمُؤْمِنِيْنَ قُبُولُ
بِحَيِّ دُنْيِي وَبِحَيِّ	عَلَى الْأَنْبِيَاءِ أَصُولُ
جَدِّي إِذَا صَحَّ عَزْمُ	إِلَى الْإِلَهِ رَسِيْلُ
وَأَهْلِي بَيْتِي جَمِيْعًا	إِلَى النَّجَاةِ السَّيْلُ
وَعَمَّتِي وَلَعَمَّتِي	عَلَى الْأَنْبِيَاءِ فُضُولُ
وَلَمْ يَلِدْ مِنْ آلِي الدُّنْيَا	مَوْلَى وَدِ الْإِسْمَاعِيْلُ
هَذَا وَجْهُ عَطَائِي	عَلَى الْغَفَاةِ يَسِيْلُ
مَا كُنْتُ قَطُّ بِحَيِّلًا	وَلَمْ يَلِدْ مِنْ بَحِيْلُ
وَقَدْ أَقْرَبْتُ بِفَضْلِي النَّدَى	تَوْرَةَ وَالْإِنْجِيْلُ
شَبَابُ عَزْنٍ وَمِنَّا الدُّنْيَا	مُطَيَّبِيْنَ وَنُورِ الْكُهْلُ
فَلَيْسَ يَدْفَعُ فُضْلِي	إِلَّا كَفُّورُ جَهْلُ
وَمَنْ يُفَاخِرْ، بِحَيِّ	عَلَى الْفَخْرِ أَطُولُ



إِذَا افْتَحَتْ زُنْتُ سَمَاءَ بِي
وَأَلَمَنَ يَزُولُ فَخَارِي
وَلَمَّي عَلَي الْقَدْرِ قَدْرٌ
سِوَى إِلَهِ الْبَرَايَا
فَخَرَّ عَرِيضٌ طَوِيْلٌ
وَكُلُّ شَيْءٍ يَزُولُ
بِحَمْدِ رَبِّي جَلِيْلٌ
فَغَيَّرَ رَبِّي ذَلِيْلٌ

ثانياً: هجاؤه لأعداء الله، مثل هجائه للمعاوية عليه السلام وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم، والنابعة الحبشية أم عمرو بن العاص، وذلك مثل قوله عليه السلام:

(من الخفيف)

قُلْ لَعَنُورٍ: لَا تَفْخَرَنَّ فَإِنَّ
جَدِّي الْمُضْطَّقُ وَجَدَّكَ ذُو النَّوْ
فِي بَطْءِ عَنِ الْحَنَا وَأَنَا
لَسْتُ تَهْوَى الْبَقَاءَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا
عَالِمٌ بِاللَّذِي تَقُولُ قُرَيْشُ
كِ فِي [الْمَفْرَى] دِينِهِ وَحُبَيْشُ
عَنْكَ إِذْ فِيكَ بَعْدَ جَهْلِكَ طَيْشُ
لَأَذَى النَّاسِ لَا صَفَا لَكَ عَيْشُ

وقوله عليه السلام:

(من الطويل)

أَتَايَ مِنْ مَزَوَانَ قَوْلَ كَرِهْتُهُ
وَمَنْ يَغْتَقِدُ لِلْمُؤْمِنِينَ عَدَاوَةً
وَيَفْخَرُ مَزَوَانَ عَلَيَّ سَفَاهَةً
وَيُزَعِّمُ أَنِّي لَا أَقْوُلُ وَأَنْتَهُ
وَيَمْنَعُنِي مِمَّا بِهِ وَهُوَ مَوْلَعٌ
وَلَيْسَ لِمَزَوَانَ تُقَى فَيَزُدَّهُ
وَيَغْلَمُ رَبِّي أَنَّهُ فِيهِ كَاذِبٌ
يَلْقِيهِ يَوْمًا لَا مَحَالَةَ كَارِبٌ
وَجَهْلًا وَحِزْبُ اللَّهِ لَا شَكَّ غَالِبٌ
لَهُ لَسَنُ لِلْمَجْدِ وَالْمَجْدُ كَاسِبٌ
تَقَى اللَّهُ وَالْمَوْلَى الرَّقِيبُ
الْمُحَاسِبُ



أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ أَنْ تُضِلَّنِي
يَخَافُ ابْنَ حَزْبٍ ذُو الضُّلَالِ
وَرَغِبَتِي
فَقُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ الْمَلِكِ ارْتَقِبْ بِهِ
وَإِنْ تَحْتَلِسَنِي قِرْصَةً يَوْمَ مُعْجَلِ
إِلَى اللَّهِ يَمْضِي لَا سَبِيلَ سِوَاهُ بِي
عَنِ الْجَهْلِ إِمَّا كَانَ لِلْجَهْلِ
صَاحِبُ
عَنِ الدِّينِ ذُنِيًا يَجْتَوِيهَا
المُصَاحِبُ
إِلَى اللَّهِ إِنِّي خَائِفٌ مِنْهُ رَاهِبٌ
فَإِنِّي كَمَا قَدْ تَرَقَّبْتِي أُرَاقِبُ
فَلَلنَّاسُ مِنْ قَبْلِي سَلِيبٌ وَسَالِبٌ
وَيَوْمَ المَعَادِ مَا تَكُونُ العَجَائِبُ

ثالثاً: ذكره علّة الصلح والمهادنة بعد ذكره للكرم وحسن الكرم والثقة بالله، حيث قال عليه السلام:

(من الخفيف)

لَسَدْتِي فِي الإِفْضَالِ وَالْإِنْعَامِ
مِثْلَمَا قَدْ يَلْكَدُ قَوْمٌ سَمَاعاً
قُلْ لِسُؤَالِنَا: إِذَا مَا أَرَدْتُمْ
أُودِعُوا مَدْحَكُمْ صَحَائِفَ بَيْضَاءَ
أَنَا أُعْطِيكُمْ أَحْسَاباً عَلَى الدِّ
أَيُّ عُدْرٍ يَكُونُ إِنْ أَنَا أَخْرَمْتُ
لِمَا لَمْ أَكُنْ رِمَ السُّؤُولِ وَأُعْطِي
وَقَدْ انْتَشَرْنَا فِي الإِلَهِ وَأَعْطَا
وَأَرَى مَعْشَراً يَعْبُدُونِ فِعْلِي
لَوْ دَرَزُوا أَنَّنِي حَقَّنْتُ دِمَاءَ
مَا أَرَدُوا فِعْلِي وَلَا قَدَّرُوا أُنْ

وَأَرَى المَنْعَ مِنْ قَبْلِ حِ الأَنَامِ
وَنَشِيداً عَلَى حُضُورِ المَادَامِ
حَاجَّةً فَاقْتَرَعُوا إِلَى الأَقْلَامِ
وَارْتَحُوا ذُلَّةً وَطُؤُولَ مَقَامِ
بِ وَبِاللَّهِ قُؤُونِي وَاعْتَصَمَ أَمِي
مَنْ سَؤُولِي مَا عِنْدَ رَبِّ الأَنَامِ
بِ رِضَاءِ قَبْلِ الأَبْتِدَاءِ الكَلَامِ
بِ جَزْبِ سَلاماً وَمَا أَضَاعَ أَمَامِي
وَيَقُولُونَ: بِنَسْنِ فِعْلِ الإِمَامِ
مِنْ رِجَالِ وَصِيْبَةِ أَيْتَامِ
بِنِي غَيْبِي نَبَوْتُ نَبَوَ الكَهَامِ

كَيْفَ يَنْبُو مَنْ لَمْ يَخْتَهُ فَحَارَ
وَقَوْلُهُ عليه السلام:

(من البسيط)

فَقَرَّرَ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ أُعْطِيهِ
شَيْئاً فَإِنِّي أُعْطِيهِ وَأَرْضِيهِ
وَمَا يَوْمَلُهُ فِيهِ سَنَجْرِيهِ
مِنْ قَبْلِ لُؤْصَاهُ فِيمَا كَانَ يُوصِيهِ
وَالْمُسْتَضِيفُ أَقْبَاهُ ثُمَّ أَحْبَبِيهِ
وَلَا أُذِيْعُهُ بِه يَوْمَئِذٍ وَأُبْدِيهِ
يَوْمَ أُحْيِيهِ مِنْ يَأْدِيهِ
وَالْمُسْتَجِيرُ مِنَ الْأَيَّامِ أَكْفِيهِ
فِيضِيحِ الدَّهْرِ طَوْرًا قَدْ يُوَاتِيهِ
وَالدَّهْرُ يُعْجِبُ أَقْوَامًا بِمَا فِيهِ
مُبْطَّحِ الْقَدْرِ مَهْدُومِ مَرَاقِيهِ
وَيَعْلَمُونَ بِمَا تُبْدِي مَسَاوِيهِ
وَيَسْتَهِينُ بِبِدِي دِينِ يُعْطِيهِ
فَدَلِكِ الْيَوْمِ قَدْ قَامَتْ نَوَاعِيهِ
وَعَادِ يَا رَبِّ عِبَاداً قَدْ يُعَادِيهِ
يَا رَبِّ آلِي وَإِلَاءَ مَنْ يُوَالِيهِ
وَمَا أَرَى أَحَدًا مِنْهُمْ يُدَانِيهِ

مَنْ رَدَّ سَائِلَهُ مَنْ أَنْ يَلِمَ بِهِ
أَوْ كَرَّانَ يَبْلُغُهُ مِمَّا يَبْلُغُهُ
أَعْطِي السُّؤُولَ الَّذِي قَدْ كَانَ
يَبْعَثُهُ
كَذَاكَ أَوْصَى أَبِي يَا صَاحِبِ الْوَدْعِ
وَجَارَةَ الْبَيْتِ أَقْبَاهُ وَأَكْرَمَاهَا
وَالسِّبْرُ أَخْفَظُهُ حِفْظًا يَمُوتُ بِهِ
وَإِنْ دُعِيْتُ إِلَى الْجُلَى وَمُعْظَمَةِ
أَزْعَى ذِمَارِي بِنَفْسٍ لَا أَضُنُّ بِهَا
فَلَا يَطُورُ بِهِ شَيْءٌ يُحَادِثُهُ
إِنِّي لِأَعْجَبُ وَالْأَيَّامُ مُعْجَبَةٌ
مِنْ جَاهِلٍ يَزْدَرِينِي لَا يَقْرَظُنِي
يَعِيبُ قَوْمًا طَهَارِي لَا مَعَابَ بِهِمْ
وَحَلَّ يُكْسِرُهُمْ مِنْ تَبْدُو مَعَايِبُهُ
وَإِنْ ذَكَرْتَ عَلِيًّا أَوْ بَنِيهِ لَأُكْفِي
أَدْرُ لَأُكْفِي الْحَقُّ أَنِّي دَارَ يَبْعَثُهُ
تَبَّتْ يَدَاؤُهُ أَمَا قَالَ الْإِلَهُ لَهُ:
وَكَتُبْ مَحَبَّتَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ هُدَى

رابعاً: ذكره لنجاة من اعتقد ولاية أهل البيت عليهم السلام، وذلك في مثل قوله:

(من مجزوء الخفيف)

إِنَّ قَوْمًا وَلَا تُهْمُ سَائِرَ النَّاسِ لِأَزْمَةٍ
فَجَدِيدُونَ أَنْ يَرَوْا أَنْفُسَ النَّاسِ حَائِمَةً
خَوْفَهُمْ كَمَا تَرَى عِدَا مِنْ لَطَى النَّاسِ سَالِمَةً

وقوله في أمير المؤمنين عليه السلام:

(من المتقارب)

يُقَاسُ عَلِيٌّ إِلَى غَيْرِهِ
بِمَا قَالَ أَحْمَدُ فِي فَضْلِهِ
كَأَنَّ هُمْ مَا قَرَأُوا سُورَةَ
سَيُخْزَى بِهِ الْعُصْبَةَ الْمُؤْمِنُونَ
أَمَا هُمْ فِيهِ مِنْ مُعْتَبَرٍ
وَنَصُّ الْقُرْآنِ وَنَقْلُ الْحَبْرِ
وَلَا تَقْلُوا خَبْرًا عَنْ أَتْرُ
وَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِمَّنْ كَفَرَ

خامساً: الحكمة، التي هي قرينة لحلمه عليه السلام، وذلك مثل قوله عليه السلام:

(من الوافر)

وَمِنْ شِدَّةِ إِلَّا سَتَقْضِي بِصَاحِبِهِهَا إِلَى فَرَجٍ قَرِيبٍ

وقوله في حفظ حرمة المؤمنين:

(من المنسرح)

مَنْ يَسْأَلِ الْمُؤْمِنِينَ دِينَهُمْ يَغْطِفُ بِرَغْمٍ عَلَى مَكَارِهِهِ



أَوْ سَأَلُوا سَيِّدَهُمْ فَوَاجَهَهُمْ يَخْذُلُهُ اللَّهُ مِنْ مُوَاجِهِهِ
أَوْ كَانَ بِالْغَيْبِ مُؤْمِنًا هُمْ يُؤْمِنُهُ دُو الْعَرْشِ مِنْ مَبَادِهِ

هذا إلى أغراض أُخر يتلمّسها قارئ الديوان مع المستدرك إن شاء الله، ونحن غير آيسين من العثور على نسخة أُخرى - ربّما تكون أقدم - من هذا الكنز الحسيني الدفين، لتُقَدِّم هذه التحفة النادرة بأحسن شكل وأروع له للأدب الشيعي العريق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على محمّد وآله الطيبين الطاهرين.



المصادر

- ١- الاحتجاج: لأبي طالب أحمد بن علي الطبرسي (المتوفى ٥٤٨ هـ)، تعليق السيد محمد باقر الخراسان، النجف الأشرف، دار النعمان للطباعة والنشر، ١٣٨٦ هـ.
- ٢- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: لأبي عبد الله محمد بن محمد ابن النعمان العكبري (المتوفى ٤١٣ هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام: لإحياء التراث، قم، مؤسسة آل البيت عليه السلام، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.
- ٣- أنساب الأشراف: لأحمد بن يحيى البلاذري (المتوفى ٢٧٩ هـ)، تحقيق الشيخ محمد باقر الحمودي، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٤ هـ.
- ٤- الأنساب: لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد السمعي (المتوفى ٥٦٢ هـ)، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، بيروت، دار الجنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.
- ٥- أنوار العقول من أشعار وصي الرسول: لقطب الدين البيهقي الكيدري (المتوفى ٥٧٦ هـ)، دراسة وتحقيق كامل سلمان الجبوري، بيروت، دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.
- ٦- بحار الأنوار، للشيخ محمد باقر المجلسي (المتوفى ١١١١ هـ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ.
- ٧- البداية والنهاية في التاريخ: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (المتوفى ٧٧٤ هـ)، تحقيق علي شيري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.
- ٨- بغية الطلب في تاريخ حلب: لكمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (المتوفى ٦٦٠ هـ)، تحقيق سهيل زكار، دمشق، ١٤٠٨ هـ.
- ٩- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى ٧٤٨ هـ)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢ م.
- ١٠- تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، ترجمة محمود فهمي حجازي والدكتور أبو الفضل، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف، ١٩٧١ م و ١٩٧٨ م.
- ١١- الخرائج والجرائح، لقطب الدين الراوندي (المتوفى ٥٧٣ هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.

- ١٢- خلاصة الأقوال في معرفة الرجال: للعلامة الحلبي أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي الحلبي (المتوفى ٧٢٦ هـ)، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
- ١٣- الدرّ النظيم: ليوسف بن حاتم بن فوز الشامي المشغري العاملي (المتوفى ٦٦٤ هـ)، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- ١٤- الدرر في اختصار المغازي والسير: لأبي عمر يوسف بن عبد الله ابن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (المتوفى ٤٦٣ هـ)، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة.
- ١٥- ديوان الحماني: لعلي بن محمد العلوي الكوفي الحماني (المتوفى ٣٠١ هـ)، تحقيق محمد حسين الأعرجي، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، ١٩٨٩ م.
- ١٦- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، بيروت، دار صادر.
- ١٧- ديوان عبيد بن الأبرص، بيروت، دار بيروت، ١٤٠٤ هـ.
- ١٨- الذريعة إلى تصانيف الشيعة: للأغا بزرك الطهراني محمد محسن ابن علي (المتوفى ١٣٨٩ هـ)، بيروت، دار الأضواء، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ.
- ١٩- رجال ابن داود: لتقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلبي (المتوفى بعد ٧٠٧ هـ)، تحقيق: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٩٢ هـ.
- ٢٠- سير أعلام النبلاء: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى ٧٤٨ هـ) إشراف وتخرّيج شعيب الأرنؤوط، تحقيق: حسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣ هـ.
- ٢١- شرح ديوان كعب بن زهير: صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله السكري، القاهرة، دار القومية للطباعة والنشر، ١٣٨٥ هـ.
- ٢٢- شرح نهج البلاغة: لعز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي (المتوفى ٦٥٦ هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٧٨ هـ.
- ٢٣- الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم: للشيخ أبي محمد علي بن يونس العاملي النباطي (المتوفى ٨٧٧ هـ)، تحقيق محمد باقر البهبودي، طهران، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، الطبعة الأولى، ١٣٨٤ هـ.

- ٢٤- العقد النضيد والدر الفريد: لمحمد بن الحسن القمي (من علماء القرن السابع)، تحقيق علي أوسط الناطقي، قم، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.
- ٢٥- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى ٤٥٦ هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجليل، الطبعة الرابعة، ١٩٧٢ م.
- ٢٦- عيون أخبار الرضا عليه السلام: لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق (المتوفى ٣٨١ هـ)، تحقيق حسين الأعلمي، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٤ هـ.
- ٢٧- الغدير: للعلامة الشيخ عبد الحسين الأميني (المتوفى ١٣٩٢ هـ)، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧ هـ.
- ٢٨- الفصول المهمة في معرفة الأئمة: لعلي بن محمد بن أحمد المالكي المكي الشهير بابن الصبّاغ المالكي (المتوفى ٨٥٥ هـ)، تحقيق سامي الغريزي، قم، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- ٢٩- فهرست ابن النديم: لأبي يعقوب محمد بن إسحاق النديم (المتوفى ٤٣٨ هـ)، تحقيق رضا تجدد.
- ٣٠- الفهرست: لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى ٤٦٠ هـ)، تحقيق الشيخ جواد القيومي، قم، مؤسسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
- ٣١- كتاب وفيات الأئمة، لمجموعة من علماء البحرين والقطيف، بيروت، دار البلاغة، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
- ٣٢- كشف الغمة في معرفة الأئمة: لعلي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي (المتوفى ٦٩٣ هـ)، بيروت، دار الأضواء، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ.
- ٣٣- كشف القناع عن متن الإقناع، للشيخ منصور بن يونس البهوتي الحنبلي (المتوفى ١٠٥١ هـ)، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، بيروت، منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- ٣٤- الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي): لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (المتوفى ٤٢٧ هـ)، تحقيق علي بن عاشور، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- ٣٥- كنز الفوائد: لأبي الفتح محمد بن علي الكراجكي (المتوفى ٤٤٩ هـ)، قم، مكتبة المصطفوي، الطبعة الثانية، ١٣٦٩ ش.

- ٣٦- اللباب في تهذيب الأنساب: لعزّ الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (المتوفى ٦٣٠ هـ)، بيروت، دار صادر.
- ٣٧- لسان العرب: لأبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري (المتوفى ٧١١ هـ)، قم، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥ هـ.
- ٣٨- لواعج الأشجان في مقتل الحسين: للسيد محسن الأمين العاملي (المتوفى ١٣٧١ هـ)، قم، مكتبة بصيرتي، ١٣٣١ هـ.
- ٣٩- مثير الأحزان: لنجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله ابن نما الحلّي (المتوفى ٦٤٥ هـ)، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٦٩ هـ.
- ٤٠- مجلة معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية، القاهرة.
- ٤١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الغرناطي (المتوفى ٥٤٦ هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
- ٤٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل (وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال): لأحمد بن حنبل الشيباني (المتوفى ٢٤١ هـ)، المطبعة الميمنية، مصر، ١٣١٣ هـ.
- ٤٣- المغني: لعبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (المتوفى ٦٢٠ هـ)، بيروت، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.
- ٤٤- مقاتل الطالبين: لأبي الفرج الأصفهاني (المتوفى ٣٥٦ هـ)، تحقيق كاظم المظفر، النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، الطبعة الثالثة، ١٣٨٥ هـ.
- ٤٥- مناقب آل أبي طالب: لأبي عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني (المتوفى ٥٨٨ هـ)، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف، النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، ١٣٧٦ هـ.
- ٤٦- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة: للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي (المتوفى ٣٤٨ هـ)، تحقيق عبود الشالحي المحامي، ١٣٩٣ هـ.
- ٤٧- نصح البلاغة مجموع ما انتخبه الشريف الرضي (المتوفى ٤٠٦ هـ) من خطب وكتب وكلمات أمير المؤمنين عليه السلام: تحقيق وشرح محمد عبده، قم، دار الذخائر، ١٤١٢ هـ.

- ٤٨- الوابي بالوفيات: لصلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي (المتوفى ٧٦٤ هـ)، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٠ هـ.
- ٤٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان (المتوفى ٦٨١ هـ)، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة.
- ٥٠- وقعة صفين: لنصر بن مزاحم المنقري (المتوفى ٢١٢ هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٣٨٢ هـ.





مجلة الزكي العلمية
AL-ZAKI - QUARTERLY AUTHORIZED JOURNAL

السَّيِّدُ الْمُعَظَّمُ الْحَسَنُ الْمُشَنَّى
أَبْنُ الْإِمَامِ الْحَسَنِ الْمُجْتَبَى (عَلَيْهِمَا السَّلَام)

تَحْقِيقٌ فِي تَارِيخِ وَوَلَادَتِهِ، وَوَفَاتِهِ، وَمَبْلَغِ عُمُرِهِ، وَدَعْوَى
إِمَامَتِهِ وَيَبْعَةِ ابْنِ الْأَشْعَثِ الْكِنْدِيِّ لَهُ

السَّيِّدُ عَلَاءُ الْمَوْسَوِيِّ^(١)

ملخص المقالة

هذه المقالة عبارة عن دراسة تاريخية حول سيرة الحسن المثنى ابن الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)، حيث يضع الكاتب جملةً من أحواله على طاولة التحقيق، ويسلط الأضواء على ما خفي من سيرته أو اشتبه في أحواله، نحو التحقيق في مبلغ عمره، وزواجه، وسنة وفاته، وشبهة دعوى الإمامة، وبيعة ابن الأشعث الكندي له في ثورته على الحكم الأموي الجائر.

الكلمات الأساسية: الحسن المثنى - السيرة؛ عمره ووفاته؛ ابن الأشعث الكندي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خيرته من خلقه أجمعين، محمد وآله الطاهرين.

وبعد، فهذا تحقيق مختصر في بيان تاريخ ولادة ووفاة السيد الحسن المتنبئ ابن الإمام الحسن المجتبي ابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ومبلغ عمره الشريف، ودعوى إمامته، وبيعة ابن الأشعث الكندي له في ثورته على الحكم الأموي.

نسبه:

هو الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، يُكْتَبُ: أبا محمد.

أُمُّهُ: حَوْلَةُ بنتُ مَنْظُورِ بنِ زَبَّانَ بنِ سَيَّارِ بنِ عَمْرٍو بنِ جَابِرِ بنِ عَقِيلِ بنِ هِلَالِ بنِ سَمِيٍّ بنِ مَازِنِ بنِ فَرَازَةَ ابنِ ذُبْيَانَ بنِ بَغِيضِ بنِ رَيْثِ بنِ غَطَفَانَ بنِ سَعْدِ بنِ قَيْسِ بنِ عَيْلَانَ بنِ مُضَرَ بنِ نِزَارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنَانَ. وكانت أولًا تحتَ مُحَمَّدِ بنِ طَلْحَةَ بنِ عبيدالله، فولدت له: إبراهيم الأعرج، وسليمان، وداود، وأم القاسم، فلما مات - وكان قُتِلَ يَوْمَ الجَمَلِ مع أبيه - حَلَفَ عليها الحسن (عليه السلام).

ولما تزوج الحسن (عليه السلام) حَوْلَةَ سَمِعَ بذلك أبوها مَنْظُورُ بنِ زَبَّانَ، قال السيد ابن عنبَةَ في العمدَةِ الوُسطَى الجَلالِيَّةِ: «فَدَخَلَ المَدِينَةَ وَرَكَزَ رَايَتَهُ عَلَى بابِ مَسْجِدِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَبْقَ فِي المَدِينَةِ قَيْسِيًّا إِلَّا دَخَلَ تحتها، ثُمَّ قال: أَمِثْلِي يُغْتالُ عَلَيْهِ فِي ابْنَتِهِ؟! فقالوا: لا.

فلما رأى الحسن (عليه السلام) ذلك سَلَّمَ إليه ابنته، فَحَمَلَهَا فِي هَوْدَجٍ، وَخَرَجَ بِهَا مِنَ المَدِينَةِ. فلما صارَ بالبقيعِ قالت له: يا أبا ابنِ تَذَهَبٍ؟! إِنَّهُ الحَسَنُ ابنُ أميرِ المُؤمِنينِ عَلِيِّ، وابْنُ بنتِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، فقال: إِنْ كانَ لَهُ فِيكِ حاجَةٌ فَسَيلِحُنَا. فلما صاروا فِي نَحْلِ المَدِينَةِ إذا بالحسن والحسين (عليه السلام) وعبدالله بن جعفر قد حَفُوا بِحِمٍ، فأعطاهُ إياها، فَردَّها إلى المَدِينَةِ»^(١).

وفي ذلك يقولُ حُقَيْقُ العَبْسِيُّ:

إِنَّ التَّدَى مِنْ بَنِي ذُبْيَانَ قَدْ عَلِمُوا
وَأَجْوَدَ فِي آلِ مَنْظُورِ بْنِ سَيَّارِ
وَكُلُّ غَيْثٍ مِنَ الوُثْمِيِّ مِذْرَارِ
المَاطِرِينَ بِأَيْدِيهِمْ نَدَى دِيمًا

تَزُورُ جَارَتَهُمْ وَهَنَا هَدِيَّتُهُمْ وَمَا فَتَاهُمْ لَهَا وَهَنَا بَزْوَارِ
تَرْضَى قَرِينَتَهُمْ بِهَمِّ صِهْرًا لَأَنْفُسِهِمْ وَهُمْ رَضَى لَبْنِي أَخْتِ وَأَصْهَارِ

وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ لَجْرِيرٍ، وَبَعْضُهُمْ لِلْفَرَزْدَقِ، وَبَعْضُهُمْ لَأَيِّ مَنِئُومًا، وَالصَّحِيحُ هُوَ لِحَفْصِ بْنِ (١).

وَلَمَّا مَاتَ الْحَسَنُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) جَزَعَتْ عَلَيْهِ حَوْلَةَ جَزَعًا شَدِيدًا، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُوهَا مَنْطُورٌ:

تَبَيْتُ حَوْلَةَ أَمْسٍ قَدْ جَزَعَتْ مِنْ أَنْ تُثَوِّبَ نَوَائِبُ الدُّهُرِ
لَا تَجْزَعِي يَا حَوْلُ وَأَصْطَبِرِي إِنَّ الْكِرَامَ بَثُوا عَلَيَّ الصُّبْرِ

رَوَاهُ أَبُو الْقَاسِمِ الرَّجَّاجِيُّ فِي أَمَالِيهِ (٢).

حضوره في الطف:

قال الشيخ المفيد في الإرشاد:

«وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ الْحَسَنِ حَضَرَ مَعَ عَمِّهِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الطَّفَّ، فَلَمَّا قُتِلَ الْحَسَنُ وَأُسِرَ الْبَاقُونَ مِنْ أَهْلِهِ، جَاءَهُ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ فَانْتَزَعَتْهُ مِنْ بَيْنِ الْأَسْرَى وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يُوصَلُّ إِلَى ابْنِ حَوْلَةَ أَبَدًا، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ: دَعُوا الْأَبِي حَسَّانَ ابْنَ أَخْتِهِ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ أُسِرَ وَكَانَ بِهِ جِرَاحٌ قَدْ أَشْفَى مِنْهَا» (٣).

وَرَوَى السَّيِّدُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ إِبْرَاهِيمَ الْحَسَنِيَّ الدَّوْدِيَّ فِي مَصَابِيحِهِ، بِإِسْنَادِهِ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ، قَالَ:

«قَاتَلَ (بِعَنِي الْحَسَنِ الْمُثَنَّى) بَيْنَ يَدَيْ عَمِّهِ الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَهُوَ فَارِسٌ، وَلَهُ يَوْمَئِذٍ عِشْرُونَ سَنَةً، وَقِيلَ: تِسْعُ عَشْرَةَ سَنَةً، وَأَصَابَتْهُ ثَمَانُ عَشْرَةَ جِرَاحَةً حَتَّى ارْتَثَتْ، وَوَقَعَ فِي وَسْطِ الْقَتْلِ، فَحَمَلَهُ خَالَةُ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ الْفَزَارِيَّةِ، وَرَدَّهُ إِلَى الْكُوفَةِ وَدَاوَوْا جِرَاحَهُ، وَبَقِيَ عِنْدَهُ ثَلَاثَةٌ أَشْهُرٍ حَتَّى عُوْفِي وَسَلِمَ، وَانصَرَفَ إِلَى الْمَدِينَةِ» (٤).

وَقَالَ السَّيِّدُ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُهَنَّأِ الْعَلَوِيِّ الْحُسَيْنِيِّ الْعُبَيْدِيِّ الْحَلِيِّ الْفَقِيهِ النَّسَائِبِيُّ فِي مُشَجَّرَتِهِ (مَخْطُوطٌ):

١- انظر: الأعيان ١٢: ١٣٩، تاريخ دمشق ١٣: ٦٣، تهذيب الكمال ٦: ٩١.

٢- أمالي أبي القاسم الرَّجَّاجِيِّ: ٨.

٣- الإرشاد ٢ / ٢٥.

٤- المصابيح: ٣٧٩.



«قَاتَلَ (يعني الحسن المثنى) بَيْنَ يَدَيِ عَمِّهِ الْحَسَنِ بِكَرْبَلَاءَ، وَهُوَ فَارِسٌ، وَلَهُ عَشْرُونَ سَنَةً عِنْدَ الْقِتَالِ، وَقَتَلَ تِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، وَأَصَابَتْهُ جِرَاحَاتٌ، فَوَقَعَ فِي وَسْطِ الْقِتَالِ، فَحَمَلَهُ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ الْفَزَارِيُّ، وَرَدَّهُ إِلَى الْكُوفَةِ، وَأَنْصَرَفَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَمَاتَ بِهَا، وَدُفِنَ بِالْبَقِيْعِ».

وَيُلَاحِظُ التَّفَازُؤُ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ، وَالِاخْتِلَافُ الْحَاصِلُ بَيْنَهُمَا فِي قَوْلِ الْأَوَّلِ: «وَقِيلَ: تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً»، وَقَوْلِ الثَّانِي: «وَقَتَلَ تِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا»، مَعَ احْتِمَالِ وَقُوعِ التَّصْحِيفِ فِي أَحَدِهِمَا، فَإِنَّ السَّيِّدَ الْأَجَلَ رَضِيَ الدِّينَ أَبَا الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ طَاوُسِ الْحَسَنِيِّ الدَّوَادِيِّ (ت ٦٦٤هـ) نَقَلَ هَذَا الْحَبْرَ بِلَفْظٍ قَرِيبٍ عَنِ كِتَابِ الْمَصَابِيحِ لِلسَّيِّدِ أَبِي الْعَبَّاسِ الْحَسَنِيِّ، فِي كِتَابِهِ اللَّهْوَفِ عَلَى قَتْلِ الطُّفُوفِ، فَقَالَ مَا نَصُّهُ:

«وَرَوَى مُصَنِّفُ كِتَابِ الْمَصَابِيحِ أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ الْحَسَنِ الْمُثَنَّى، قَتَلَ بَيْنَ يَدَيِ عَمِّهِ الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سَبْعَةَ عَشَرَ نَفْسًا، وَأَصَابَتْهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ جِرَاحَةً، فَوَقَعَ، فَأَخَذَهُ خَالُهُ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ، فَحَمَلَهُ إِلَى الْكُوفَةِ وَدَاوَاهُ حَتَّى بَرَأَ، وَحَمَلَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ»^(١).

عَلَى أَنَّ الْعَلَامَةَ الْقَاضِيَّ الرَّيْدِيَّ أَحْمَدَ بْنَ سَعْدِ الدِّينِ بْنِ الْحَسَنِ الْمِسْوَرِيَّ (ت ١٠٧٩هـ) نَقَلَ فِي تَعْلِيْقَتِهِ عَلَى إِحْدَى نُسَخِ عُمْدَةِ الطَّلَبِ الْكُبْرَى التَّمِيمِيَّةِ، وَحِيَالَ تَرْجُمَةِ الْحَسَنِ الْمُثَنَّى شَيْئًا مِنْ كَلَامِ السَّيِّدِ أَبِي الْعَبَّاسِ، وَهُوَ مُوَافِقٌ لِمَا نَقَلْنَاهُ عَنْ كِتَابِهِ أَنْفًا مِنْ تَرَدُّدِهِ فِي عُمُرِهِ بَيْنَ عَشْرِينَ وَتِسْعَةَ عَشَرَ، فَاَلْحَكِي فِي كِتَابِ الْمَصَابِيحِ مِنْ نُسَخَةِ اللَّهْوَفِ يُوَافِقُ فِي الْوَجْهِ مَا نَقَلْنَاهُ عَنِ السَّيِّدِ الْعُبَيْدِيِّ، وَلَا إِشْكَالَ فِي فَارِقِ الْعِبَارَةِ بَيْنَ «تِسْعَةَ» وَ«سَبْعَةَ» لِتَشَابُهِهِمَا فِي الْكِتَابَةِ، فَيُحْتَمَلُ التَّصْحِيفُ أَوْ الْاِشْتِبَاهُ فِي الْفِرَاءَةِ، وَنَظِيرُهُ يَقَعُ كَثِيرًا، وَالْمُهْمُ وَحْدَةُ الْمَعْنَى، وَهَذَا حَاصِلُ بَيْنَهُمَا.

وَأَمَّا مَا نَقَلَهُ الْقَاضِي أَحْمَدُ بْنُ سَعْدِ الدِّينِ عَنِ الْمَصَابِيحِ، فَلَا يَعْنِي صِحَّةَ مَا فِي نُسَخَتِهِ مِنَ الْكِتَابِ، أَوْ صِحَّةَ النُّسخِ الْمُعْتَمَدَةِ فِي مَطْبُوعِ الْكِتَابِ وَإِنْ وَافَقَتْهَا؛ لِمَا سَتَعْرِفُهُ قَرِيبًا مِنْ أَنَّ الْكِتَابَ لَا يَسْلَمُ مِنَ الْعَبَثِ وَالتَّصْحِيفِ، مُضَافًا إِلَى أَنَّ الْقَاضِيَّ مُتَأَخَّرٌ جَدًّا عَنِ عَصْرِ السَّيِّدِ ابْنِ طَاوُسٍ وَعَصْرِ تَلْمِيْذِهِ السَّيِّدِ الْعُبَيْدِيِّ، فَلَا حِظَّ.

وَعِبَارَةُ السَّيِّدِ الْعُبَيْدِيِّ جَلِيَّةٌ لَا تَحْتَمِلُ التَّصْحِيفَ لِذَلَالَتِهَا بِظَاهِرِ لَفْظِهَا عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ بِهَا، وَدَفَعَهَا أَيَّ جِهَالَةٍ أَوْ نَكَارَةٍ بِتَوْجِيهِ الْعَدَدِ بِالرِّجَالِ، وَأَيًّا كَانَ الصَّحِيْحُ، فَإِنْ قُلْنَا: إِنَّ عِبَارَةَ السَّيِّدِ أَبِي الْعَبَّاسِ خَالِيَةٌ عَنِ التَّصْحِيفِ، فَإِنَّ تَحْدِيدَ عُمُرِ الْحَسَنِ بِعَشْرِينَ سَنَةً يَوْمَ الطَّفِّ مُقَدَّمٌ فِيهَا وَالثَّانِي أَوْرَدَهُ بِصِبْغَةِ التَّمْرِضِ، فَلِأَوَّلِ

بِعَضِّدُهُ قَوْلُ السَّيِّدِ الْعُبَيْدِيِّ فَهُوَ مُوَافِقٌ لَهُ، فَلَاحِظْ.

وَكَانَ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ حَوْلَةَ بِنْتِ مَنْظُورٍ كَانَتْ أَوْلَى تَحْتَ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَفُتِلَ عَنْهَا فِي مَوْقِعَةِ الْجَمَلِ، فَتَرَوَّجَهَا الْحَسَنُ الْمُجْتَبَى (عَلَيْهِ السَّلَام)، وَكَانَ الزَّوْجُ فِي الْمَدِينَةِ وَفِي حَيَاةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَام)، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ خَبْرُ زَوَاجِهِ مِنْهَا، وَمَوْقِعَةُ الْجَمَلِ الَّتِي فُتِلَ فِيهَا مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ كَانَتْ سَنَةَ سِتِّ وَثَلَاثِينَ، ثُمَّ كَانَتْ مَوْقِعَةُ صِفِّينَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ، ثُمَّ مَوْقِعَةُ النَّهْرَوَانِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ، وَالْحَسَنُ (عَلَيْهِ السَّلَام) مَعَ أَبِيهِ فِي الْعِرَاقِ فِي كُلِّ هَذِهِ السِّنِينَ لَمْ يُفَارِقْهُ، وَحَوْلَةُ فِي بَيْتِ أُخْتِهَا ثَمَاضِرَ بِنْتِ مَنْظُورِ زَوْجَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ فِي الْحِجَازِ، فَمِنَ الْبَعِيدِ أَنْ يَكُونَ الزَّوْجُ قَدْ حَصَلَ خِلَالَ هَذِهِ الْمُدَّةِ، وَالْأَقْرَبُ وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ وَقَعَ بَعْدَ مَوْقِعَةِ النَّهْرَوَانِ، وَعَلَيْهِ فَيَكُونُ زَوَاجُهُ (عَلَيْهِ السَّلَام) مِنْهَا فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ.

وَكَانَتْ حَوْلَةُ قَدْ وُلِدَتْ لَهُ الْحَسَنُ الْمُثَنَّى بَعْدَ عَامٍ كَامِلٍ عَلَى زَوَاجِهِمَا، فَقَدْ رَوَى الرَّجَّاجِيُّ فِي أَمَالِيهِ، بِإِسْنَادِهِ إِلَى عُمَرَ بْنِ شَبَّةٍ، قَالَ:

«تَزَوَّجَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِمَا - حَوْلَةَ بِنْتِ مَنْظُورِ بْنِ زَبَّانٍ، فَأَقَامَتْ عِنْدَهُ حَوْلًا لَا تَكْتَحِلُ وَلَا تَتَزَيَّنُّ، حَتَّى وُلِدَتْ لَهُ ابْنًا، فَدَخَلَ عَلَيْهَا وَقَدْ تَرَيَّنَتْ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَتْ: خِفْتُ أَنْ أَتَزَيَّنَّ وَأَتَصَنَّعَ فَيَقُولَ الْبِيسَاءُ: بَجَمَلْتِ فَلَمْ تَرَ عِنْدَهُ شَيْئًا، فَأَمَّا وَقَدْ جَاءَ هَذَا فَلَا أُبَالِي»^(١).

تاريخ ولادته ومبلغ عمره:

وَالْحَسَنُ هُوَ أَكْبَرُ أَوْلَادِهِ (عَلَيْهِ السَّلَام) مِنْهَا كَمَا لَا يَحْفَى، وَكَانَ لَهُ يَوْمَ الطَّفِّ عَشْرُونَ سَنَةً، وَعَلَيْهِ فَتَكُونُ وِلَادَتُهُ سَنَةَ أَرْبَعِينَ لِلْهِجْرَةِ، فِي السَّنَةِ الَّتِي اسْتَشْهَدَ فِيهَا جَدُّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَام)، وَهُوَ الصَّحِيحُ الَّذِي يُرْكَنُ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

قَالَ السَّيِّدُ صَفِيُّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ الْعَلَوِيِّ الْحَسَنِيِّ الطَّبَّاطَبَائِيُّ الْحَلَبِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ طَبَّاطَبَا وَابْنِ الطَّفِّقِيِّ فِي كِتَابِهِ الْمُخْتَصَرِ فِي أَخْبَارِ مَشَاهِيرِ الطَّلَبِيَّةِ وَالْأَثَمَةِ الْإِثْنِي عَشَرَ، حَاكِيًا مَبْلَغَ عُمَرَ الْحَسَنِ الْمُثَنَّى: «وَتُوِّيَ وَلَهُ مِنْ الْعُمُرِ خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً»^(٢).

وَكَذَا قَالَ فِي كِتَابِهِ الْأَصْبَلِيِّ أَنَّهُ عَاشَرَ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً^(٣)، وَبِمِثْلِهِ قَالَ السَّيِّدُ ابْنُ عِنَبَةَ فِي الْعُمْدَةِ الْكُبْرَى

١- أَمَالِي الرَّجَّاجِيِّ : ٧.

٢- الْمُخْتَصَرُ فِي أَخْبَارِ مَشَاهِيرِ الطَّلَبِيَّةِ وَالْأَثَمَةِ الْإِثْنِي عَشَرَ : ٢٤٠.

٣- الْأَصْبَلِيُّ : ٦٣.



التَّيْمُورِيَّةَ (مخطوط) والوسطى الجلالية^(١)، وقبَلَهُمَا قاله الشَّيْخُ الْمُفِيدُ في الإرشاد^(٢)، والسَّيِّدُ أَبُو إِسْمَاعِيلَ الطَّبَّاطِبَائِيَّ في المُتَّقَلَّةِ^(٣)، وأمِينُ الْإِسْلَامِ أَبُو عَلِيٍّ الطَّبْرَسِيُّ في إعلامِ الْوَرَى^(٤)، وغيرهم.

وهذه الرِّوَايَةُ في تحديدِ عُمُرِهِ بِخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً هِيَ رِوَايَةُ الشَّيْخِ الْفَاضِلِ أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيٍّ الْأَسَدِيِّ الْكُوفِيِّ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ دِينَارِ النَّسَّابَةِ الْمُشَجَّرِ الْقَدِيمِ، رَوَاهَا عَنْهُ السَّيِّدُ الْعُمَرِيُّ في الْمُجَدِّي^(٥).

ورِوَايَةُ الْحَافِظِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ التَّمِيمِيِّ الْجِعَابِيِّ الْقَاضِي، شَيْخِ شَيْخَيْنَا الصَّدُوقِ وَالْمُفِيدِ، رَوَاهَا في كِتَابِهِ تَارِيخِ الطَّالِبِينَ - كَمَا حَكَاهُ عَنْهُ الْحَافِظُ مُعَلِّطَايَ بْنِ قَلِيحٍ في إِكْمَالِ التَّهْذِيبِ - عَنْ مُوسَى الْجُونَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَضِرِيِّ، قَالَ: «مَاتَ الْحَسَنُ وَلَهُ خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً»^(٦).

وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْخُ الْمُفِيدُ قَدْ رَوَاهَا عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ رَوَى عَنْهُ سَائِرَ كُتُبِهِ بِمَا فِيهَا كِتَابُهُ تَارِيخِ الطَّالِبِينَ، أَوْ أَخْبَارِ آلِ أَبِي طَالِبٍ، كَمَا سَمَّاهُ شَيْخُنَا أَبُو الْعَبَّاسِ النَّجَاشِيُّ في رِجَالِهِ^(٧)، فَلاَحِظْ.

وَالْفَائِدَةُ؛ فَإِنَّ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ دِينَارِ الْأَسَدِيِّ الْكُوفِيَّ النَّسَّابَةَ، وَأَبَا بَكْرَ الْجِعَابِيَّ، مُعَاَصِرَانِ لِبَعْضِهِمَا، وَابْنُ دِينَارِ أَسَنُ مِنَ الْجِعَابِيِّ، وَثُوبِيُّ قَبْلَهُ، وَاللَّطِيفُ في رِوَايَةِ الْجِعَابِيِّ أَنَّهُ حَكَاهَا عَنْ مُوسَى الْجُونَ، وَالْجِعَابِيُّ جَلِيلٌ أَمِينٌ في نَقْلِهِ كَمَا لَا يَخْفَى، فَإِنْ صَحَّحَتْ فَهِيَ حُجَّةٌ لَا تُدْفَعُ أَبَدًا، فَمُوسَى أَدْرَى بِجَدِّهِ مِنْ غَيْرِهِ، وَلَعُمْرِي هِيَ صَحِيحَةٌ لَكِنْ لَيْسَ بِالْوَجْهِ الَّذِي حُكِيَ، بَلْ كَمَا سَتَعْرِفُهُ عَمَّا قَرِيبَ.

وَكَمَا تَرَى فَإِنَّ هَذَا الْجَمْعَ مِنْ أَجْلَاءِ الْأَعْلَامِ اتَّفَقُوا عَلَى تَحْدِيدِ عُمُرِ الْحَسَنِ الْمُثَنَّى بِخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَأَرْسَلُوهُ إِرسَالَ الْمُسْلِمَاتِ، وَهَذَا لَا يَتِمُّسُّ أَبَدًا؛ إِذْ إِنَّ لِلْحَسَنِ حَادِثَةً مَشْهُورَةً مَعَ الْحَجَّاجِ، حِينَما طَلَبَ إِلَيْهِ الْأَخِيرُ - وَكَانَ يَوْمَئِذٍ وَالِيًا لِعَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى الْمَدِينَةِ - أَنْ يُشْرِكَ مَعَهُ عَمَّهُ عُمَرَ بْنَ عَلِيٍّ في صَدَقَاتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَامْتَنَعَ الْحَسَنُ وَأَبَى أَنْ يُعَيَّرَ شَرْطَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في أَنْ تُخْرَجَ صَدَقَاتُهُ إِلَى غَيْرِ وَوَلَدِهِ مِنْ فَاطِمَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَرَادَ الْحَجَّاجُ أَنْ يُدْخَلَ عَمَرَ فِيهَا رُغْمًا عَنْهُ، فَوَفَدَ الْحَسَنَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يَشْتَكِي الْحَجَّاجَ إِلَيْهِ، فَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا يَمْنَعُ الْحَجَّاجَ مِنْ مُعَارَضَتِهِ فِي صَدَقَاتِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

١- العمدة الكبرى التيمورية (مخطوط) والوسطى الجلالية: ١٠٠.

٢- الإرشاد: ٢٥ / ٢.

٣- المتقلة: ٣٠٨.

٤- إعلام الورى: ١: ٤١٨.

٥- المجدي: ٢٢١، رواها عن الشيخ الفاضل أبي الحسن محمد بن إبراهيم بن علي الأسدي الكوفي المعروف بابن دينار النسابة المشجر القديم.

٦- إكمال التهذيب: ٤: ٧٧.

٧- رجال النجاشي: ٣٩٥.

ولا يخفى أَنَّ الْحَجَّاجَ وَوَلِيَّ الْحِجَازِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَعُزِّلَ عَنْهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ، وَعَلَيْهِ فَالْحَادِثَةُ الْمَذْكُورَةُ وَقَعَتْ بَيْنَ هَذَيْنِ الْعَامِينَ.

وقد عَرَفَتْ أَنَّ وِلَادَةَ الْحَسَنِ الْمُثَنَّى كَانَتْ سَنَةَ أَرْبَعِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ، فَإِذَا أَضْفَعْنَا إِلَيْهَا مَا رُوِيَ بِأَنَّهَ عَاشَرَ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، تَكُونُ وَفَاتُهُ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ، أَيْ فِي السَّنَةِ الَّتِي عُزِّلَ فِيهَا الْحَجَّاجُ عَنِ وِلَايَةِ الْحِجَازِ، وَهَذَا لَا شَكَّ بَاطِلٌ وَمَرْدُودٌ، وَلَا يُمَكِّنُ التَّصَدِيقُ بِهِ قِطْعًا، وَلَمْ يُقَلَّ بِهِ أَحَدٌ مُطْلَقًا.

ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ تُوفِّيَ سَنَةَ سِتِّ وَثَمَانِينَ، وَوُجُودُ الْحَسَنِ فِي الْحَيَاةِ أَيَّامَ مُلْكِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ، وَالْأَخْبَارُ الْمُنْقُولَةُ دَالَّةٌ عَلَى ذَلِكَ.

وَدَكَرَ السَّيِّدُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ الْحَسَنِيُّ الدَّوْدِيُّ فِي الْمَصَابِيحِ أَنَّ الْحَسَنَ تُوفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، ثُمَّ عَقَّبَ بِقَوْلِهِ: «وَقِيلَ: سَبْعٌ وَثَلَاثِينَ»^(١). وَلَمْ أَقِفْ عَلَى أَحَدٍ مِمَّنْ تَقَدَّمَ عَلَيْهِ قَالَ بِمِثْلِهِ سِوَاهُ، وَأَيْضًا هَذَا مَرْدُودٌ كَسَابِقِهِ.

وَدَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْمُنْتَظَمِ أَنَّ الْحَسَنَ الْمُثَنَّى تُوفِّيَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ، كَمَا فِي وَفَيَاتِ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ مِنْ كِتَابِهِ، وَعَلَيْهِ فَوْفَاتُهُ كَانَتْ فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ^(٢).

وَدَكَرَ الصَّفَدِيُّ فِي الْوَائِي، أَنَّ وَفَاتَهُ كَانَتْ فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ عَقَّبَهُ بِقَوْلِهِ: «وَقِيلَ: سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ»^(٣)، ثُمَّ يُرْشِدُ إِلَى أَنَّ الْأَوَّلَ هُوَ الْمَشْهُورُ.

وَالثَّانِي إِذَا هُوَ قَوْلٌ لَا أَكْثَرَ، وَهُوَ قَوْلُ شَيْخِهِ الدَّهَبِيِّ فِي تَارِيخِهِ - وَأُظُنُّ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قَالَ بِهِ فِيمَا يَظْهَرُ لِي، يُقَوِّمُهُ قَوْلُ ابْنِ حَجَرٍ فِي تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ: «قَرَأْتُ بِحِطِّ الدَّهَبِيِّ: مَاتَ سَنَةَ ٩٧» - وَذَكَرَهُ فِي الطَّبَقَةِ الْعَاشِرَةِ، فِي وَفَيَاتِ سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ^(٤)، وَأَيْضًا فِي تَرْجُمَةِ الْحَسَنِ مِنْ رِجَالِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ^(٥).

وَتَابَعَهُ تَلْمِيزُهُ ابْنَ كَثِيرٍ فِي الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ فِي تَرْجُمَةِ الْحَسَنِ مِنْ وَفَيَاتِ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ^(٦)، بِخِلَافِ تَلْمِيزِهِ الْآخَرَ الصَّفَدِيِّ، الَّذِي - وَكَمَا تَقَدَّمَ - أَثْبَتَ التَّارِيخَ الْأَوَّلَ؛ لِكُونِهِ الْمَشْهُورِ، وَسَاقَ الثَّانِي بَعْدَهُ بِصِغَةِ التَّمْرِيطِ، كَمَا يَلُوحُ مِنْ كَلَامِهِ.

١- المصابيح : ٣٨٢

٢- المنتظم : ٦ : ٣٠١.

٣- الوائى بالوفيات ١١ : ٤١٦.

٤- تهذيب التهذيب لابن حجر ٢ : ١٠٤٣.

٥- تهذيب التهذيب ٢ : ١٠٧٩.

٦- في البداية والنهاية ٩ : ١٧٠.



ثُمَّ إِنَّ الدَّهْيَّيَّ حَصَلَ لَهُ تَرَدُّدٌ بَعْدَ ذَلِكَ فِي تَحْدِيدِ سَنَةِ وِفَاتِهِ كَمَا فِي ذَيْلِ تَرْجُمَةِ الْحَسَنِ الْمُتَنَبِّئِ مِنْ كِتَابِهِ السِّيَرِ، فَقَالَ: «تُوِّفِيَ الْحَسَنُ بْنُ الْحَسَنِ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ. وَقِيلَ: فِي سَبْعٍ وَتِسْعِينَ»^(١)، وَكِلَاهُمَا لَا يَتَّفِقُ مَعَ زَمَنِ الْوَلِيدِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ.

وَتَابَعَ ابْنُ حَجَرٍ فِي تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ، وَتَقْرِيبِ التَّهْذِيبِ الدَّهْيَّيَّ فِي تَارِيخِهِ، فَذَكَرَ أَنَّ الْحَسَنَ الْمُتَنَبِّئَ تُوِّفِيَ سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ، وَزَادَ فِي التَّقْرِيبِ فَقَالَ: «وَلَهُ بِضْعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً»^(٢).

وَالتَّارِيخُ الْأَوَّلُ، أَي أَنَّهُ تُوِّفِيَ فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، هُوَ الْمُعَوَّلُ عَلَيْهِ، لِكَوْنِهِ الْمَشْهُورِ وَالتَّابِتِ عِنْدَ النَّسَابِينَ، وَهُمْ الْأَعْلَمُ وَالْأَخْبَرُ، بِخَاصَّةٍ أَنَّ الْقَائِلِينَ بِهِ مِنْهُمْ مُتَقَدِّمُونَ زَمَنًا، وَهُمْ شُيُوخُ هَذَا الْعِلْمِ وَأَرْبَابُهُ، فَعَنْ شَيْخِنَا الرَّئِيسِ السَّيِّدِ أَبِي الْحَسَنِ الْعَلَوِيِّ الْعُمَرِيِّ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الصُّوَيْفِيِّ فِي كِتَابِهِ الْمَجْدِيِّ، عَنِ السَّيِّدِ أَبِي الْقَاسِمِ الْحَسَنِ ابْنِ خِدَاعِ الْعَلَوِيِّ الْأَرْقَطِيِّ الْمِصْرِيِّ النَّسَابَةِ، قَالَ: «مَاتَ الْحَسَنُ الْمُتَنَبِّئُ أَيَّامَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ»^(٣). قَالَ السَّيِّدُ أَبُو الْحَسَنِ الْعُمَرِيُّ مُعَقِّبًا: «هَذَا قَوْلٌ صَحِيحٌ عِنْدِي».

«وَتَوَارَى الْحَسَنُ بْنُ الْحَسَنِ بِأَرْضِ الْحِجَازِ وَتَهَامَةَ، حَتَّى مَاتَ عَبْدِ الْمَلِكُ بْنُ مَرْوَانَ، فَلَمَّا وُلِيَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ اشْتَدَّ طَلْبُهُ لِلْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ، حَتَّى دَسَّ إِلَيْهِ مِنْ سَقَاةِ السُّمِّ، وَحُمِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ مَمِيئًا عَلَى أَعْنَاقِ الرِّجَالِ، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ»^(٤).

وَقَالَ السَّيِّدُ أَبُو إِسْمَاعِيلِ الطَّبَاطِبَائِيُّ فِي الْمُتَقَلِّبَةِ: «فَتَلَّهُ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ صَبْرًا»^(٥).

وَقَالَ السَّيِّدُ ابْنُ عِنَبَةَ فِي الْعُمَدَةِ الْوَسْطَى الْجَلَالِيَّةِ: «وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ قَدْ دَعَا إِلَيْهِ وَبَايَعَهُ، فَلَمَّا قُتِلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ تَوَارَى الْحَسَنُ حَتَّى دَسَّ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنْ سَقَاةِ سُمِّ، فَمَاتَ».

قُلْتُ: وَكَلَامُهُ أَشْبَهُ بِكَلَامِ السَّيِّدِ أَبِي الْعَبَّاسِ، فَتَأَمَّلْ.

وَالْمُتَحَصِّلُ مِنْ هَذِهِ الْأَخْبَارِ هُوَ أَنَّ وِفَاةَ الْحَسَنِ الْمُتَنَبِّئِ كَانَتْ فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ لِتَلَفُظِ النُّصُوصِ الْوَارِدَةِ فِيهِ، بِحَيْثُ صَارَ يُمَكِّنُنَا الْجَزْمَ بِذَلِكَ بِنَاءً عَلَى مَا تَقَدَّمَ نَقْلُهُ، وَيُطْرَحُ قَوْلُ الدَّهْيَّيَّ لِتَأَخُّرِهِ وَشِدُوذِهِ بِقَوْلِهِ عَمَّنْ سَبَقَهُ، ثُمَّ تَرَدُّدِهِ، وَكَذَلِكَ يُطْرَحُ قَوْلُ مَنْ تَابَعَهُ وَتَأَخَّرَ عَنْهُ؛ لِأَنَّ مَدَارَهُمْ عَلَيْهِ، وَيُنْظَرُ مَا

١- سِيرَ أَعْلَامِ النَبَلَاءِ ٤ : ٤٨٦.

٢- تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ ٢ : ٢٦٣، تَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ ١٥٩.

٣- الْمَجْدِيِّ ٢٢١، عَنِ السَّيِّدِ أَبِي الْقَاسِمِ الْحَسَنِ ابْنِ خِدَاعِ الْعَلَوِيِّ الْأَرْقَطِيِّ الْمِصْرِيِّ النَّسَابَةِ.

٤- الْمَصَابِيحُ ٣٨٢.

٥- الْمُتَقَلِّبَةُ ٣٠٨.

حكاة ابن حجرٍ في مَبْلَغِ عُمَرِ الْحَسَنِ مِنْ قَوْلِهِ: «بِضْعٍ وَخَمْسُونَ سَنَةً».

سنة وفاته وبيعته لابن الأشعث:

وبعد أن عَرَفَتْ هذا وَأَنَّ ما يُرَكَّنُ إِلَيْهِ وَيُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي وفاةِ الْحَسَنِ أَمْهَا كَانَتْ فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، بَقِيَ أَنْ تُعَيَّنَ سَنَةُ وفاته، وقد عَرَفَتْ أَيْضًا مِنْ كَلَامِ السَّيِّدِينَ أَبِي الْعَبَّاسِ وَابْنِ عَيْنَةَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْكِنْدِيَّ كَانَ قد دَعَا وَبَايَعَ لِلْحَسَنِ الْمُثَنَّى، فَلَمَّا قُتِلَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ تَوَارَى الْحَسَنُ حَتَّى دَسَّ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مَنْ سَقَاهُ السَّمَّ فَمَاتَ.

وكانَ السَّيِّدُ أَبُو الْعَبَّاسِ قد رَوَى - فِي مَعْرُضِ كَلَامِهِ عَنْ بَيْعَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ لِلْحَسَنِ الْمُثَنَّى - أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَبَعْدَ أَنْ خَلَعَ عَبْدَ الْمَلِكِ وَالْحِجَّاجَ هَمَّ بِأَنْ يَدْعُوهُ إِلَى نَفْسِهِ، فَمَنَعَهُ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ عُلَمَاءِ الْعِرَاقِ مِنْ أَنْ يَفْعَلَ، وَخَوْفُهُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَلْتَمِمْ إِلَّا بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ.

فَأَفْرَظَهُمْ، فَكُتِبُوا إِلَى زَيْنِ الْعَابِدِينَ (عَلَيْهِ السَّلَام) فَاثْتَمَعَ، وَإِلَى الْحَسَنِ فَتَوَقَّفَ فِي بَادِي الْأَمْرِ خَشِيئَةً أَنْ يَغْدِرُوا بِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ قَبِلَ مِنْهُمْ عَلَى مَضَضٍ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ وَرَدَتْ عَلَيْهِ كُتُبُهُمْ بِالْبَيْعَةِ وَالْإِيمَانِ الْمُعَلَّظَةِ، وَحَرَجَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ: عَبْدَ الرَّحْمَنِ ابْنَ أَبِي لَيْلَى، وَأَبُو الْبَحْرِيِّ الطَّائِي، وَالشَّعْبِيُّ، وَأَبُو وَائِلِ شَقِيقٍ، وَعَاصِمُ بْنُ ضَمْرَةَ السَّلُولِيُّ، هُوَلاءُ عَنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَعَنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ: مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الشَّحَّيرِ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَحَارِثَةُ بْنُ مُضَرَّبٍ، وَخَرِيشُ بْنُ قُدَّامَةَ، وَتَمَّوا الْحَسَنَ بِ«الرِّضَا».

ثُمَّ كَانَتْ الْحَرْبُ بَيْنَ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَالْحِجَّاجِ ثَلَاثَ سِنِينَ، ثُمَّ دَخَلَ ابْنَ الْأَشْعَثِ الْكُوفَةَ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ حَمْرَةَ بِنَ الْمُغِيرَةَ بِنَ شُعْبَةَ، وَقُدَّامَةُ الضُّبِّيُّ، وَابْنُ مَصْقَلَةَ الشَّيْبَانِيُّ، فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْفُرَّاءِ، فَقَالُوا لَهُ: أَظْهَرَ اسْمَ الرَّجُلِ فَقَدْ بَايَعَنَاهُ وَرَضِينَا بِهِ إِمَامًا وَرِضًا.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَظْهَرَ اسْمَهُ وَخَطَبَ لَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ أَسْقَطَ اسْمَهُ مِنَ الْخُطْبَةِ، ثُمَّ كَانَتْ وَقَعَةُ دَيْرِ الْجَمَّاجِمِ، فَاتَّخَذَ ابْنُ الْأَشْعَثِ وَمَضَى هَارِبًا، وَثَبَّتَ عَبْدُ اللَّهِ - كَذَا سَمَاءُ - بِنَ الْعَبَّاسِ بِنَ رَيْبَعَةَ ابْنَ الْحَارِثِ بِنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ عَلَى حَيْلِ ابْنِ الْأَشْعَثِ دَاعِيَةً لِلْحَسَنِ الْمُثَنَّى، فَاتَّخَذَ وَحَقَّقَ بَابِنَ الْأَشْعَثِ، هَذَا كَلَامُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا حَكَيْنَاهُ عَنْهُ مِنْ تَوَارِي الْحَسَنِ.

وَفِي هَذَا الْكَلَامِ نَظَرَ عِنْدِي، فَإِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ كَانَ قَائِدًا عَلَى جَيْشِ الْحِجَّاجِ الَّذِي أَرْسَلَهُ لِفَتْحِ بِلَادِ التُّرْكِ، وَمَلِكُهَا رُثَيْبِلُ، وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَرَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ أَحَقُّ مِنَ الْحِجَّاجِ بِإِمَارَةِ الْعِرَاقِ، بَلْ أَحَقُّ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ



بالخِلافةِ نَفْسِهَا، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحِجَّاجِ كُرْهُ شَدِيدٍ، فَدَفَعَتْهُ أَنْتَقَتْهُ وَحِيلَاؤُهُ وَكُرْهُهُ لِلْحِجَّاجِ إِلَى الْخُرُوجِ عَلَيْهِ وَخَلْعِ طَاعَتِهِ وَإِعْلَانِ نَفْسِهِ أَمِيرًا عَلَى الْعِرَاقِ.

وَمِنْ ثَمَّ خَلَعَ بِيَعَةَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَأَعْلَنَ نَفْسَهُ خَلِيفَةً وَبَايَعَهُ أَصْحَابُهُ عَلَى ذَلِكَ، وَالتَفَّ أَهْلُ الْعِرَاقِ حَوْلَهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ سَارَ مَعَهُ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ فَارِسٍ، وَمِائَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ رَاجِلٍ، وَأَيَّدَهُ فِي ثَوْرَتِهِ عَلَى الْحِجَّاجِ جَمْعٌ مِنْ فُقَهَاءِ الْكُوفَةِ وَقُرَّائِهَا وَصُلْحَائِهَا، لِمَا كَانَ مِنْ ظُلْمِ الْحِجَّاجِ وَجَوْرِهِ وَإِمَاتَتِهِ لَوْقَتِ الصَّلَاةِ، فَوَجَدُوا فِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ خِلَاصَهُمْ مِنَ الْحِجَّاجِ وَعَسَفِهِ، حَتَّى أَنْ شَعَارَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ وَصَحْبِهِ كَانَ: يَا لِنَارَاتِ الصَّلَاةِ.

وَجَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحِجَّاجِ وَقَائِعٌ كَثِيرَةٌ، كَانَ الظُّفْرُ فِي أَكْثَرِهَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَتَّى كَانَتْ وَقَعَةُ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ، وَفِيهَا اجْتَمَعَ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَخَلَعُوا عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ مُجَدِّدًا، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ - كَمَا فِي تَارِيخِ ابْنِ الْأَثِيرِ - «أَلَا إِنَّ بَنِي مَرْوَانَ يُعَيِّرُونَ بِالرِّزْقَاءِ، وَاللَّهِ مَا لَهُمْ نَسَبٌ أَصْحَحُ مِنْهُ، أَلَا إِنَّ بَنِي أَبِي الْعَاصِ أَعْلَاجٌ مِنْ أَهْلِ صَفُورِيَّةَ، فَإِنْ يَكُنْ هَذَا الْأَمْرُ فِي قَرِيشٍ فَعَيِّي فُقِّعَتْ بَيْضَةُ قَرِيشٍ، وَإِنْ يَكُنْ فِي الْعَرَبِ فَأَنَا ابْنُ الْأَشْعَثِ»^(١)، وَمَدَّ بِهَا صَوْتَهُ يُسْمِعُ النَّاسَ.

قَالَ كَاتِبُهُ أَبُو الْحَسَنِ الْمَوْسَوِيُّ - كَانَ اللَّهُ لَهُ -: لِأَنَّ أُمَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْأَشْعَثِ وَالِدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أُمُّ قُرَوَّةَ بِنْتُ أَبِي قُحَافَةَ، أُخْتُ أَبِي بَكْرٍ.

ثُمَّ إِنَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ انْهَزَمَ بَعْدَ حَرْبٍ طَوِيلَةٍ دَامَتْ نَحْوَ مِائَةِ يَوْمٍ، ثُمَّ انْهَزَمَ فِي وَقَعَةٍ مَسْكِينٍ أَيْضًا، فَهَرَبَ إِلَى رُثَيْبِلَ، فَأَمَّتُهُ، ثُمَّ غَدَرَ بِهِ، وَفَقَّتْهُ وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَى الْحِجَّاجِ، وَقِيلَ مَاتَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِالسُّلَيْ، فَفَطَعَ رُثَيْبِلَ رَأْسَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْفَنَ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْحِجَّاجِ، وَقِيلَ: إِنَّ رُثَيْبِلَ قَبَدَهُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى عُمَارَةَ عَامِلِ الْحِجَّاجِ، فَأَلْقَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ نَفْسَهُ مِنْ سَطْحِ فَمَاتَ، فَاحْتُرَّتْ رَأْسُهُ وَسُيِّرَ إِلَى الْحِجَّاجِ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ، وَقِيلَ: سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ.

وَمَنْ شَاءَ الاسْتِزَادَةَ فِي أَحْبَابِ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَثَوْرَتِهِ فَلْيَنْظُرْ: حَوَادِثُ سَنَةِ ثَمَانِينَ إِلَى سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ، وَتَارِيخِ ابْنِ الْأَثِيرِ، وَتَارِيخِ الدَّهَبِيِّ، وَحَوَادِثُ سَنَةِ ثَمَانِينَ إِلَى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ فِي تَارِيخِ ابْنِ كَثِيرٍ، وَلْيَنْظُرْ كَذَلِكَ: تَجَارِبُ الْأُمَمِ^(٢).

وَكَمَا تَرَى فَلَيْسَ لِلْحَسَنِ أَيُّ ذِكْرٍ أَوْ أَنْثَرٍ فِي ثَوْرَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَقَدْ عَرَفْتَ كَلَامَهُ وَكَيْفَ أَنَّهُ كَانَ يَرَى نَفْسَهُ

١- تاريخ ابن الأثير ٣: ٤٩٦.

٢- تجارب الأمم ١: ٢٢١ - ٢٤٤.

مُسْتَحَقًّا لِلخَلْفَةِ، وَكَأَنَّ يُزِيلُ بِثَوْرَتِهِ سُلْطَانَ بَنِي أُمَيَّةَ، وَقَدْ اسْتَوْعَبَ الْمُؤَرِّخُونَ أَحْبَارَ خُرُوجِهِ وَثَوْرَتِهِ، وَفَصَّلُوا فِي أَسْبَابِهَا وَأَحْدَاثِهَا وَمُجْرِيَاتِهَا وَوَقَائِعِهَا.

وَمَا ذَكَرُوهُ مِنْ حَالِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَطِبَاعِهِ لَا يُحْتَمَلُ بِمِثْلِهِ أَنْ يُودِعَ ثَوْرَتَهُ فِي أَحَدٍ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ، وَأَنْ يُقَدِّمَ عَلَى مُبَايَعَتِهِ وَالِدَعْوَةَ لَهُ، يُضَافُ إِلَيْهِ أَيْضًا أَنَّ الرَّجُلَ ابْنَ مُحَمَّدَ بْنِ الْأَشْعَثِ، وَهُوَ مَنْ دَلَّ أَبَاهُ عَلَى مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ، وَأَبُوهُ مَنْ قَادَ عَسْكَرَ ابْنِ زِيَادٍ لِقِتَالِهِ ثُمَّ سَلَّمَهُ لِابْنِ زِيَادٍ، ثُمَّ شَرِكَ فِي دَمِ الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَجَدَّهُ الْأَشْعَثُ كَانَ مِنْ أَشَدِّ الْمُتَحَرِّفِينَ عَنْ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَمَنْ شَرِكَ فِي دَمِهِ، وَعَمَّهُ قَيْسُ بْنُ الْأَشْعَثِ مِمَّنْ شَرِكَ فِي دَمِ الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَعَمَّتُهُ جَعْدَةُ كَانَتْ زَوْجَةَ الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَهِيَ الَّتِي سَفَتَهُ السُّمَّ فَقَتَلَتْهُ.

وَكَانَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مِمَّنْ قَاتَلَ الْمُخْتَارَ التَّقْفِيَّ إِلَى جَانِبِ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَأَيَّنَ هَذَا مِنَ الْحَسَنِ الْمُتَنَبِّئِ، وَأَيَّنَ الْحَسَنُ مِنْهُ وَمِنْ أَحْبَارِهِ وَوَقَائِعِهِ، فَالرَّجُلُ أَبْعَدُ مَا يَكُونُ عَنْ الْعَلَوِيِّينَ، وَلَوْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ هَذَا الْأَمْرَ فِي بَنِي هَاشِمٍ لَكَانَ فَعَلًا.

فَإِنَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ الْعَبَّاسِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْهَاشِمِيِّ كَانَ مِنْ قَادَتِهِ، وَمَنْ أْبَلَى مَعَهُ بِلَاءَ حَسَنًا، وَلَمَّا مَضَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنَ الْأَشْعَثِ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى الْكُوفَةِ وَتَبَّ الْبَصْرِيُّونَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْعَبَّاسِ الْهَاشِمِيِّ فَبَايَعُوهُ أَمِيرًا عَلَيْهِمْ، فَقَاتَلَ بِهِمْ خَمْسَ لَيَالٍ أَشَدَّ الْقِتَالِ، ثُمَّ لَحِقَ بِابْنِ الْأَشْعَثِ إِلَى الْكُوفَةِ.

فَلَوْ أَنَّ الْأَخِيرَ أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ الْأَمْرَ فِي أَحَدٍ مِنْ قُرَيْشٍ أَوْ بَنِي هَاشِمٍ لَوَضَعَهَا فِي يَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْهَاشِمِيِّ، عَلَى أَنَّ الْمُؤَرِّخِينَ لَمْ يَعْلَمُوا عَنْ اسْمِ هَذَا الْأَخِيرِ وَأَحْبَارِهِ فِي هَذِهِ الثَّوْرَةِ، فَلَوْ كَانَ لِلْحَسَنِ الْمُتَنَبِّئِ أَثَرٌ فِيهَا لَمَا أَغْفَلُوهُ، وَأَتَى لِمِثْلِ هَذَا أَنْ يُعْفَلَ عَنْهُ أَوْ يُتْرَكَ ذِكْرُهُ؟!.

ثُمَّ لَا تَعْفَلُ عَنْ مَا تَقَدَّمَ إِيْرَادُهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الْأَشْعَثِ فِي ذَيْرِ الْجَمَاجِمِ وَبَعْدَ أَنْ أَعَادَ الْعَرِاقِيُّونَ خَلَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَقَامَ فِيهِمْ خَاطِبًا، فَقَالَ: «فَإِنْ يَكُنْ هَذَا الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ فَعَنِّي فُقِفْتُ بِبَيْضَةِ قُرَيْشٍ، وَإِنْ يَكُنْ فِي الْعَرَبِ فَأَنَا ابْنُ الْأَشْعَثِ»، وَمَدَّ بِهَا صَوْتَهُ يُسْمِعُ النَّاسَ.

وَأَمَّا الْأَسْمَاءُ الَّتِي ذَكَرَ السَّيِّدُ أَبُو الْعَبَّاسِ - فِيمَا تَقَدَّمَ نَقْلُهُ عَنْهُ - أَنَّهَا وَقَدَّتْ عَلَى الْحَسَنِ بِكُتُبِ الْعَرِاقِيِّينَ ثَبَايِعُهُ؛ فَإِنَّ فِيهِمْ مَنْ لَا ذِكْرَ لَهُ وَلَا أَثَرَ فِي ثَوْرَةِ ابْنِ الْأَشْعَثِ، بَلْ فِيهِمْ مَنْ اسْتَهْرَ اعْتِرَالُهُ عَنْهَا مُنْذُ بَدَايِئِهَا، تَعَمَّ، عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى الْفَقِيهِيُّ، وَأَبُو الْبَحْتَرِيِّ الطَّائِيِّ مَوْلَاهُمْ؛ حَرَجًا وَقِتْلًا فِي الْحَرْبِ، وَكَذَلِكَ حَرَجَ الشَّعْبِيُّ - وَهُوَ عَامِرُ الْفَقِيهِيُّ الْكُوفِيُّ الْمَعْرُوفُ - ثُمَّ عَفَا الْحَجَّاجُ عَنْهُ بَعْدَ أَنْ اعْتَدَرَ وَأَطَهَرَ النَّدَامَةَ عَلَى خُرُوجِهِ.

وأما أبو وائل شقيق - وهو شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي - وعاصم بن ضمرة السلولي، فلم يُذكرَا فيمن حُرِّجَ على الحجاج، وليس لهما أيُّ خبرٍ أو أثرٍ في أخبار ابن الأشعث وثورته.

وأما محمد بن سيرين؛ فلم يُخرِّج، وهذا من الأمور المشهورة، حتى أنَّ الحافظ العجلي قال في معرفة الثقات: «لم يُنحَ من فتنَةِ ابن الأشعث بالبصرة إلا رجُلان: محمد بن سيرين، ومطرف بن عبد الله بن الشَّخِير»^(١).

وأما عبد الرحمن بن الشَّخِير؛ فلا يُعرَفُ اسمُ كهذا، وقد ذَكَرَ الإمام عبد الله بن حمزة الزَّيْدِيُّ (ت ٤٦١ هـ) في الشَّافِي (٢) محلَّة: عبد الله بن الشَّخِير، وهذا الاسمُ صحيح.

ولا أدري هل غلطَ فيه أبو العباس وصوبَهُ صاحبُ الشَّافِي، أم أنَّ تصحيحًا نال نُسخةَ المصاييح، أم أنَّ صاحبَ المصاييح وهَمَّ في اسمِ الرَّجُل؟

أيًّا كان؛ فإنَّ كانَ عبد الرحمن؛ فلا يُعرَفُ اسمُ كهذا، فهو مجهول، وإنَّ كانَ عبد الله؛ فهو عبد الله بن الشَّخِير العامريُّ الحرشي، وكانَ صحابيًا رَوَى عن النَّبِيِّ ﷺ، ولا يُظنُّ أنَّه أدركَ ثورة ابن الأشعث، بل من البعيد جدًّا أن يكونَ قد أدركها، والذي يُذكرُ فيها فهو ولدهُ مطرفُ الفقيه، وحالُه معلومةٌ في كونه لم يُخرِّجَ على الحجاج، وقد تقدَّم ما قاله الحافظُ العجليُّ عندَ الكلام على ابن سيرين.

وأما الحسنُ البصريُّ؛ فلم يُخرِّجَ مع ابن الأشعث، وكانَ يتهى عن الخروج على الحجاج، وقيل: أكرهَ على الخروج، فلمَّا غفلوا عنه هَرَبَ واعتزل. فأينَ هذا من أن يأتي المدينة ويكونَ رأسًا في بيعة الحسنِ المثنَّى؟!.

وأما حارثُ بن مُضَرَّب؛ فهو كوفيٌّ وليسَ بصريًّا، وكانَ ممن أدركَ النَّبِيَّ ﷺ فيما قيل، ولا يُظنُّ بأنَّه أدركَ ثورة ابن الأشعث، وبالجملة فلا ذَكَرَ ولا حَبَرَ له في ثورته.

وأما حريشُ بن قدامة؛ وهو أبو قدامة الضُّبَعِيُّ؛ فقد ذَكَرَهُ البُخَارِيُّ في التَّارِيخِ الكَبِيرِ (٣)، ولمَّ أجدَ مَنْ ذَكَرَهُ في أخبار ابن الأشعث وثورته، ووجدتُ مَنْ اسْمُهُ قُدَامَةُ بن الحريش التَّمِيمِي، كانَ مع ابن الأشعث في دَيرِ الجَمَاحِمِ، ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ في تاريخه عن الواقدي في حَبْرِ اقْتِتَالِهِ مع سعيدِ الحرشي، ووصفَهُ بأنَّه: «رجُلٌ من أهلِ العِراق»^(٤)، ممَّا يدلُّ على كونه مجهولًا.

وهناك مَنْ اسْمُهُ قُدَامَةُ بن الحريش الكوفيُّ، عدَّهُ الشَّيْخُ الطُّوسِيُّ في رجاله من أصحابِ أبي عبد الله ﷺ، ومن

١- معرفة الثقات ٢ : ٢٨٢

٢- الشَّافِي للإمام عبد الله بن حمزة الزَّيْدِيُّ ١ : ٥٧٨

٣- التَّارِيخِ الكَبِيرِ ٣ : ١١٤

٤- تاريخ الطبري ٦ : ٣٦١ عن الواقدي.

البعيد أن يكون مُتَّحِدًا مع قُدَامَةَ بن الحَرِيشِ التَّمِيمِيِّ الَّذِي ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ فِي حَرْبِ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ، وَأَنْ يَكُونَ أَدْرَكَ إِمَامَةَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ). إِضَافَةً إِلَى كَوْنِ بَنِي تَمِيمٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ لَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ كَمَا لَا يَخْفَى.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا التَّمِيمِيُّ هُوَ الْمَعْنَى بِكَلَامِ أَبِي الْعَبَّاسِ فِي الْمَصَابِيحِ؛ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ تَمِيمِيٌّ وَمِنْ تَمِّ فَهُوَ بَصْرِيٌّ، وَإِنْ صَحَّ هَذَا فَيَكُونُ السَّيِّدُ أَبُو الْعَبَّاسِ قَدْ وَهَمَ فِي اسْمِهِ، وَخَلَطَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَرِيشِ بْنِ قُدَامَةَ الضُّبَعِيِّ.

عَلَى أَنَّ هَذَا إِنْ صَحَّ لَا يَرْفَعُ الْجَهَالََةَ عَنْهُ حَتَّى يُعَدَّ فِي أَعْيَانِ الْبَصْرِيِّينَ الْوَافِدِينَ عَلَى الْحَسَنِ الْمُثَنَّى، وَيُقَرَّنَ مَعَ فُقَهَائِهَا الْمَذْكُورِينَ، فَتَأَمَّلْ.

وَأَمَّا مَا حَكَاهُ: مِنْ أَنَّ حَمْرَةَ بْنَ الْمُغْيِرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، وَقُدَامَةَ الضُّبَعِيِّ، وَابْنَ مَصْفَلَةَ الشَّيْبَانِيِّ، فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْقُرَّاءِ، سَأَلُوا ابْنَ الْأَشْعَثِ أَنْ يُظَهِّرَ اسْمَ الرَّجُلِ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ وَعَقَّدَ لَهُ الْبَيْعَةَ - يَعْنِي الْحَسَنَ الْمُثَنَّى - فَأَظْهَرَ ابْنَ الْأَشْعَثِ اسْمَهُ وَخَطَبَ لَهُ فِي أَوَّلِ جَمْعَةٍ تَمَّ أَسْقَطَ اسْمَهُ فِي الْجَمْعَةِ الثَّانِيَةِ، ففِيهِ مِنَ الْعَرَابَةِ مَا لَا يَقْلُ عَمَّا سَبَقَهُ.

فَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّ عُلَمَاءَ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ كَانُوا هُمْ مَنْ أَشَارَ عَلَى ابْنِ الْأَشْعَثِ أَنْ يَضَعَ هَذَا الْأَمْرَ فِي رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَأَتَتْهُمْ رَاسَلُوا عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ زَيْنَ الْعَابِدِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَالْحَسَنَ الْمُثَنَّى، فَامْتَنَعَ الْأَوَّلُ وَقَبِلَ الثَّانِي بَعْدَ أَنْ اسْتَوْثَقْتُهُمْ، فَوَزِدَتْ عَلَيْهِ كُتُبُهُمْ وَيَعْنَتْهُمْ، وَانْتَجَبُوا عَنْهُمْ وَفَدَّ مِنْ عُلَمَائِهِمْ وَفُقَهَائِهِمْ، فَوَفَدُوا عَلَى الْحَسَنِ الْمُثَنَّى فَبَايَعُوهُ وَسَمَّوهُ «الرِّضَا»، فَكَيْفَ بَعْدَ هَذَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ اسْمُهُ، حَتَّى يَسْأَلُوا ابْنَ الْأَشْعَثِ أَنْ يُظَهِّرَهُ، وَقَدْ رَضُوهُ وَبَايَعُوهُ عَلَى حَدِّ قَوْلِ أَبِي الْعَبَّاسِ!؟

فِي إِنْ الْبَيْعَةَ كَانَتْ سِرِّيَّةً، وَلَا يَعْرِفُ بِاسْمِ الْمُبَايَعِ لَهُ إِلَّا ابْنُ الْأَشْعَثِ كَمَا يُفْهَمُ مِنْ سَوَالِهِمْ لَهُ فِي إِظْهَارِ اسْمِهِ، فَهَذَا يُنَاقِضُ مَا قَالَهُ مِنْ أَنَّ الْفُقَهَاءَ وَالْقُرَّاءَ هُمْ مَنْ أَشَارَ عَلَى ابْنِ الْأَشْعَثِ فِي أَنْ يَضَعَ الْأَمْرَ فِي رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ بَعْدَ أَنْ هَمَّ بِأَنْ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ، وَأَتَتْهُمْ مِنْ رَاسَلِ الْحَسَنِ الْمُثَنَّى وَكَاتَبَتْهُ وَبَايَعَهُ، وَأَنَّ الْحَسَنَ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ حَتَّى وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُ ابْنِ الْأَشْعَثِ هُوَ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِالْبَيْعَةِ وَالْإِيمَانِ الْمُعَظَّلَةِ، كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ عَنْهُ، فَتَأَمَّلْ.

وَأَمَّا حَمْرَةَ بْنَ الْمُغْيِرَةَ؛ فَقِيلَ إِنَّهُ مَاتَ فِي حَبْسِ هَمْدَانَ، بَعْدَ أَنْ عَزَلَهُ الْحَجَّاجُ عَنْهَا لَمَّا حَرَجَ أَخُوهُ مُطَرِّفُ بْنُ الْمُغْيِرَةَ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ فِي الْكُوفَةِ حِينَمَا دَخَلَهَا مُطَرِّفُ بْنُ نَاجِيَةَ الرِّيَاحِيِّ، وَكَانَ الْأَخِيرُ قَدْ بَلَغَهُ هَزِيمَةُ ابْنِ الْأَشْعَثِ فِي وَقَعَةِ الرَّأْوِيَةِ إِلَى جَانِبِ الْبَصْرَةِ، وَفَقَدَانِ حَبْرِهِ، وَأَنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ وَثَبَتْ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْعَبَّاسِ ابْنِ رِبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَبَايَعَتْهُ، فَطَلَبَ إِلَيْهِمْ مَطَرُ أَنْ يُبَايَعُوا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَقَالَ لَهُمْ: «فُؤَمُوا فَبَايَعُوا لَهُ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ تَمَّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)».



فبايع جماعة كان منهم حمزة بن المغيرة بن شعبة، وأبي آخرون وقالوا: نحض على بيعتنا الأولى، يعني بيعة ابن الأشعث، وكان هذا قبل دبر الجماجم، ثم انقطع خبر حمزة بن المغيرة بعد ذلك، فعلى القول الأول؛ يخرج حمزة من ثورة ابن الأشعث، وعلى القول الثاني؛ تكون بيعته لشخص ابن الأشعث لذاته، ثم بايع عبد الرحمن الهاشمي الحارثي لشخصه أيضاً كونه من فريش ثم من بني هاشم من أهل بيت رسول الله ﷺ، فتأمل.

وأما فدامه الضبي؛ وهو فدامه بن حماطة الضبي الكوفي، فلم أقف على ذكر له في أخبار ثورة ابن الأشعث، وكان ممن وفد على عمر بن عبدالعزيز في أيامه.

وأما ابن مصقلة الشيباني؛ فهو بسطام بن مصقلة، وكان في الربي، وإنما لحق بابن الأشعث بدير الجماجم، فلم يكن في الكوفة حينما كان فيها ابن الأشعث، فتأمل.

وأما قوله: إنَّ عبد الله بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب كان على خيل ابن الأشعث داعية للحسن المتني، فالصحيح في اسمه عبد الرحمن لا عبد الله.

وأما أنه كان داعية للحسن المتني؛ فهو من العرابية بمكان، فكيف يكون داعية للحسن وهو على خيل ابن الأشعث وتحت إمرته؟!.

وقد عرفت أنَّ ابن الأشعث كان يرى الأمر في نفسه، وعرفت أيضاً أنَّ جمعا من الكوفيين كانوا قد بايعوا لعبد الرحمن الهاشمي حين فُقد خبر ابن الأشعث. وقبلهم بايعه أهل البصرة حين هرب ابن الأشعث.

وعرفت أيضاً أنَّ المؤرخين لم يُفعلوا أخبار عبد الرحمن الهاشمي في ثورة ابن الأشعث ولم أقف على قول لأحدهم يذكر فيه أنَّ الهاشمي كان داعية للحسن المتني، بل لقد عرفت أنَّ الحسن المتني لا أثر له ولا ذكر ولا خبر في ثورة ابن الأشعث وأخبارها وأحداثها وفصولها ومجرياتها.

وبذلك ينتفي ما رواه السيد أبو العباس من أنَّ عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي هو ومن معه من أهل العراق كانوا قد دعوا إلى الحسن المتني وكتبوا له بالبيعة ومموه «الرضا».

ومَّا يَقْوِي ما نفينا من دعوة ابن الأشعث للحسن المتني ومبايعته؛ قول الشيخ أبي عبد الله المفيد في الإرشاد: «ومضى الحسن بن الحسن ولم يدع الإمامة، ولا ادعاه لها مدع، كما وصفناه من حال أخيه زيد رحمه الله عليهما».

هذا؛ ولمْ أَقْفَ عَلَى أَحَدٍ سَبَقَ السَّيِّدَ أَبَا الْعَبَّاسِ الْحَسَنِيَّ إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ ابْنَ الْأَشْعَثِ كَانَ دَاعِيَةً إِلَى الْحَسَنِ الْمُثَنَّى، وَأَنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ وَعُلَمَاءَهُ وَفُقَهَاءَهُ وَقُرَّاءَهُ مَنَّ خَرَجَ عَلَى الْحَجَّاجِ وَعَبْدِ الْمَلِكِ، كَانُوا قَدْ بَايَعُوا الْحَسَنَ الْمُثَنَّى.

اللَّهُمَّ إِلَّا مَا جَاءَ فِي رِسَالَةِ يَحْيَى صَاحِبِ الدَّيْلَمِ إِلَى هَارُونَ الْعَبَّاسِيَّ، الْمَذْكُورَةَ فِي الْكِتَابِ الْمُسَمَّى «أَخْبَارِ فَحٍّ وَحَبْرٍ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَأَخِيهِ إِدْرِيسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ» لِمَوْلَانِهِ أَحْمَدَ بْنِ سَهْلِ الرَّازِيِّ.

إِلَّا أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ لَا يُطْمَأَنَّ إِلَيْهِ، وَلَا يُمَكِّنُ الْوَثُوقَ بِصِحَّتِهِ وَلَا بِمَا جَاءَ فِيهِ، فَضْلاً عَنْ جِهَالَةِ مُؤَلِّفِهِ، وَالْكِتَابَ بِرُمَّتِهِ لَا تَخْلُو مَضَامِينُهُ مِنَ الْغُرَابَةِ، فَضْلاً عَنِ الرِّسَالَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَمَنْ وَقَفَ عَلَى الْكِتَابِ وَتَمَعَّنَ فِي مَوَارِدِهِ مَعَ مَلَاخِظَةِ مُقَدِّمَةِ الْمُحَقِّقِ يُدْرِكُ جَيِّدًا مَا حَكِينَاهُ.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ أَقْدَمَ مَنْ وَقَفْتُ عَلَيْهِ مَن تَقَلَّ مَا حُكِيَ فِي الْمَصَابِيحِ فِي مَسْأَلَةِ ابْنِ الْأَشْعَثِ بَعْدَ عَصْرِ السَّيِّدِ أَبِي الْعَبَّاسِ هُوَ الْإِمَامُ الْمَنْصُورُ بِاللَّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْزَةَ الْحَسَنِيِّ الرَّيْدِيِّ الْيَمِينِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ أَرْبَعٍ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ فِي كِتَابِهِ «الشَّافِي»^(١).

ثُمَّ بَعْدَهُ الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ حُسَامُ الدِّينِ حُمَيْدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمُخَلِّيِّ الْوَادِعِيِّ الصَّنْعَانِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، فِي كِتَابِهِ «الْحَدَائِقُ الْوَرْدِيَّةُ فِي مَنَاقِبِ أئِمَّةِ الرَّيْدِيَّةِ»^(٢).

ثُمَّ بَعْدَهُ الْإِمَامُ الْمُهْدِيُّ لَدِينِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ الْمُرْتَضَى الْحَسَنِيِّ الرَّيْدِيِّ الْيَمِينِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَتَمَانِمِائَةٍ، فِي كِتَابِهِ «الْبَحْرُ الرَّخَّارُ» مَقْدَمَةُ الْبَحْرِ، كِتَابُ الْجَوَاهِرِ وَالذُّرَّرِ^(٣).

ثُمَّ بَعْدَهُ الْفَقِيهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ الرَّحِيفِ الصَّعْدِيِّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ فَنْدِ الْمُتَوَفَّى بَعْدَ سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ وَتِسْعِمِائَةٍ، فِي كِتَابِهِ «مَآثِرُ الْأَبْرَارِ»^(٤)، ثُمَّ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الرَّيْدِيَّةِ، وَجَمِيعُهُمْ نَاقِلُونَ عَنِ السَّيِّدِ أَبِي الْعَبَّاسِ الْحَسَنِيِّ، وَإِنْ لَمْ يُصَرِّحْ بَعْضُهُمْ، وَبِنَاءِ عَلَيَّ مَا رَوَاهُ السَّيِّدُ أَبُو الْعَبَّاسِ عَدَّ مُتَأَخِّرُوا الرَّيْدِيَّةُ الْحَسَنَ الْمُثَنَّى فِي أئِمَّتِهِمْ.

وَكَانَ قَدْ تَقَدَّمَ حِينَ نَقَلْنَا نَصَّ ابْنِ عِنَبَةَ عَنِ كِتَابِهِ الْعُمْدَةِ الْوَسْطَى الْجَلَالِيَّةِ مِنْ أَنَّ كَلَامَهُ أَشْبَهُ بِكَلَامِ السَّيِّدِ أَبِي الْعَبَّاسِ فِي الْمَصَابِيحِ، فَلَيْسَ مِنَ الْبَعِيدِ مُطْلَقًا أَنْ يَكُونَ ابْنُ عِنَبَةَ نَاقِلًا كَلَامَهُ عَنِ الْمَصَابِيحِ، أَوْ عَمَّنْ تَقَلَّ عَنْهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

١- الشافى ١ : ٥٧٨.

٢- الحدائق الوردية في مناقب ائمة الزيدية ١ : ٢٣٦.

٣- البحارني خار: ٢٢٥ - ٢٢٦.

٤- مآثر الأبرار ١ : ٣٧٧.

وكما ترى، فإنَّ أقدمَ مَنْ نَقَلَ الحَبَرَ بعدَ السَّيِّدِ أَبِي العَبَّاسِ هو الإمامُ عبدُالله بنِ حمزة، وقد تقدَّم أنَّ وفاتهُ كانت سنة أربع عشرة وسبعمائة، فبين وفاته ووفاة السَّيِّدِ أَبِي العَبَّاسِ إحدى وستون ومائتان من السنين، ولمَّ أقف على أحدٍ نقلَ هذا الحَبَرَ خلالَ هذه المدة.

ومَّا يدعو إلى الغرابة أنَّ السَّيِّدَ الإمامَ النَّاطِقَ بالحَقِّ أبا طالبٍ يحيى بن الحسين الحسنيِّ الهارويِّ المتوفَّى سنة أربع وعشرين وأربعمائة، وهو من تلاميذ السَّيِّدِ أَبِي العَبَّاسِ، وقد أكثرَ من الرواية عنه، لمَّ يُذكر في كتابه «الإفادة في تاريخ الأئمة السادة»^(١) شيئاً ممَّا حكاها السَّيِّدُ أبو العَبَّاسِ في الحسنِ المُثَنَّى، ولا عدَّهُ من الأئمة.

بل الأعجبُ أنَّه ذكره استطراداً حينما عدَّ أولادَ الإمامِ الحسنِ السَّيِّدِ المُجْتَبَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، واكتفى من ترجمته بقوله: «الحسنُ بن الحسن، وهو الحسنُ النَّبَاطِيُّ، وأُمُّه حوالة بنت منطور بن زبَّان الفزاري، وكان وصيَّ أبيه ووالي صدقته».

وكما ترى فليس في هذا الكلام ما يُشيرُ إلى أنَّ الحسنَ المُثَنَّى كانَ إماماً، ومثلُ هذا الكلام لا يُقالُ في رجلٍ عُقدتْ له بيعةٌ وقامت تحت اسمها ثورةٌ كادت أن تُزيلَ سلطانَ بني أميةٍ من الوجود، مع العلمِ أنَّ كتابَ الإفادة - وكما هو واضحٌ من عنوانه - هو في تراجمِ أئمةِ الرَّيْدِيَّةِ وطبقاتهم وأخبارهم، رَبَّه مُصَنِّفُهُ على وفقِ اعتقادِ الرَّيْدِيَّةِ في ترتيبِ الأئمةِ من أهل البيت وطبقاتهم، وترتيبِ فصوله يُشابهُ ترتيبَ السَّيِّدِ أَبِي العَبَّاسِ لكتابهِ المصاييح.

إلا أنَّ السَّيِّدَ أبا طالبٍ انتقلَ رأساً بعدَ الإمامِ الحسينِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إلى زيد بن عليٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، بخلافِ السَّيِّدِ أَبِي العَبَّاسِ الَّذِي جعلَ الحسنَ المُثَنَّى إماماً بينَ الحسينِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وبينَ زيد بن عليٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وعقدَ ترجمةً له ذكرَ فيها أخباره وبيعتَهُ ممَّا تقدَّم ذكرُهُ والكلامُ عليه، ممَّا يدلُّ على عدمِ اعتقادِ السَّيِّدِ أَبِي طالبٍ بأنَّ الحسنَ المُثَنَّى كانَ إماماً.

وهذا من الغرابةِ بمكانٍ وممَّا يُورثُ الشكَّ بحدوثِ عبثٍ في كتابِ المصاييح، وكأنَّ ما حكيَّ من دعوة ابنِ الأشعث وبيعتِهِ للحسنِ المُثَنَّى ليسَ من كلامِ السَّيِّدِ أَبِي العَبَّاسِ، وإمَّا أُحدثَ وزيدٌ على الكتابِ بعدَ عصرِهِ بل عصرِ السَّيِّدِ أَبِي طالبٍ الهارويِّ.

وممَّا يُقويه أنَّ السَّيِّدَ الأجلَّ رضيَّ الدِّينِ أبا القاسمِ عليٍّ ابنِ طاوسِ الحسنيِّ كانَ قد نقلَ في مُصنَّفاته عن كتابِ المصاييح لأبي العَبَّاسِ ممَّا لا يُوجدُ اليومَ في كتابهِ، فتأمل.

وَمَا يُقَوِّيَ أَيضًا مَا حَكَيْنَاهُ أَنَّ السَّيِّدَ الْإِمَامَ مَا نَكْدِيمُ أَحْمَدَ الْحُسَيْنِيَّ (ت ٤٢١هـ) - وهو الَّذِي صَلَّى عَلَى الْمُؤَيَّدِ بِاللَّهِ الْمَارُوْبِيِّ وَقَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ (انظر ترجمة السَّيِّدِ الْمُؤَيَّدِ بِاللَّهِ وَأَخِيهِ السَّيِّدِ أَبِي طَالِبٍ يَحْيَى مِنْ كِتَابِ الْمُخْتَصَرِ لِلْسَّيِّدِ ابْنِ الطَّقَطَقِيِّ بِتَحْقِيقِنَا^(١))، وانظر ما حَكَيْنَاهُ فِي الْحَاشِيَةِ)، وَظَاهِرًا مِمَّنْ أَدْرَكَ السَّيِّدَ أَبَا الْعَبَّاسِ الْحَسَنِيَّ - حِينَمَا أَتَى عَلَى بَيَانِ مُعْتَقَدِ الرَّيْدِيَّةِ فِي تَعْيِينِ الْإِمَامِ لَمْ يَعِدَّ الْحَسَنَ الْمُثَنَّى فِي أئِمَّةِ الرَّيْدِيَّةِ، فَقَدْ قَالَ فِي الْفَصْلِ الْخَامِسِ مِنْ شَرْحِ الْأَصُولِ الْخَمْسَةِ ص ٧٥٧، فِي تَعْيِينِ الْإِمَامِ، مَا نَصَّهُ:

«اعْلَمْ أَنَّ مَذَهَبَنَا، أَنَّ الْإِمَامَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ الْحَسَنُ، ثُمَّ الْحُسَيْنُ، ثُمَّ زَيْدُ ابْنِ عَلِيٍّ، ثُمَّ مَنْ سَارَ بِسِيرَتِهِمْ»^(٢).

فَكَمَا تَرَى لَيْسَ لِلْحَسَنِ الْمُثَنَّى ذِكْرٌ فِي أئِمَّةِ الرَّيْدِيَّةِ، وَمِنَ الْبَعِيدِ أَنْ يَعْغَلَ مِثْلُهُ عَنْ مَسْأَلَةِ كَهْدِهِ وَهُوَ يُقَرَّرُ مُعْتَقَدِ الرَّيْدِيَّةِ فِي تَعْيِينِ الْإِمَامِ، فَلَا حِظَّ وَتَأَمَّلْ.

وَبَعْدَ أَنْ عَرَفْتَ هَذَا عَرَفْتَ أَنَّ الْحَسَنَ الْمُثَنَّى تُوفِّيَ عَلَى الصَّحِيحِ فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَعَرَفْتَ أَنَّ جَمْعًا مِنْ أَعْظَمِ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ وَأَسَاطِينِ النَّسَابِينَ الْأَجْلَاءِ قَدْ نَصُّوا عَلَى أَنَّ الْحَسَنَ الْمُثَنَّى عَاشَ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَأَنَّ هَذَا لَا يَتَمَشَّى مَعَ كَوْنِهِ تُوفِّيَ فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَلَا يَتَمَشَّى مَعَ حَبْرِهِ مَعَ الْحِجَّاجِ.

وَقَدْ فَطِنَ إِلَى ذَلِكَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا الْمُتَأَخِّرِينَ، فِي صِدَارَتِهِمُ الْعَلَامَةُ الْأَدِيبُ الْمُؤَرِّخُ الْمِيرْزَا مُحَمَّدُ عَلِيَّ اللَّكْهَنَوِيِّ الْكَشْمِيرِيِّ (١٢٦٠ - ١٣٠٩هـ)، فِي تَعْلِيقَتِهِ عَلَى الْعُمْدَةِ الْوَسْطَى الْجَلَالِيَّةِ - وَكَانَتْ قَدْ طُبِعَتْ قَدِيمًا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي الْمَطْبَعِ الْجَعْفَرِيِّ فِي مَدِينَةِ لَكْهَنُو فِي الْهِنْدِ بِأَمْرِهِ (رَحِمَهُ اللَّهُ).

ثُمَّ أَعَادَ الْمَرْحُومُ الشَّيْخُ عَلِيُّ الْحَلَّاقِيُّ الْحَائِرِيُّ طِبَاعَةَ الْكِتَابِ بِتَعْلِيقَاتِ الْمِيرْزَا مُحَمَّدِ عَلِيٍّ فِي مَطْبَعَتِهِ فِي بَوْمْبَايَ بِالْهِنْدِ فِي رَيْبِعِ الثَّانِي سَنَةِ (١٣١٨هـ) - فَقَالَ حِيَالٌ مَا كَتَبَهُ ابْنُ عَنَبَةَ فِي حَبْرٍ وَفَاةِ الْحَسَنِ الْمُثَنَّى فِي حَاشِيَةِ: «أُظُنُّ الصَّحِيحَ سَلِيمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ مَكَانَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ؛ لِأَنَّهُ تُوفِّيَ فِي زَمَانِهِ سَنَةً سَبْعًا وَتِسْعِينَ، وَقَوْلُهُ [بِعَنِي السَّيِّدِ ابْنِ عَنَبَةَ]: وَعُمُرُهُ إِذْ ذَاكَ خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ، فَإِنَّهُ مَاتَ بَعْدَ وَالِدِهِ بِثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً»^(٣).

ثُمَّ إِنَّ السَّيِّدَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِيِّ الْعُبَيْدِيِّ الْأَعْرَجِيِّ الْبَغْدَادِيِّ النَّسَابَةَ (رَحِمَهُ اللَّهُ) (ت ١٣٣٢هـ) وَقَفَّ عَلَى إِحْدَى هَاتَيْنِ الطَّبَعَتَيْنِ، فَاسْتَفَادَ مِنْ حَوَاشِيهَا، وَأَدَخَلَ بَعْضَهَا فِي مُصَنَّفَاتِهِ، كَمَا هُوَ بَيِّنٌ لِمَنْ تَأَمَّلَ

١- الْمُخْتَصَرُ لِلْسَّيِّدِ ابْنِ الطَّقَطَقِيِّ: ٣٤١-٣٤٤.

٢- شَرْحُ الْأَصُولِ الْخَمْسَةِ: ٧٥٧ / الْفَصْلِ الْخَامِسِ.

٣- ابْنُ عَنَبَةَ فِي حَبْرٍ وَفَاةِ الْحَسَنِ الْمُثَنَّى فِي حَاشِيَةِ، ص: ٧٩.

فيها، وكان قد ذَكَرَ في المُجلَّد الثَّانِي مِنْ كِتَابِهِ مَنَاهِلِ الضَّرْبِ: أَنَّ الْحَسَنَ تُوفِّيَ مَسْمُومًا بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ تِسْعِينَ^(١)، وَعُمُرُهُ إِذْ ذَاكَ ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً، وَتَرَدَّدَ فِي مَنْ سَقَاهُ السُّمَّ بَيْنَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَخِيهِ سُلَيْمَانَ.

وَكَمَا تَرَى فَقَدْ أَخَذَ بِمَبْلَغِ عُمُرِهِ الَّذِي فِي تَعْلِيْقَةِ الْعُمْدَةِ، وَهُوَ ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ، وَاعْتَبَرَ أَنَّ زَوَاجَ الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) مِنْ حَوَلَةَ كَانَ بَعْدَ حَرْبِ الْجَمَلِ الَّتِي كَانَتْ سَنَةَ سِتِّ وَثَلَاثِينَ، فَكَانَتْ وَوَلَادَةُ الْحَسَنِ الْمُثَنَّى فِي سَنَةِ سَبْعِ وَثَلَاثِينَ، أَيْ فِي السَّنَةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا حَرْبُ صِيفِينَ، وَبِنَاءٍ عَلَى مَبْلَغِ عُمُرِهِ - هُوَ ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ - تَكُونُ وَفَائُهُ سَنَةَ تِسْعِينَ.

وَهَذَا مِنَ الْغَرَابَةِ بِمَكَانٍ، إِذْ كَيْفَ يَأْخُذُ بِمَبْلَغِ عُمُرِهِ وَهُوَ مُسْتَحْرَجٌ عَلَى كَوْنِ الْحَسَنِ قَدْ تُوفِّيَ سَنَةَ سَبْعِ وَتِسْعِينَ، وَيَطْرُقُ مَا سِوَاهُ؟! إِذْ كَانَ عَلَيْهِ إِمَّا أَنْ يَأْخُذَ بِكَامِلِ التَّعْلِيْقَةِ وَإِمَّا أَنْ يَطْرَحَهَا بِرُمَّتِهَا، فَالْأَصْلُ فِيهَا مَبْنِيٌّ عَلَى تَارِيخِ الْوَفَاةِ وَهُوَ سَنَةُ سَبْعِ وَتِسْعِينَ، فَطَرَحَ مِنْهُ - صَاحِبُ التَّعْلِيْقَةِ - تَارِيخَ وَفَاةِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) وَهُوَ سَنَةُ تِسْعِ وَأَرْبَعِينَ، وَاسْتَحْرَجَ أَنَّ الْحَسَنَ الْمُثَنَّى عَاشَرَ بَعْدَ أَبِيهِ ثَمَانِيَّةً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً.

وَعَلَيْهِ فَيَكُونُ تَارِيخُ وِلَادَتِهِ فِي سَنَةِ أَرْبَعِ وَأَرْبَعِينَ، إِذَنْ فَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ جَمِيعًا هُوَ تَارِيخُ الْوَفَاةِ، أَيْ سَنَةَ سَبْعِ وَتِسْعِينَ، وَهُوَ قَوْلُ الذَّهَبِيِّ كَمَا تَقَدَّمَ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ كَلَامَ السَّيِّدِ جَعْفَرِ الْأَعْرَجِيِّ لَا طَائِلَ مِنْهُ.

ثُمَّ إِنَّ الْعَلَامَةَ الْمُحَقِّقَ السَّيِّدَ مُحَمَّدَ الْحَسَنَ الْحُسَيْنِيَّ الطَّالِقَانِيَّ (عَلَيْهِ السَّلَام)، اسْتَفَادَ أَيْضًا مِنْ هَذِهِ التَّعْلِيْقَةِ، وَأَعَادَ صِيغَاتِهَا فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى الْعُمْدَةِ الْوَسْطَى الْجَلَالِيَّةِ، الطَّبَعَةُ النَّجْفِيَّةُ الثَّانِيَّةُ^(٢)، وَتَابَعَهُ عَلَى ذَلِكَ جَمْعٌ مِنَ الْمُعَاَصِرِينَ فَاعْتَمَدَ قَوْلَهُ، وَالْأَصْلُ فِيهِ مَا اسْتَحْرَجَهُ الشَّيْخُ الْكَلْبَهَنَوِيُّ كَمَا عَرَفْتُمْ، وَكَانَ قَدْ بَنَاهُ عَلَى التَّارِيخِ الَّذِي ذَكَرَهُ الذَّهَبِيُّ فِي تَارِيخِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بِطُلَانٍ قَوْلُ الذَّهَبِيِّ، وَإِمَّا احْتِمَالُ التَّقْدِيمِ وَالتَّأَخِيرِ فِي عِبَارَةِ «خَمْسِ وَثَلَاثِينَ» فَلَا يُمَكِّنُ الرُّكُونُ إِلَيْهِ مُطْلَقًا، فَقَدْ أوردَهَا جَمْعٌ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَلَا يُحْتَمَلُ أَبَدًا أَنْ تَقْدِيمًا وَتَأْخِيرًا أَوْ تَصْحِيحًا نَالَهَا أَثْنَاءَ إِنْشَائِهَا عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ يَمُنُّ أوردَهَا مِنْ هَوْلَاءِ الْأَعْلَامِ.

وَلَا يَخْفَى أَنَّ الْمُتَقَدِّمِينَ لَمْ يَأْلَفُوا تَدْوِينَ الْأَعْدَادِ وَالسَّنَوَاتِ أَرْقَامًا بَلْ كِتَابَةً، فَاحْتِمَالُ اشْتِبَاهِ هَذَا الْجَمْعِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ بَعِيدٌ جَدًّا، وَلَا يُمَكِّنُ التَّصْدِيقُ بِهِ، وَيَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّ صَاحِبَ تَعْلِيْقَةِ الْعُمْدَةِ احْتَمَلَ التَّقْدِيمَ وَالتَّأَخِيرَ فِي الْعِبَارَةِ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهَا وَرَدَتْ فِي الْعُمْدَةِ فَقَطْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

هَذَا، وَكُنَّا قَدْ خَلَصْنَا إِلَى أَنَّ الْحَسَنَ الْمُثَنَّى كَانَ قَدْ وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ، وَأَنَّهُ كَانَ يَوْمَ الطَّفِّ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ

١- مَنَاهِلِ الضَّرْبِ ٢: ١٧٠

٢- الْعُمْدَةُ الْوَسْطَى الْجَلَالِيَّةِ، الطَّبَعَةُ النَّجْفِيَّةُ الثَّانِيَّةُ ص: ١٠٠-١٠١

عُمُرِهِ، وَكَانَ قَدْ تَقَدَّمَ عَنْ ابْنِ الْجَوْزِيِّ أَنَّ الْحَسَنَ الْمُثَنَّى قَدْ تُوفِّيَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَتَسْعِينَ، فَعَلِيهِ يَكُونُ الْحَسَنُ قَدْ عَاشَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَهَذَا يُخَالِفُ مَا تَقَدَّمَ عَنْ ابْنِ حَجَرٍ مِنْ أَنَّ الْحَسَنَ عَاشَ بِضْعًا وَخَمْسِينَ سَنَةً. وَلَا يَخْفَى أَنَّ «الْبِضْعَ» أَقَلُّهُ ثَلَاثَةٌ وَأَكْثَرُهُ تِسْعَةٌ، فَإِنْ يَكُونُ الْحَسَنُ عَاشَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ سَنَةً يَخْرُجُ عَنْ قَوْلِ ابْنِ حَجَرٍ، فَإِذَا أَضْفْنَا أَكْثَرَ «الْبِضْعِ» وَهُوَ تِسْعَةٌ، فَتَكُونُ وَفَاةُ الْحَسَنِ سَنَةً تِسْعٍ وَتَسْعِينَ، وَهُوَ الْقَوْلُ الَّذِي قَدَّمَ الدَّهْيُ فِي سِيَرِهِ، وَيَكُونُ بِذَلِكَ مُوَافِقًا لَهُ.

وعليه فوفائته في السنة التي تُوفِّيَ فيها سليمان بن عبد الملك، إلا أنه يخرج عن كون الحسن قد تُوفِّيَ في أيام الوليد، وقد تقدّم أن الصَّحِيحَ المشهور في وفاته أنها كانت في أيام الوليد.

ولما كانت النُّصُوصُ الْوَارِدَةُ عَنْ الْمُتَقَدِّمِينَ تَدْكُرُ أَنَّ الْحَسَنَ عَاشَ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً؛ وَفِيهَا رَايَةٌ عَنْ مُوسَى الْجَوْنِ، فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا لَا يُمَكِّنُ تَجَاوُزَهُ مُطْلَقًا، فَإِنْ تَأَمَّلْنَا فِيهِ جَيِّدًا لَوْجَدْنَاهُ صَحِيحًا لَا خَلَلَ فِي مَنْشَأِهِ، بَلِ الْخَلُّ وَقَعَ فِي تَوْجِيهِهِ وَرَبَّمَا فِي فَهْمِهِ، فَإِنَّ الْحَسَنَ الْمُثَنَّى عَاشَ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً بَعْدَ أَنْ اسْتَقْبَلَ وَسَلِمَ مِنْ وَاقِعَةِ الطَّغْفِ، فَإِذَا أَضْفْنَا خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً بَعْدَ سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ يَكُونُ التَّأْرِيخُ سَنَةً سِتِّ وَتَسْعِينَ، أَيْ فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي يُفْهَمُ مِنْ كَلَامِ الصَّفَدِيِّ أَنَّ الْحَسَنَ الْمُثَنَّى تُوفِّيَ فِيهَا، وَهِيَ أَيْضًا السَّنَةُ الَّتِي تُوفِّيَ فِيهَا الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ.

ولما كانت وفاة الحسن في أيام الوليد أي في مُلْكِهِ، وَكَانَ الْوَلِيدُ قَدْ تُوفِّيَ فِي النِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، فَتَكُونُ وَفَاةُ الْحَسَنِ قَبْلَ هَذَا التَّأْرِيخِ، وَبِالْجُمْلَةِ هِيَ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ سِتِّ وَتَسْعِينَ، وَاللَّهُ الْمُتَوْفَّقُ لِلصَّوَابِ.

كيفية وفاته:

أما كَيْفِيَّةُ وَفَاتِهِ، فَقَدْ تَقَدَّمَ عَنْ السَّيِّدِ أَبِي الْعَبَّاسِ، وَالسَّيِّدِ أَبِي إِسْمَاعِيلِ الطَّبَّاطِبَائِيِّ، وَالسَّيِّدِ ابْنِ عِنَبَةَ: أَنَّ الْحَسَنَ تُوفِّيَ مَقْتُولًا، وَأَنَّ قَاتِلَهُ هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَنَصَّ أَبُو الْعَبَّاسِ وَابْنُ عِنَبَةَ عَلَى أَنَّ الْوَلِيدَ دَسَّ إِلَيْهِ السِّمَّ فَقَتَلَهُ، وَذَكَرَ السَّيِّدُ أَبُو إِسْمَاعِيلَ أَنَّ الْوَلِيدَ قَتَلَهُ صَبْرًا.

وقد عرفت حال الرواية عند السَّيِّدِ أَبِي الْعَبَّاسِ وَكَذَلِكَ عِنْدَ السَّيِّدِ ابْنِ عِنَبَةَ، إِلَّا أَنَّ هَذَا لَا يَلْزَمُ مِنْهُ نَفْيُ قَتْلِ الْوَلِيدِ لِلْحَسَنِ، إِذْ يَعْضُدُهُ كَلَامُ السَّيِّدِ أَبِي إِسْمَاعِيلَ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ رَوَايَتُهُ عَنْهُمَا فِي كَيْفِيَّةِ ذَلِكَ، وَوَقُوعُ مِثْلِهِ مِنْ قِبَلِ الْوَلِيدِ لَيْسَ بِمَدْفُوعٍ أَصْلًا، فَعَزَمُ الْوَلِيدُ عَلَى قَتْلِهِ لَهُ شَاهِدٌ صَرِيحٌ فِي الْأَخْبَارِ، فَقَدْ أوردَ المَرْيُ فِي تَرْجُمَةِ

الحسنِ المُثَنَّى مِنْ كِتَابِهِ تَهْذِيبِ الْكَمَالِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْبُرْجُلَانِيِّ، قَالَ: «عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ ابْنِ الْأَصْبَهَانِيِّ، عَنْ شَرِيكِ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ: كَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى عَثْمَانَ بْنِ حَيَّانِ الْمُرِّيِّ: انظُرِ الْحَسَنَ ابْنَ الْحَسَنِ فَاجْلِدْهُ مِائَةَ ضَرْبَةٍ، وَفِقْهُ لِلنَّاسِ يَوْمًا، وَلَا أَرَانِي إِلَّا قَاتِلَهُ»^(١)، وَرَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ^(٢) بِإِسْنَادِهِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ.

وَمِنْطُوقُ الْأَخْبَارِ يُفِيدُ أَنَّ الْوَلِيدَ كَانَ مُبْغِضًا لِلْحَسَنِ مُتَحَامِلًا عَلَيْهِ حَاسِدًا لَهُ، فَقَدْ أَوْرَدَ السَّمْعُودِيُّ فِي الْفَصْلِ السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ كِتَابِهِ وَفَاءَ الْوَفَاءِ، عَنْ ابْنِ زَبَالَةَ، قَالَ:

«حَدَّثَنِي عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، قَالَ: قَدِمَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ حَاجًّا، فَبَيْنَا هُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ عَلَى مَنبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ حَانَتْ مِنْهُ التَّفَاتَةُ فِإِذَا بِحَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ، فِي يَدِهِ مِرَاةٌ يَنْظُرُ فِيهَا، فَلَمَّا نَزَلَ أُرْسِلَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ [وَكَانَ عَلَيْهِ الْمَدِينَةُ وَقَتَمْتَد] فَقَالَ: لَا أَرَى هَذَا قَدْ بَقِيَ بَعْدَ، اشْتَرَى هَذِهِ الْمَوَاضِعَ وَأَدْخَلَ بَيْتَ النَّبِيِّ ﷺ الْمَسْجِدَ وَأَسَدُودَهُ»^(٣).

وَقَالَ السَّمْعُودِيُّ فِي الْفَصْلِ الثَّامِنِ مِنْ حُلَاصَةِ الْوَفَاءِ:

«وَفِي حَبْرٍ لِيَحْيَى [يَعْنِي يَحْيَى بْنَ الْحَسَنِ الْعُلُوِّيَّ النَّسَّابَةَ، وَفِي وَفَاءِ الْوَفَاءِ رَوَاهُ يَحْيَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْأَشْتَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّفْسِ الرَّكْبِيَّةِ، وَرَوَى عَنْهُ الَّذِي قَبْلَهُ أَيْضًا]: إِنَّهُ لَمَّا نَزَلَ مِنْ حُطْبَتِهِ أَمَرَ بِهَدْمِ بَيْتِ فَاطِمَةَ، وَأَنَّ حَسَنَ بْنَ حَسَنِ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ الْحَسَنِ أَبَوَا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الْوَلِيدُ إِنْ لَمْ تَخْرُجُوا مِنْهُ هَدَمْتُه عَلَيْكُمْ، فَأَبَوْا أَنْ يَخْرُجُوا، فَأَمَرَ بِهَدْمِهِ عَلَيْهِمْ وَهَمَّا فِيهِ وَوَلَدُهُمَا، فَتَرَعَ أَسَاسَ الْبَيْتِ وَهُمْ فِيهِ، فَلَمَّا نَزَعَ قَالُوا لَهُمْ: إِنْ لَمْ تَخْرُجُوا قَوَّضْنَا عَلَيْكُمْ، فَخَرَجُوا مِنْهُ حَتَّى أَتَوْا دَارَ عَلِيٍّ هَهَاهُ»^(٤).

فَإِنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْأَخْبَارِ - مَعَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ نصوصٍ ذَكَرْنَاهَا - تُقَوِّي وَتَعَضِّدُ إِقْدَامَ الْوَلِيدِ عَلَى قَتْلِ الْحَسَنِ وَلَا تَدْفَعُهُ، فَلَا حِظَّ وَتَأْمَل.

١- تهذيب الكمال ٦ : ٩٣ .

٢- تاريخ دمشق ١٣ : ٦٦ .

٣- وفاء الوفاء: ٢ : ٨٩ .

٤- خلاصة الوفاء: ٢ : ١٠٦ .

موضع قبره:

وأما موضع قبره؛ فكما نصَّ عليه السيِّد ابن الطَّقْطَقِيّ الحَسَنِيّ الطَّبَّاطِبَائِيّ^(١) وعَبرُهُ، بالبقيع العَرَقَد، حيثُ كانت وفائهُ بالمدينة سنة سِتِّ وتسعين كما بيَّنَّا، ثُمَّ حُمِلَ إِلَى البقيع العَرَقَدِ فُدْفِنَ فِيهِ، فهذا هو الصَّحِيحُ فِي مَوْضِعِ قَبْرِهِ، وَأَمَّا مَا يُرَدِّدُهُ بَعْضُ الْعَامَّةِ مِنْ أَهْلِ يَنْبَعِ النَّخْلِ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ - أَنَّ قَبْرَ الْمُثَنَّى عِنْدَهُمْ، فَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ، وَلَا يُلْتَمِثُ إِلَيْهِ، إِذْ إِنَّ جَمِيعَ مَنْ وَقَفْتُ لَهُ عَلَى كَلَامٍ فِي مَحَلِّ وَفَاةِ الْحَسَنِ وَمَوْضِعِ قَبْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ لَا سِيَّمًا النَّسَابِينَ مِنْهُمْ؛ يَذْكُرُونَ أَنَّ وَفَاةَ كَانَتْ فِي الْمَدِينَةِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ بِالْبَقِيعِ.

والمُتَحَصِّلُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ أَنَّ الْحَسَنَ الْمُثَنَّى وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ، وَكَانَ لَهُ يَوْمَ الطَّافِ عَشْرُونَ سَنَةً، وَقَدْ دَخَلَ فِي الْوَاحِدَةِ وَالْعَشْرِينَ، وَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، إِلَى أَنْ كَانَتْ وَفَاةُ بِالْمَدِينَةِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ سِتِّ وَتَسْعِينَ، وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً وَأَشْهَرًا، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ الْعَرَقَدِ، وَلَا يَنْبُتُ وَقُوعٌ بِيَعَةٍ لَهُ فَضْلًا عَنْ بِيَعَةِ ابْنِ الْأَشْعَثِ لَهُ، وَلَا يَنْبُتُ عَنْهُ أَنَّهُ ادَّعَى الْإِمَامَةَ لِنَفْسِهِ وَلَا ادَّعَاها لَهُ مُدَّعٍ فِي حَيَاتِهِ.

وَلِيَكُنْ هَذَا آخِرَ مَا أَرَدْنَا إِيرَادَهُ فِي هَذَا الْمَطْلَبِ، عَلَى أَنَّ فِيهِ عَدَّةَ جَوَانِبٍ لَمْ تُبْحَثْ أَوْ تَنَاقَشْ تَرْكِنَاهَا اخْتِصَارًا، وَفِيهَا زِيَادَةٌ بَيَانٍ وَاسْتِدْلَالٍ تَوْجِيهًا مَا خَلَصْنَا إِلَيْهِ وَتَقْوِيَةً، عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَوْفِقُنَا إِلَى إِفْرَادِهَا فِي بَحْثٍ مُسْتَقِلٍّ أَوْسَعٍ وَأَشْمَلٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.

وَكُتِبَتْهُ:

السَّيِّدُ أَبُو الْحَسَنِ عَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمُؤَسَّسِيُّ الدِّمَشْقِيُّ

كَانَ اللَّهُ لَهُ

فهرس المصادر

المصادر والمراجع الخفية:

- ١- الأصيلي في النَّسَب (المشجر الأصيلي): للسيد صفي الدين أبي عبدالله محمد بن علي بن علي الحسيني الطباطبائي الحلبي المعروف بابن الطقطقي (توفي حدود ٧٢٠هـ).
- ٢- تعليقة على إحدى نسخ عمدة الطالب الكبرى التيمورية: للقاضي العلامة شمس الدين أحمد بن سعد الدين بن الحسين بن محمد المسوري اليميني الزيدي (ت ١٠٧٩هـ).
- ٣- عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب (العمدة الوسطى الجلالية): للسيد جمال الدين أحمد بن علي ابن الحسين الحسيني الداودي الحلبي (ت ٨٢٨هـ)، رجعت إلى نسخ عديدة بعضها عليه تعليقات نفيسة لمجموعة من العلماء، أفردت بالذكر منها هنا ثلاث تعليقات.
- ٤- المشجرة (المشجر): للسيد جمال الدين أبي الفضل أحمد بن محمد ابن مهنا الحسيني العبيدلي الحلبي (ت ٦٨٢هـ)، عدة نسخ مع تعليقات المؤلف.

المصادر والمراجع المطبوعة:

- ١- أخبار فخر وخير يحيى بن عبدالله وأخيه إدريس بن عبدالله (انتشار الحركة الزيدية في اليمن والمغرب والديلم): لأحمد بن سهل الرازي (المتوفى في الربع الأول من القرن الرابع)، دراسة وتحقيق: د. ماهر جرار، الناشر: دار الغرب الإسلامي/ بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.
- ٢- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: للشيخ المفيد أبي عبدالله محمد بن محمد بن النعمان المذحجي الحارثي العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث/ بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ.
- ٣- الأصيلي في أنساب الطالبين: للسيد صفي الدين محمد بن تاج الدين علي المعروف بابن الطقطقي الحسيني (حدود ٧٢٠هـ)، جمعه ورتبه وحققه: السيد مهدي الرجائي، الناشر: مكتبة آية الله العظمى السيد المرعشي النجفي/ قم، ط ١، ١٤١٨هـ.

- ٤- إعلام الوري بأعلام الهدى: لأمين الإسلام الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٤٨٥هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث/ قم المشرفة، ط ١، ١٤١٧هـ.
- ٥- الأغاني: لأبي الفرج علي بن الحسين الأموي المرواني الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، الدكتور إبراهيم السعافين، الأستاذ بكر عباس، الناشر: دار صادر/ بيروت، ط ٣، ١٤٢٩هـ.
- ٦- الإفادة في تاريخ الأئمة السادة: للإمام الناطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسين بن هارون الهاروني الحسني (ت ٤٢٤هـ)، صف وتحقيق وإخراج ونشر: مكتبة أهل البيت (ع) / صعدة - اليمن، ط ٤، ١٤٣٥هـ.
- ٧- إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال: لأبي عبدالله علاء الدين مغلطاي بن قليج بن عبدالله البكجري الحنفي، تحقيق: أبي عبدالرحمن عادل ابن محمد، أبي محمد أسامة بن إبراهيم، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر/ القاهرة، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ٨- أمالي الزجاجي: لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، الناشر: دار الجيل/ بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ.
- ٩- البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار: للإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى الحسني الزيدي اليمني (ت ٨٤٠هـ)، ويليهِ: كتاب جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار: للعلامة محمد بن يحيى بهران الصعدي (ت ٩٥٧هـ)، تحقيق: القاضي عبدالله بن عبدالكريم الجرافي، الناشر: دار الحكمة اليمنية/ صنعاء، ط ١، ١٣٦٦هـ، تصوير: ١٤٠٩هـ.
- ١٠- البداية والنهاية (تاريخ ابن كثير): لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البُصْرِيُّ الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، الناشر: دار الفكر/ بيروت، ١٣٩٨هـ.
- ١١- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (تاريخ الذهبي): لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي/ بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ.
- ١٢- تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري): لأبي جعفر محمد بن جرير ابن يزيد الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعارف/ مصر، ط ٢، ١٣٨٧هـ.

١٣- التاريخ الكبير: لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، الناشر: المكتبة الإسلامية/ ديار بكر - تركيا.

١٤- تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها (تاريخ دمشق، تاريخ ابن عساكر): لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي الدمشقي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، دراسة وتحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.

١٥- تجارب الأمم وتعاقب الهمم: لأبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب، المعروف بمسكويه (ت ٤٢١هـ)، تحقيق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ.

١٦- تقريب التهذيب: لشهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ)، قدم له وقابله بأصل مؤلفه: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد/ حلب - سوريا، ط ٣ منقحة، ١٤١١هـ.

١٧- تهذيب التهذيب: لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية/ حيدر آباد الدكن - الهند، ط ١، ١٣٢٥هـ.

١٨- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن عبدالرحمن القضاعي الكلبي المزري الدمشقي (ت ٧٤٢هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة/ بيروت، ط ١، ١٤٠٠هـ.

١٩- الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية: حميد الشهيد بن أحمد بن محمد المحلي الهمداني الصنعائي (ت ٦٥٢هـ)، تحقيق: د. المرتضى بن زيد المحطوري الحسني، الناشر: مكتبة مركز بدر العلمي الثقافي/ صنعاء، ط ١، ١٤٢٣هـ.

٢٠- خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ: لنور الدين أبي الحسن علي بن عبدالله ابن أحمد الحسيني السمهودي الشافعي (ت ٩١١هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمد الأمين محمد محمود أحمد الحكيني، الناشر: حبيب محمود أحمد.

٢١- رجال النجاشي (فهرست أسماء مصنفی الشيعة): للشيخ أبي العباس أحمد بن علي النجاشي الأسدي الكوفي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد موسى الشبيري الزنجاني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط ٦، ١٤١٨ هـ.

٢٢- سير أعلام النبلاء: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف: الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة/ بيروت، ط ٣، ١٤٠٥ هـ.

٢٣- الشافي: للمصور بالله أبي محمد عبد الله بن حمزة الحسيني اليميني الزيدي (ت ٦١٤ هـ)، حققه واعتنى به وعلّق عليه: السيد مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي (ت ٤٢٨ هـ)، الناشر: مكتبة أهل البيت (عليهم السلام)/ اليمن - صعدة، ط ١، ١٤٢٩ هـ.

٢٤- شرح الأصول الخمسة: للقاضي أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمداني الأسدأبادي المعتزلي (ت ٤١٥ هـ)، بتعليق: السيد مانغديم أحمد الحسيني (ت ٤٢١ هـ)، حققه وقدم له: الدكتور عبدالكريم عثمان، الناشر: مكتبة وهبة/ القاهرة، ط ٣، ١٤١٦ هـ.

٢٥- عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب: للسيد جمال الدين أحمد بن علي الحسيني الداودي الحلبي المعروف بابن عنبه (ت ٨٢٨ هـ)، أمر بطبعه وعلّق عليه: العلامة الميرزا محمد علي المرادآبادي اللكهنوي الكشميري (ت ١٣٠٩ هـ)، طبعه ونشره: المطبع الجعفري/ لكهنو - الهند، ط ١، وهي أول طبعة للعمدة الطالب.

٢٦- عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب: للسيد جمال الدين أحمد بن علي الحسيني الداودي الحلبي المعروف بابن عنبه (ت ٨٢٨ هـ)، الناشر: مطبعة الشيخ علي المحلاقي الحائري/ بومباي (مومباي) - الهند، ط ١٣١٨ هـ، وهي الطبعة الثانية للعمدة الطالب.

٢٧- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: للسيد جمال الدين أحمد بن علي الحسيني الداودي الحلبي المعروف بابن عنبه (ت ٨٢٨ هـ)، عني بتصحيحه: السيد محمد حسن آل الطالقاني، قدم له وعلّق عليه: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، الناشر: المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف، ط ٢، ١٣٨٠ هـ.

٢٨- الكامل في التاريخ (تاريخ ابن الأثير): لعز الدين أبي الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري الموصلبي المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، حققه واعتنى به: عمر عبدالسلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي/ بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ.

٢٩- اللهوف على (في) قتلى الطفوف: للسيد رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى ابن جعفر ابن طوس الحسيني (ت٤٦٦هـ)، الناشر: أنوار الهدى/ قم، ط١، ١٤١٧هـ.

٣٠- مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار: لبدر الدين محمد بن علي بن يونس الزحيف الصعدي، المعروف بابن فند (بعد ٩١٦هـ)، تحقيق: عبدالسلام عباس الوجيه، خالد قاسم المتوكل، الناشر: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية/ عمان - الأردن، ط١، ١٤٢٣هـ.

٣١- المجدي في أنساب الطالبين: للسيد الشريف أبي الحسن علي بن أبي الغنائم محمد العلوي العمري البصري النسابة (ت٤٩٠هـ)، قدم له: آية الله العظمى السيد المرعشي النجفي، تحقيق: الدكتور أحمد المهدي الدامغاني، إشراف: الدكتور السيد محمود المرعشي، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة/ قم، ط٢، ١٤٢٢هـ.

٣٢- المختصر في أخبار مشاهير الطالبية والأئمة الاثني عشر: للسيد صفى الدين أبي عبدالله محمد بن علي بن علي ابن الطقطقي الحسيني الطباطبائي الحلي (توفي حدود ٧٢٠هـ)، حققه وضبط نصه وشرحه: السيد علاء الموسوي الدمشقي، الناشر: مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة/ كربلاء المقدسة، ط١، ١٤٣٦هـ.

٣٣- المصاييح: للسيد أبي العباس أحمد بن إبراهيم العلوي الحسيني الداودي (ت٣٥٣هـ)، ومعه تتمته لتلميذه أبي الحسن علي بن بلال الأملي الطبري الزبيدي، تحقيق: عبدالله بن عبدالله بن أحمد الحوثي، تقديم: السيد مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي، الناشر: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية/ عمان - الأردن، ط٢، ١٤٢٣هـ.

٣٤- معرفة الثقات: لأبي الحسن أحمد بن عبدالله بن صالح العجلي (ت٢٦١هـ)، بترتيب: نور الدين أبي الحسن علي الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تقي الدين أبي الحسن علي السبكي (ت٧٥٦هـ)، مع زيادات: شهاب الدين أبي الفضل أحمد ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، دراسة وتحقيق: عبدالعليم عبدالعظيم البستوي، الناشر: مكتبة الدار/ المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٥هـ.

٣٥- مناهل الضرب في أنساب العرب: للسيد أبي عبدالله جعفر بن محمد الحسيني الأعرجي البغدادي النجفي (ت١٣٣٢هـ)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي/ قم، ط١، ١٤١٩هـ.

٣٦- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٩٧٥هـ)، دراسة وتحقيق: محمد عبدالقادر عطا، مصطفى عبدالقادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٣٧- منتقلة الطالبية: للسيد أبي إسماعيل إبراهيم بن ناصر الحسيني الطباطبائي الأصفهاني المعروف بابن طباطبا (من أعلام القرن الخامس)، حققه وقدم له: العلامة السيد محمد مهدي الموسوي الخرساني، الناشر: المطبعة والمكتبة الحيدرية/ النجف الأشرف، ط١، ١٣٨٨هـ.

٣٨- الوافي بالوفيات: لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين العرب والمستشرقين، صدرت أجزاءه عن عدة دور نشر في بيروت، بإشراف: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية/ بيروت، الناشر: دار النشر فرانز شتاينر/ شتوتغارت، جمعية المستشرقين الألمانية/ برلين، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية/ بيروت، صدرت خلال عدة سنوات، من عام ١٩٦٢م إلى عام ٢٠١٠م.

٣٩- وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى: لنور الدين علي بن عبدالله بن أحمد السمهودي (ت٩١١هـ)، اعتنى به ووضع حواشيه: خالد عبدالغني محفوظ، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.





مجلة الزكي العلمية

AL-ZAKI - QUARTERLY AUTHORIZED JOURNAL

التعددية الفكرية

في جيش الإمام الحسن المجتبي عليه السلام

الشيخ محمد جواد المحمودي⁽¹⁾

الحوزة العلمية - قم المقدسة

١- باحث ومحقق في التراث الإسلامي، محقق في مكتبة آية الله المرعشي النجفي
يقم المقدسة.

ملخص المقالة

يروم الكاتب دراسة البنى الفكرية لجيش الإمام الحسن المجتبي ﷺ، وفي إطار دراسة الاتجاهات العقائدية، يثبت الاختلافات المذهبية والتعددية الفكرية في جيش الإمام الحسن ﷺ، ويقسمهم إلى أربعة أقسام:

الأول: الشيعة المخلصون للإمام ولأبيه أمير المؤمنين ﷺ.

الثاني: أبناء الدنيا وأصحاب المطامع.

الثالث: الخوارج، وأعداء أمير المؤمنين ﷺ.

الرابع: الشكّاكون وأتباع الرؤساء.

ويورد نماذج على ذلك من المصادر المعتمدة.

الكلمات الأساسية: الإمام الحسن ﷺ - الجيش؛ البنى الفكرية؛ التعددية المذهبية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين

أما بعد، فإنَّ عصر حكومة سيّد شباب أهل الجنة وسبط رسول الله ﷺ الأكبر وربحانته الإمام الحسن المجتبي ﷺ والتي جاءت بين دوافع الأولين وتساهل الآخرين، صورة مشوّهة من صور التاريخ، وتعرّضت في مختلف أدوارها لما كان يجب أن يتعرّض له أمثالها من الفترات المطموسة المعالم، المنسيّة الحقائق، المقصودة بالإهمال أو بالتشويه، وهذه الحقبة القصيرة من الزمن بما هي ظرف أحداث لا تقلُّ بأهميتها في ذاتها عن أعظم الفترات التي مرّ بها تاريخ الإسلام منذ وفاة النبي الخاتم ﷺ وإلى يومنا هذا؛ لأنّها كانت ظرف الخلافة الفريدة من نوعها في تاريخ الحكومة، ولأنّها بداية قرار القاعدة الجديدة في التمييز بين السلطات الروحيّة والسلطات الزمنيّة في الإسلام، ولأنّها الفترة التي تبلورت فيها الحزبات الطائفيّة لأوّل مرّة في التاريخ الإسلامي^(١).

فإنَّ الإمام الحسن المجتبي ﷺ على قصر عهده في حكومته من أطول الخلفاء باعاً في الإدارة والسياسة، والرجل الذي بلغ من دقته في تصريف الأمور، وسموه في علاج المشكلات، أنّه استغفل معاوية بن أبي سفيان أعنف ما يكون في موقفه منه حذراً وانتهاهاً واستعداداً للجبائل والغوائل، وإذا كلّ خطوات هذا الإمام وكلّ إيجاب أو سلب في سياسته آية من آيات عظمتها التي جهلها الناس وظلمها المؤرّخون.

وكان للشهوة الحزبيّة من بعض، ولمسايرة السياسة الحاكمة من آخر، وللجهل بالواقع من ثالث، أثره فيما أسفّ به المتسرّعون إلى أحكامهم، ونظروا إليه نظرهم إلى زعيم أخفق في زعامته، وفاهم أن ينظروا إلى دوافع هذا الإخفاق المزعوم، الذي كان في حقيقته انعكاساً للحالة القائمة في الجيل الذي قدّر للإمام الحسن المجتبي ﷺ أن يتزرّعه في خلافته، بما كان قد طغى على هذا الجيل من المغريات التي طلعت بها الفتوح الجديدة على الناس، وأيّ غضاضة على الزعيم إذا فسد جيله، أو خانته جنوده، أو فقد وجدانه الاجتماعي، ولهذا نرى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ لما رأى عدم طاعة أصحابه لأوامره خاطبهم وقال لهم: «يا أشباه الرجال ولا رجال: حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال، لوّددت أنّي لم أركم، ولم أعرفكم، مَعْرِفَةٌ وَاللَّهِ جَرَّتْ نَدْمًا، وَأَعْقَبَتْ سَدْمًا^(٢)، قاتلكم الله: لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرّعتوني ثعب التهمام^(٣) أنفاساً، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان، حتّى لقد قالت قريش: إنّ ابن أبي طالب رجل شجاع لكن لا

١- صلح الحسن، الشيخ راضي آل ياسين، مقدّمة المؤلّف.

٢- السّدَم: همّ مع أسف أو غيظ، وفعله كفرض.

٣- التّهمام: همّ، وكلّ تفعّل فهو بالفتح إلّا التّبيان والتلقاء، فهما بالكسر.

علم له بالحرب، لله أبوهم! وهل أحدٌ منهم أشدُّ لها مِرَاساً، وأقدمُ فيها مقاماً مَتي، لقد نَحَضْتُ فيها وما بلغْتُ العشرين، وها أنا ذا قد دَرَفْتُ على الستين^(١)، ولكن لا رأي لمن لا يطاع^(٢)».

فإنَّ عصر حكومة الإمام المجتبي ﷺ في كثير من الجهات شبيهه بعصر حكومة أبيه ﷺ، فإنَّ عمَّال الإمام الحسن ﷺ هم عمَّال المؤمنين ﷺ، قال خليفة بن خِياط: كانت ولاية الحسن بن عليّ سبعة أشهر وسبعة أيَّام، أقرَّ عمَّال أبيه^(٣).

كما أنَّ خواصَّ أصحابه هم خواصَّ أصحاب أميرالمؤمنين ﷺ، إلَّا أنَّ المخلصين منهم أقلَّ عدداً، وواجه خيانة جمع من أكابر أصحابه من جهة، وتنازع بعضهم وفشلهم من جهة أخرى، فإنَّه ﷺ صرَّح بذلك لما بلغه كتاب قيس بن سعد بن عبادة يخبره عن توجُّه أهل العراق إلى معاوية، فدعا أصحابه وقال لهم:

«يا أهل العراق، ما أصنع بجماعتكم معي؟! وهذا كتاب قيس بن سعد يخبرني بأنَّ أهل الشرف منكم قد صاروا إلى معاوية، أما والله ما هذا بمنكر منكم؛ لأنَّكم أنتم الذين أكرهتم أبي يوم صقَّين على الحكمين، فلما أمضى الحكومة وقبل منكم اختلافتم، ثمَّ دعاكم إلى قتال معاوية ثانية فتوانيتم، ثمَّ صار إلى ما صار إليه من كرامة الله إيَّاه، ثمَّ إنَّكم بايعتموني طائعين غير مكرهين، فأخذت بيعتكم وخرجت في وجهي هذا، والله يعلم ما نويت فيه، فكان منكم إليّ ما كان...»^(٤).

فلأصحاب الإمام الحسن ﷺ دور أساسي في الحوادث الواقعة في عصره، ولست في مقام عدِّ أصحابه، أو عمَّاله، أو قادة جيشه، ولا كتابه ولا قضائه ولا الرواة عنه، وإمَّا نذكرهم حسب اعتقادهم ووفائهم ببيعتهم وعدمه، وقبل التعرُّض لهذا التقسيم نذكر نكتة هامة، وهي أنَّ لمعاوية دوراً أساسياً في إضلال أصحاب الإمام الحسن المجتبي ﷺ وإنحرافهم عن الحقِّ، وقد أشار أميرالمؤمنين ﷺ إلى مكيدة معاوية وشبَّهه بالشیطان، فإنَّه ﷺ كتب إلى زياد بن أبيه الذي كان عاملاً له ﷺ على دار البجرد:

«وقد عرفت أنَّ معاوية كتب إليك يستزِلُّ بُنْكَ، ويستفلِّ غربك^(٥)، فاحذره فإنَّما هو الشيطان؛ يأتي المرء من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، ليقتحم غفلته، ويستلب غرته^(٦)».

١- دَرَفْتُ على الستين: زدت عليها.

٢- نَحَجُ البلاغة: ٧١ / خ ٢٧.

٣- تاريخ خليفة بن خِياط: ٢٠٣، حوادث سنة إحدى وأربعين.

٤- الفتوح: ٤: ٢٦٢.

٥- يستفلُّ: يثلم. والغرب: الحدَّة والنشاط.

٦- نَحَجُ البلاغة: ٤١٦ / ك ٤٤٤.

ينقسم أصحاب الإمام الحسن عليه السلام إلى عناصر متباينة في أفكارها، مختلفة في عقائدها، وهي كما يلي:

القسم الأول: الشيعة

وهم المخلصون من أصحابه الذين وفوا بعدهم وبيععتهم، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الدفاع عن الولاية الحقّة، ولم يخونوا إمامهم عليه السلام، وهؤلاء كانوا في قلّة، فإنّهم لو كانوا كثيرين لما أُجبر أمير المؤمنين عليه السلام على قبول التحكيم في صفّين، ولما صالح الإمام المجتبي عليه السلام معاوية، كانت هذه الطائفة تحالف بقية الطوائف في تفكيرها وشعورها وإيمانها، فإنّهم يرون الخلافة من حقوق أهل البيت عليهم السلام، ويعتقدون أنّهم أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ طاعتهم مفروضة على جميع الأمم، وكانت الشيعة في بعض القبائل في كثرة بحيث يمكن أن تعدّ القبيلة كلّها شيعة، منها قبيلة همدان اليمانيّون التي قال فيهم أمير المؤمنين عليه السلام.

فلو كنت بواباً على باب جنّة

لقلتُ لهمدان ادخلوا بسلام^(١)

ومنها قبيلة ربيعة التي كانت محبّة أهل البيت عليهم السلام غالبية في أفرادها، ويشهد لما قلنا ما روي أنّ الإمام الحسن عليه السلام لما جرح في سباط المدائن وهجم عليه جماعة من الخوارج والمنافقين نادى: «أين ربيعة وهمدان؟» فتبادروا إليه ودفعوا عنه القوم^(٢).

ونذكر هنا بعض المبرزين من الشيعة:

١- قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي الصحابي

كان من النبي صلى الله عليه وآله بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير، شهد مع النبي صلى الله عليه وآله مشاهدته كلّها، وكان حامل راية الأنصار يوم الفتح^(٣). وكان من دهاة العرب وأهل الرأي والمكيدة في الحرب مع النجدة والشجاعة والسخاء، وكان يقول: لو لا الإسلام لمكرت مكرّاً لا تطيقه العرب^(٤). ويقول: ولو لا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «المكر والخديعة في النار»، لكنت من أمكر هذه الأمة^(٥).

١- أنساب الأشراف ٣: ٣٢٢، شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ٥: ٢١٧.

٢- الأخبار الطوال: ٢١٧.

٣- الاستيعاب ٣: ١٢٨٩ / الترجمة ٢١٣٤.

٤- الاستيعاب ٣: ١٢٩٠ / الترجمة ٢١٣٤.

٥- تاريخ مدينة دمشق ٤٩: ٤٢٣ / الترجمة ٥٧٥.

وكان قيس من كبار شيعة أمير المؤمنين ﷺ وقائل بمحبته وولائه، وشهد معه حروبه كلها، وكان مع الإمام الحسن ﷺ، وكان طالبي الرأي، مخلصاً في اعتقاده وودّه^(١). وكان مناصحاً لأمر المؤمنين ولالإمام الحسن ﷺ، ولم يزل على ذلك إلى أن مات^(٢).

ولاه أمير المؤمنين ﷺ مصر، ثم عزله بمحمد بن أبي بكر، فشارك قيس مع أمير المؤمنين ﷺ بصقين، وكان من أمراء جيشه، ومن شعره في أيام صقين الذي يدل على خلوصه وكمال وده لأمر المؤمنين ﷺ قوله:

قُلْتُ مَا بَعَى الْعَدُوَّ عَلَيْنَا حَسْبُنَا رَبُّنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ
حَسْبُنَا رَبُّنَا الَّذِي فَتَحَ الْبَصْرَ رَهَةً بِالْأَمْسِ وَالْحَدِيدِ كَثُ طَوِيلُ
وَعَلَيَّ إِمَامُنَا وَإِمَامُكُمْ لَيْسَ وَانَا أَتَى بِهِ التَّنْزِيلُ
يَوْمَ قَالَ النَّبِيُّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَا هُوَ فَهَذَا مَوْلَاهُ حَطَبٌ جَلِيلُ^(٣)

ولما بويع الإمام الحسن ﷺ بالخلافة بعد أبيه ﷺ كان قيس بن سعد من المبادرين إلى بيعته والناهضين بها، ويقال: إنه أول من بايع الإمام الحسن ﷺ^(٤).

ووجه الإمام المجتبي ﷺ عبيد الله بن عباس ومعه قيس بن سعد مقدّمة له في اثني عشر ألفاً إلى الشام، وقال لعبيد الله: «امض حتى تستقبل معاوية، فإذا لقيته فلا تقاتله حتى يقاتلك، فإن أصبت فقيس بن سعد على الناس». فسار عبيد الله حتى نزل بإزاء معاوية، فلما كان من الغد وجه معاوية بخيله إليه، فخرج إليهم عبيد الله في من معه، فضربهم حتى ردّهم إلى معسكرهم، فلما كان الليل أرسل معاوية إلى عبيد الله بن عباس، فباع دينه بدنيا معاوية، وأقبل ليلاً فدخل معسكر معاوية، وأصبح الناس ينتظرون عبيد الله أن يخرج فيصلّي بهم فلم يخرج، فطلبوه فلم يجدوه، فصلّى بهم قيس بن سعد بن عباد، ثم خطبهم فثبّتهم وأمرهم بالصبر والنهوض إلى العدو، فأجابوه فخرجوا فضربوا أهل الشام حتى ردّوهم إلى مصافهم، وكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعو ويمّنيه، فكتب إليه قيس: لا والله لا تلقاني أبداً: إلا بيني وبينك الرمح^(٥).

قال المدائني: وكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعو إلى نفسه وهو بمسكن في عشرة آلاف، فأبى أن يجيبه، ثم كتب إليه: إنما أنت يهودي ابن يهودي، إن ظفر أحبّ الفريقين إليك عزلك واستبدل بك، وإن ظفر

١- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ١١٢.

٢- الغارات ١: ٢٢٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٦٤.

٣- الفصول المختارة: ٢٩١، كنز الفوائد: ٢٣٤.

٤- تجارب الأمم ١: ٥٧١.

٥- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٤٣.

أبغضهما إليك قتلك ونكّل بك، وقد كان أبوك أوترغير قوسه، ورمى غير غرضه، فأكثر الحرّ وأخطأ المفصل، فخذّله قومه، وأدركه يومه، فهلك بحوران طريداً، والسلام.

فكتب إليه قيس بن سعد: أما بعد يا معاوية، فإتّما أنت وثن ابن وثن من أوثان مكّة، دخلت في الإسلام كرهاً، وخرّجت منه طوعاً، لم يقدم إيمانك، ولم يحدث نفاقك، وقد كان أبي أوتر قوسه، ورمى غرضه، فاعترض عليه من لم يبلغ كعبه، ولم يشقّ غباره، وكان أمراً مرغوباً عنه، مزهوداً فيه، ونحن أنصار الدين الذي خرجت منه، وأعداء الدين الذي صرت إليه.

فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أجه. فقال معاوية: أخاف أن يجيبي بما هو شرّ من هذا^(١).

ولما صالح الإمام الحسن ﷺ معاوية انصرف قيس بن سعد في من معه إلى الكوفة^(٢).

وروي أنّ معاوية استثنى قيس بن سعد في الأمان، فقال الإمام الحسن ﷺ: لا أصلح حتّى لا تستثنى أحداً. فلم يجد معاوية بداً إلاّ القبول^(٣).

وروي أنّه لما صالح معاوية اعتزل قيس بن سعد في أربعة آلاف فارس وأبى أن يبايع، فلما أراد البيعة ألقي له كرسي وجلس معاوية على سريره والإمام الحسن ﷺ معه، فقال له معاوية: أتبايع يا قيس؟ قال: نعم. ووضع يده على فخذه ولم يمدّها إلى معاوية، فجنّنا معاوية على سريره وأكبّ على قيس حتّى مسح يده على يده وما رفع قيس يده له^(٤).

وروي عن أبي عبدالله ﷺ: أنّ قيساً لم يبايع معاوية حتّى قال له الإمام الحسن ﷺ: بايع يا قيس، فبايع^(٥).

وسار قيس إلى المدينة ولم يزل بها مشتغلاً بالعبادة حتّى توفّي في آخر خلافة معاوية^(٦).

٢- حجر بن عدي الكندي وجماعة من أصحابه

كان حُجر بن عدي من فضلاء الصحابة^(٧)، وكان من الأبدال^(٨). وكان من المخلصين لأمير المؤمنين ﷺ،

١- أنساب الأشراف ٤٠:٣، مقاتل الطالبين: ٤٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٣:١٦.

٢- مقاتل الطالبين: ٤٢-٤٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٢:١٦-٤٤.

٣- الاستيعاب ١:٣٨٥/ الترجمة ٥٥٥.

٤- مقاتل الطالبين: ٤٧.

٥- اختيار معرفة الرجال ١:٣٢٦/ ح ١٧٧.

٦- سير أعلام النبلاء ٣:١١٢/ رقم ٢١.

٧- الاستيعاب ١:٣٢٩/ الترجمة ٤٨٧.

٨- رجال الطوسي: ٦٠/ الترجمة ٥١٥.

شارك في حروبه الثلاث الجمل وصقّين والنهروان، ويدل على محبته وإخلاصه لأئمة المؤمنين ﷺ قوله يوم الجمل:

يَا رَبَّنَا سَلِّمْ لَنَا عَلِيًّا سَلِّمْ لَنَا الْمُبَارَكَ الرِّضِيًّا
المؤمن الموحَّد التقيًّا لا خطل الرأي ولا غويًّا
بل هاديًّا موفِّقاً مهديًّا واحفظه ربِّي واحفظ النبيَّا
فيه فقد كان له وليًّا ثم ارتضاه بعده وصيًّا^(١)

وكان حُجر بن عدي من المبادرين إلى بيعة الإمام الحسن ﷺ، ومن قادة جيشه، ولمّا بلغ الإمام ﷺ أنّ معاوية قد عبر جسر منبج وجّه حُجر بن عدي يأمر العمّال بالاحتراس، وندب الناس فسارعوا، حتّى إذا كان من الصلح ما كان، كان حُجر من المنذدين بالصلح وتمنّى الموت! فقال له الإمام الحسن ﷺ: «يا حُجر، ليس كلّ الناس يحبّ ما تحبّ، ولا رأيُه رأيك، وما فعلت ما فعلت إلّا إبقاءً عليكم، والله تعالى كلّ يوم هو في شأن»^(٢).

كان حُجر مقيماً بالكوفة، ومن أشدّ المدافعين عن منهج أمير المؤمنين ﷺ، فكان من حديثه أنّ المغيرة بن شعبه كان لا يترك شتم عليّ ﷺ وأصحابه، والترحم على عثمان وأصحابه، وكان حُجر إذا سمع ذلك يقول: إنّ من تدمون أحقّ بالفضل والتقدّم، ومن تمدحون أولى بالذمّ! فلمّا كان في آخر أيام المغيرة نال من عليّ وقال في عثمان ما كان يقول، فقام حُجر بن عدي وصاح: إنّك لا تدري بمن تولع؛ أصبحت مولعاً بذمّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ومدح الجرمين! فقام معه ثلاثون ألفاً يقولون: صدق حُجر ...^(٣)

ولمّا وليّ معاوية زياد بن أبيه الكوفة خطّب زياد فقال في خطبته: لست بشيء إن لم أحم ناحية الكوفة من حُجر بن عدي وأدعه نكالاً لمن بعده^(٤)!

وخطب زياد يوم جمعة فأطال الخطبة وأخّر الصلاة، فقال له حُجر بن عدي: «الصلاة»، فمضى زياد في خطبته، فأخذ حُجر كفاً من حصي وحصبه به وثار إلى الصلاة، وثار الناس معه، فنزل زياد وصلى بالناس، ثمّ كتب ذلك إلى معاوية، فكتب معاوية: أن اشده في الحديد واحمله إليّ! فحمل إليه فأمر بقتله^(٥).

١- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦:١٥.

٢- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦:١٥.

٣- الدرجات الرفيعة ١: ٧٧٣-٧٧٤ ترجمة حُجر بن عدي.

٤- تاريخ الطبري ٤: ١٨٩، ١٩٠.

٥- تاريخ الطبري ٤: ١٩٠، ١٩١، مروج الذهب ٣: ٤.



وكان مع حجر جماعة من أصحابه قتلوا صبراً، وهم: عبدالرحمان بن حسان العنزي، وصيفي بن فسيل الشيباني، وقبيصة بن ربيعة الشيباني، وشريك بن شداد الحضرمي، وكدام بن حيان العنزي، ومحرز بن شهاب التميمي^(١). ولم يكن لهم ذنب سوى مودتهم للعترة الطاهرة التي هي عديلة القرآن.

وروي: أنه لما قدم معاوية المدينة دخل على عائشه، فقالت: ما حملك على قتل أهل عذراء؛ حجر وأصحابه؟ فقال معاوية: إني رأيت قتلهم صلاحاً للأمة، وبقاؤهم فساداً للأمة! فقالت عائشة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم وأهل السماء»^(٢)!

وكتب الإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية: «... ما أريد لك حرباً ولا عليك خلافاً، وإيم الله إني لخائف لله في ترك ذلك، وما أظن الله راضياً بترك ذلك، ولا عاذراً بدون الإعذار فيه إليك وفي أوليائك القاسطين الملحدين حزب الظلمة وأولياء الشيطان. ألسنت القاتل حجراً أخاكندة، والمصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البدع، ولا يخافون في الله لومة لائم؟! ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً، من بعد ما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة، لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، ولا بإحنة تجدها في نفسك...»^(٣). وكان قتل معاوية لحجر بن عدي في سنة إحدى وخمسين^(٤).

٣- جندب بن عبدالله الأزدي

كان من الصحابة، وكان مع أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالجمل وصقين والنهروان^(٥)، وهو القاتل للساخر بين يدي الوليد بن عقبة، وكان من أصحاب الإمام الحسن عليه السلام، كتب الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية كتاباً أرسله مع جندب بن عبدالله الأزدي^(٦).

٤- قيس بن عمرو الكندي أبو العمرطة

كان على مقدمة جيش الإمام الحسن عليه السلام لما صالح معاوية ورجعوا إلى الكوفة^(٧)، وكان من الذين دافعوا عن

١- تاريخ يعقوبي ٢: ٢٣١.

٢- المعرفة والتاريخ ٣: ٢٣٩؛ إعلام الوری ١: ٩٣.

٣- اختيار معرفة الرجال ١: ٢٥٢، ٢٥٣ ح ٩٧-٩٩.

٤- الاستيعاب ١: ٣٣٢/ الترجمة ٤٨٧.

٥- الاستيعاب ١ / ٢٥٨ / الترجمة ٣٤٣؛ الإرشاد ١: ٣١٧.

٦- مقاتل الطالبيين: ٣٥-٣٥.

٧- المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٧٥ / ح ٤٨١٢، الاستيعاب ١: ٣٨٦ / الترجمة ٥٥٥؛ تاريخ مدينة دمشق

١٣: ٢٧٩ / ج ١٣، ١٣٨٣ / الترجمة ١٣٨٣.

حجر بن عدي حين أراد زياد بن أبيه أخذه^(١).

٥- جارية بن قدامة السعدي

يعدّ في البصريين من الصحابة، روى عنه أهل المدينة وأهل البصرة، وكان من أصحاب أمير المؤمنين ﷺ، شارك معه في حروبه، وهو الذي حاصر عبدالله بن الحضرمي في دار شبيل ثم حرّق عليه، وكان معاوية بعث ابن الحضرمي ليأخذ البصرة وبها زياد خليفة ابن عباس، فنزل ابن الحضرمي في بني تميم، وتحوّل زياد إلى الأزدي وكتب بذلك إلى عليّ ﷺ، فوجّه أعين بن ضبيعة المجاشعي إلى البصرة فقتل، فبعث جارية بن قدامة^(٢).

وكان جارية بن قدامة من قادة جيش أمير المؤمنين ﷺ في صفين^(٣)، وكان معه ﷺ في حرب النهروان، ولما أرسل معاوية بسر بن أرطاة إلى المدينة ومكة، وجّه أمير المؤمنين ﷺ جارية بن قدامة في ألفين، فهرب بسر وأصحابه، وبلغه مقتل أمير المؤمنين ﷺ، فأخذ منهم البيعة للإمام الحسن ﷺ، ثم عاد منصرفاً إلى الكوفة^(٤).

٦- عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب

أمّه هند بنت أبي سفيان بن حرب، وكان يلقّب «ببّة»، ولد على عهد النبي ﷺ^(٥)، وتزوج دُرّة بنت أبي لهب، وكان رسول الإمام الحسن ﷺ إلى معاوية، واشترط عليه العمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وأن لا يبايع لأحد من بعده...^(٦)، وتحوّل إلى البصرة وأقام بها، ولما مات يزيد بن معاوية اصطلح أهل البصرة على عبدالله ابن الحارث فجعلوه أميراً، وأقرّه عبدالله بن الزبير^(٧).

توفي عبدالله بن الحارث سنة تسع وتسعين، ويقال: توفّي بعمان سنة أربع وثمانين عند انقضاء فتنة عبدالرحمان بن الأشعث، وكان خرج إليها هارباً من الحجاج من يوسف الثقفي^(٨).



١- تاريخ الطبري ٩٣:٤، أنساب الأشراف ٥:٤٩٩.

٢- الاستيعاب ١:٢٢٦ ٢٢٧/ الترجمة ٣٠٢.

٣- وقعة صفين: ٢٠٥.

٤- تاريخ الطبري ١٣٩:٥ ١٤٠.

٥- أنساب الأشراف ٤:٤٠٣ ٤٠٤، تاريخ مدينة السلام ١:٥٨٠.

٦- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ١٦:٢٢.

٧- تاريخ الإسلام ٦:١٠٦، سير أعلام النبلاء ١:٢٠٠.

٨- الاستيعاب ٣:٨٦٦/ الترجمة ١٥٠٠؛ تاريخ مدينة السلام ١:٥٨١.

٧- سعد بن مسعود الثقفي

هو عمّ المختار بن أبي عبيد الثقفي، كان من الصحابة^(١)، وكان من أصحاب أمير المؤمنين ﷺ، استعمله على الزواري^(٢)، ثم على المدائن، وأقرّه الإمام الحسن ﷺ^(٣)، وكان في وقعة الجمل على قيس وعبس وذبيان^(٤). خرج الإمام الحسن ﷺ من الكوفة حتى بلغ سباط المدائن، فانتهب المنافقون سرادقه وجرحوه، فانتقل إلى قصر المدائن، وجاء سعد بن مسعود بطبيب فعالجه حتى صلح^(٥).

٨- عبيد الله بن أبي رافع

كان كاتباً لأمر المؤمنين ﷺ^(٦)، له كتاب قضايا أمير المؤمنين ﷺ، وكتاب (تسمية من شهد مع أمير المؤمنين الجمل وصفين والنهروان)^(٧)، وكان أيضاً كاتباً للإمام الحسن المجتبي ﷺ^(٨).

ومن هذه الطائفة زياد بن خصفة، ومعل بن قيس، حيث قاما مع قيس بن سعد، وأحسنوا القول للإمام الحسن ﷺ، وأخبروا بمسارعتهم إلى أمره وخفوقهم للجهد معه، وأثم لا يخذلونه، فصدّق الإمام المجتبي ﷺ مقاتلهم وردّ عليهم خيراً^(٩).

ويمكن أن نعدّ منهم سليمان بن صرد الخزاعي، والمسبّب بن نجبة الفزاري، وعدّة أخرى غيرها عرضنا عن ذكرهم كراهة التطويل.

القسم الثاني: أبناء الدنيا وأصحاب المطامع

«حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة»^(١٠)، و«ما ذئبان ضاريان في غنمٍ ليس لها راع، هذا في أولها، وهذا في

١- الاستيعاب ٢: ٦٠٢ / الترجمة ٩٥٦.

٢- الأخبار الطوال: ١٥٣.

٣- الإرشاد ٢: ١٢.

٤- الأخبار الطوال: ١٤٦.

٥- المستدرک علي الصحيحين ٣: ١٧٤ / ح ٤٨٠٧.

٦- الإرشاد ٢: ٢١٥، رجال النجاشي: ٤٩ / الترجمة ١.

٧- الفهرست للطوسي: ١٧٤ - ١٧٥ / الرقم ٤٦٧.

٨- التنبيه والإشراف للمسعودي: ٢٦٠ - ٢٦١، محاضرة الأبرار ١: ٦٦.

٩- أنساب الأشراف ٣: ٢٨٠.

١٠- الكافي ٢: ٣١٥ / ح ١.

آخرها، بأسرع فيها من حب المال والشرف في دين المؤمن»^(١)، و«إنَّ الشيطان يدير ابن آدم في كل شيء، فإذا أعياه جثم له عند المال فأخذ بربقته»^(٢)، وحذّر الله تعالى عباده عن الاغترار بالدنيا فقال عزّ من قائل:

﴿عُرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الدينار والدرهم أهلكما من كان قبلكم وهما مهلكاكم»^(٤).

وقال إمام المتقين عليه السلام: «فإني أُحذركم الدنيا، فأتمها حلوة خضرة، فحقت بالشهوات، وتحيّبت بالعاجلة، وراقت بالقليل، وتحلت بالأمال، وتزيّنت بالغرور، لا تدوم حبرتها، ولا تؤمن فجعتها، غرارة ضرارة، حائلة زائلة، نافذة بائدة، أكالة غوّالة، لا تعدو إذا تناهت إلى أمنيّة أهل الرغبة فيها والرضا بها...»^(٥).

كان جيش العراق جيشاً مضطرباً لوجود العناصر الأموية وأبناء الدنيا فيهم، فمثل الأشعث بن قيس، وعمرو بن الحريث، وحجّار بن أبيض، وعمرو بن الحجاج، وغيرهم من أصحاب المطامع، كانوا في خدمة دنياهم، وقد صرّح بذلك الإمام الحسن عليه السلام في خطبته، حيث قال بعد حمد الله والثناء عليه: «إنّا والله ما يثنينا عن أهل الشام شكّ ولا ندم، وإنّما كنّا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فشيّبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم في مسيركم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم»^(٦).

وكان معاوية يستخدم كافة الأساليب لتثبيت سلطته سواء بالترغيب أو التهيب أو الغارات أو الاغتيالات، وما إلى ذلك من التزوير والدعايات الكاذبة، خاصّة بالنسبة إلى رؤساء العشائر الذين كانوا آنذاك قوام المجتمع، بينما كان أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب وابنه الإمام الحسن عليه السلام ومن على سيرتهما لا يتعاملون مع الناس إلّا بالحقّ، لا يميّزون بين قريب وبعيد، ولا بين ضعيف وقوي، ولا بين صديق وعدوّ، وعامة الناس - وخاصة شيوخ العشائر - كانوا طلاب الدنيا يدورون معها حيث دارت، وهذا هو الوجه الغالب في رؤساء القبائل، وأذكر هنا نماذج منهم، فمن أبرزهم:

عبيد الله بن العباس بن عبدالمطلب، أمه لبابة بنت الحارث بن حَزَن الهلالية، رأى النبي ﷺ وسمع منه وحفظ عنه، وكان أصغر من أخيه عبد الله بن عباس بسنة، استعمله أميرالمؤمنين عليه السلام على اليمن وأقره على الحجّ،

١- الكافي ٢: ٣١٥/٣ ح ٣.

٢- الكافي ٢: ٣١٥/٣ ح ٤.

٣- لقمان: ٣٣، وفاطر: ٥.

٤- الكافي ٢: ٣١٦/٣ ح ٦.

٥- نصح البلاغة ١: ٢١٦/٢ خ ١١١.

٦- أسد الغابة ٢: ١٣، تاريخ مدينة دمشق ٣: ٢٦٨/٢ الترجمة الترجمة ١٣٨٣.

وبعث معاوية في سنة أربعين بسر بن أرطاة إلى اليمن وعليها عبيد الله بن العباس، فتنحى عبيد الله وقتل بسر طفلي عبيد الله باليمن، وقتل جماعة كثيرة من الشيعة، فبعث عليؑ جارية بن قدامة السعدي، فهرب بسر، فرجع عبيد الله إلى اليمن، فلم يزل عليها حتى قتل عليؑ (١).

وكان عبيد الله من المبادرين والمسارعين إلى بيعة الإمام الحسنؑ، ووجههؑ في اثني عشر ألفاً إلى الشام ومعه قيس بن سعد، فسار عبيد الله حتى أتى مسكن وقد وافى معاوية فنزل بقرية الحويبية، ونزل عبيد الله بإزائه، فلما كان من غدٍ وجه معاوية بجياله إليه فخرج إليهم عبيد الله بن العباس في من معه، فضرهم حتى ردهم إلى معسكرهم، فلما كان الليل أرسل معاوية إلى عبيد الله: أنّ الحسن بن عليؑ راسله في الصلح، حسب ادعائه المزعوم، وعرض عليه أن يأتيه فيكون متبوعاً وهو خير له من أن يكون تابعاً، وأن يعطيه ألف ألف درهم يعجل له نصفها ويعطيه نصفها بعد دخوله الكوفة! فسوّلت لعبيد الله نفسه بالغدور ونكث العهد، فاستجاب لدنيا معاوية ومال عن الحق وانحرف عن الطريق المستقيم، وخان الله ورسوله وترك إمامه المفترض عليه طاعته، سبط النبي ﷺ وريحانته، والتحق بمعسكر معاوية، وترك جنده بلا أمير (٢)، وكان معه ثمانية آلاف من الجيش من ذوي الأطماع والأهواء (٣).

مات عبيد الله بن العباس سنة ثمان وخمسين بالمدينة (٤).

ومنهم: خالد بن معمر

وكان وجوه أهل العراق يأتون معاوية فيبايعونه، فكان أول من أتاه خالد بن معمر، فقال: أبايعك عن ربيعة كلها (٥)، ففعل. كان خالد بن معمر من قادة جيش أمير المؤمنينؑ بصقّين، وكان علي بكر بن وائل (٦)، ويقال: إنّه كاتب معاوية في صقّين وكان له باطن سوء، وإنّه انهزم في بعض أيام صقّين ليكسر الميسرة على جيش أمير المؤمنينؑ.

ويدلّ على خبث باطنه أنّه لما استظهرت ربيعة على معاوية وعلى صفوف أهل الشام في اليوم الثاني أرسل معاوية إلى خالد بن معمر: أن كُفّ عني ولك إمارة خراسان ما بقيت.

١- الاستيعاب ١٠٠٩:٣ / الترجمة ١٧١٥.

٢- مقاتل الطالبين: ٤٢، شرح نصح البلاغة لابن أبي الحديد ٣٩:١٦.

٣- تاريخ يعقوبي ١٩١:٢.

٤- طبقات خليفة بن خيَّاط: ٤٠٤.

٥- أنساب الأشراف ٣:٣٩.

٦- وقعة صقّين: ١١٧.

فكف عنه، فرجع بريعة^(١)، وفي ذلك يقول الشاعر:

معاوي أكرم خالد بن مُعَمَّرٍ فَإِنَّكَ لولا خالد لم تُؤمَّر^(٤)

ومنهم: عفاق بن شُرْحَيْبِل

فقد بايع عفاق بن شرحبيل بن أبي رهم التيمي معاوية^(٢)، وهو ممن شهد على حُجر بن عدي حتى قتله معاوية^(٣).

وبلغ ذلك الإمام الحسن ﷺ فقال: «يا أهل العراق، أنتم الذين أكرهتم أبي على القتال والحكومة، ثم اختلفتم عليه، وقد أتاني أنّ أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية فبايعوه، فحسبي منكم لا تغرّوني في ديني ونفسي»^(٤).

وروى البلاذري: أنّ معاوية توجه إلى العراق واستخلف الضحّاك بن قيس الفهري، وجدّ المسير، وقال: قد أتتني كتب أهل العراق يدعونني إلى القدوم عليهم^(٥).

القسم الثالث: الخـوارج

هم أعداء أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ منذ حادثة التحكيم، كما أنّهم أعداء معاوية، وكانوا يرومون قتال معاوية بكلّ حيلة ووسيلة لا إيماناً منهم بإمامة الإمام الحسن ﷺ، بل كانوا يرون الإمام المجتبي ﷺ ومعاوية في صعيد واحد، وأنهما لا يستحقّان الخلافة، وإنّما كانوا يستعجلون حرب معاوية ومناجزته؛ لأنّهم يعلمون أنّه أوفر قوّة من الإمام الحسن ﷺ، فرأوا أن ينضمّوا إلى جيشه مؤقتاً حتّى ينهوا أمر معاوية، فإذا قُضي عليه يكون أمر الحسن ﷺ سهلاً، لأنّ اغتياله ليس بالعسير عليهم، فقد اغتالوا أباه من قبل^(٦).

وكانوا يحسنون غزو القلوب والأفكار ويجيدون الدعاية، وقد وصف المغيرة شدّة تأثيرهم في النفوس بقوله: إنّهم لم يقيموا ببلد يومين إلّا أفسدوا كلّ من خالطهم^(٧).

وقال ابن زياد: لكلام هؤلاء أسرع في القلوب من النار إلى البراع^(٨).

١- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٥: ٢٢٨، ٢٢٩ و ٢٤٢.

٢- أنساب الأشراف ٣: ٣٩.

٣- أنساب الأشراف ٥: ٢٥٤.

٤- أنساب الأشراف ٣: ٣٩.

٥- أنساب الأشراف ٣: ٣٧.

٦- انظر: موسوعة أهل البيت للشيخ باقر شريف القرشي ١١: ٨٤.

٧- تاريخ الطبري ٤: ١٤٤.

٨- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥: ٨٣. والبراع: القصب.

وهم الذين شرطوا على الإمام الحسن ﷺ عند بيعتهم له: «حرب الضالين؛ أهل الشام»، فقبض الإمام المجتبي ﷺ يده عن بيعتهم على الشرط، وأرادها على السمع والطاعة، وعلى أن يجاروا من حارب ويسالموا من سالم، فأتوا الحسين بن علي ﷺ وقالوا له: ابسط يدك نبايعك على ما بايعنا عليه أباك يوم بايعناه، وعلى حرب المخلئين الضالين أهل الشام! فقال الإمام الحسين ﷺ: «معاذ الله أن أبايعكم ما كان الحسن حياً». فانصرفوا إلى الحسن ﷺ فلم يجدوا بداً من بيعته على ما شرط عليهم^(١).

ولمّا رأى الإمام الحسن ﷺ فشل أصحابه وتواكلهم عن الحرب، قام فيهم خطيباً فقال: «أيها الناس، إنّي قد أصبحت غير محتمل على مسلم ضعيف، وإنّي ناظر لكم كنظري لنفسي، وأرى رأياً فلا تردّوا عليّ رأبي، إنّ الذي تكرهون من الجماعة أفضل ممّا تحبّون من الفرقة، وأرى أكثركم قد نكل عن الحرب وفشل عن القتال، ولست أرى أن أحملكم على ما تكرهون».

فلمّا سمع أصحابه ذلك نظر بعضهم إلى بعض، فقال من كان معه ممن يرى رأي الخوارج: كفر الحسن كما كفر أبوه من قبله! فشدّ عليه نفر منهم فانترعوا مصلاًه من تحته، وانتهبوا ثيابه حتّى انتزعوا مطرفه عن عاتقه، فدعا بفرسه وركبها ونادى: «أين ربيعة وهمدان؟» فتبادروا إليه ودفعوا عنه القوم، ثم ارتحل يريد المدائن، فكمن له رجل ممن يرى رأي الخوارج - يسمّى: الجراح بن قبيصة، من بني أسد - بمظلم ساباط، فلمّا حاذاه الحسن ﷺ قام إليه بمغول فطعنه في فخذه، وحمل على الأسدي عبد الله بن خطل وعبد الله بن ظبيان، فقتلاه^(٢).

القسم الرابع: الشكاكون وأتباع الرؤساء

قسّم أمير المؤمنين ﷺ الناس إلى ثلاثة أقسام: عالم، ومتعلم، وهمج رعا^(٣).

وهذا القسم - الهمج الرعا - هم عوام الناس التائهون في تيه الجهل، المتفرقة أهواؤهم بحسب كلّ سائح من المطالب الدنيويّة والخواطر الشيطانيّة، ليس لهم ثبات في عقيدتهم، فإنهم مقلدون لرؤسائهم، وينتقلون من التقليد لشخص إلى تقليد الآخر لأدنى خيال وأضعف وهم، وهم أراذل الناس؛ يتبعون كلّ مبتدع ينطق ويدعو الناس إلى باطل، وكما قال أمير المؤمنين ﷺ: «أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ربح».

١- الإمامة والسياسة ١: ١٨٤.

٢- الأخبار الطوال: ٢١٧.

٣- انظر: نهج البلاغة: ٤٩٦ / ح ١٤٧.

وكان في ذلك العصر لرؤساء القبائل الدور المحوري في التحوّلات السياسيّة والاجتماعيّة، والدور الأبرز في اتّخاذ القرار والتأثير على أغلبيّة الجمهور، وكان العوام تابعين لرؤسائهم، يعرفون الحقّ بمعيار الرجال الذين يكتّون لهم الاحترام، فإنّهم لا يعرفون الطريق الصحيح للحياة، ولا يبذلون سعيهم في سبيل معرفته، بل يتمثّلون معيارهم في اتّخاذ القرار واختيار النهج الذي يسلكونه بالتقليد الأعمى للخواص، واتباع الشخصيّات دون بصيرة ومن دون تفحص لكونه حقّاً أو باطلاً، بل يتبعونه لمحض كونه رئيس قبيلتهم أو قائدهم، فهم كالذباب كلّما تحركت الريح من جانب تحرك معها.

وكان أغلب من يعاصر الإمام الحسن من الناس - كزمن أبيه - من هذا القسم، فقد كان الإمام الحسن ﷺ يعيش في جماعة لم يكونوا أهل معرفة وتشخيص، وكان معاوية يشتري رؤساء القبائل بما يبذل لهم من الدنيا، وكان بذله لهم جزافاً، وقسمة الإمام الحسن ﷺ - كأبيه ﷺ - كانت على وجه الرزق والعطاء من غير تفضيل لشريف على منّ دونه.

هذه هي العناصر الأصليّة التي تكوّن منها جيش العراق في عصر الإمام الحسن ﷺ، وإن ذكر بعض عناصر أخرى مثل الحمراء^(١) وهم عشرون ألفاً من مسلحة الكوفة، كانوا حلفاء لعبد قيس الكوفة وليسوا منهم، وكانوا شرطة لزياد بن أبيه، فإنّهم لا يعدّون فرقة مستقلّة، بل ينطبق عليهم أحد هذه العناوين الأربعة، فقد كان القليل منهم شيعةً، وبعضهم - وهو الغالب فيهم - من أبناء الدنيا، وبعضهم أتباعاً لبني أميّة.

وما ذكرناه في هذا التقسيم إجمالاً ما قصدنا إيرادَه في أصحاب الإمام المجتبي ﷺ، وتفصيل الكلام فيه موكول إلى مجال آخر. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.



المصادر

- ١- القرآن الكريم كلام الله عزوجل.
- ٢- اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠ هـ)، تصحيح وتعليق: ميرداماد الاسترآبادي، مؤسسة آل البيت: قم، ١٤٠٤ هـ.
- ٣- الأخبار الطوال، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (٢٩٢ هـ)، تحقيق: عبدالمنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، ط ١، ١٩٦٠ م.
- ٤- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أبو عبدالله محمد بن محمد بن محمد بن النعمان المفيد (٤١٣ هـ)، مؤسسة دار المفيد، بيروت، ط ٢، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
- ٥- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبز الأندلسي (٤٦٣ هـ)، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
- ٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزري المعروف بابن الأثير (٦٣٠ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٧- إعلام الوری بأعلام الهدى، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ق ٨) مؤسسة آل البيت: لإحياء التراث، ط ١، ١٤١٧ هـ.
- ٨- الإمامة والسياسة، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦ هـ) تحقيق: علي شيري، منشورات الشريف الرضي، قم، ط ١، ١٤١٣ هـ / ١٣٧١ ش.
- ٩- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (٢٧٩ هـ)، تحقيق: د. محمد حميد الله، مطابع دار المعارف، مصر، ١٩٥٩ م.
- ١٠- تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط العصفري (٢٤٠ هـ)، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
- ١١- تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٤، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- ١٢- تاريخ مدينة السلام (تاريخ بغداد)، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ)، تحقيق: د. بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٢ / ٢٠٠٢ هـ.
- ١٣- تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر (٥٧١ هـ)، تحقيق علي شيري، دارالفكر الإسلامي، بيروت، ١٤١٥ هـ.
- ١٤- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (٢٨٤ هـ)، دار صادر، بيروت.

- ١٥- تجارب الأمم، أبو علي مسكويه الرازي (٤٢١ هـ)، تحقيق: د. أبو القاسم إمامي، طهران، دار سروش، ١٣٧٩ ش / ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.
- ١٦- التنبيه والإشراف، علي بن حسين المسعودي (٣٤٦ هـ)، دار صعب، بيروت.
- ١٧- الدرجات الرفيعة في طبقات الإمامية من الشيعة، السيد علي خان المدني الشيرازي المعروف بابن معصوم (١١٢٠ هـ)، تحقيق: محمد جواد الحمودي، مؤسسة تراث الشيعة، قم، ط ١، ١٤٣٨ هـ / ١٣٩٥ ش / ٢٠١٦ م.
- ١٨- رجال الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠ هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٥ هـ.
- ١٩- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨ هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.
- ٢٠- شرح نهج البلاغة، عبد الحميد ابن أبي الحديد (٦٥٦ هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، ط ١، ١٩٦٠ م.
- ٢١- صلح الحسن عليه السلام، الشيخ راضي آل ياسين (م ١٣٧٢ هـ).
- ٢٢- طبقات خليفة (الطبقات)، خليفة بن خياط العصفري (٢٤٠ هـ) تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
- ٢٣- الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي (٢٨٣ هـ)، تحقيق: السيد جلال الدين المحدث الأرموي، ط ايران.
- ٢٤- الفتوح، أحمد ابن أعمش الكوفي (٣١٤ هـ)، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ط ١، ١٤١١ هـ.
- ٢٥- الفصول المختارة، محمد بن محمد بن محمد بن النعمان المفيد (٤١٣ هـ)، تحقيق: السيد علي ميرشرفي، دار المفيد، بيروت، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
- ٢٦- الفهرست، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠ هـ)، تحقيق: جواد القيومي، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٧ هـ.
- ٢٧- فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)، أبو العباس أحمد بن علي النجاشي الأسدي الكوفي (٤٥٠ هـ)، تحقيق: السيد موسى الشيرازي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط ٥، ١٤١٦ هـ.
- ٢٨- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (٣٢٩ هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دارالكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٣ ش.
- ٢٩- محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار، أبو بكر محمد بن علي بن محمد ابن عربي (٦٣٨ هـ)، دار اليقظة العربية، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م.



- ٣٠- المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله النيسابوري (٤٠٥ هـ)، تحقيق: يوسف عبدالرحمان المرعشلي، دار المعرفة، بيروت.
- ٣١- المعرفة والتاريخ، يعقوب بن سفيان البسوي (٢٧٧ هـ)، مكتبة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٤ هـ.
- ٣٢- مقاتل الطالبين، أبو الفرج علي بن حسين الأصفهاني (٣٥٦ هـ)، تحقيق: كاظم المظفر، ط ٢، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م.
- ٣٣- موسوعة أهل البيت ﷺ، الشيخ باقر شريف القرشي، تحقيق: محمد باقر القرشي، دار المعروف، قم، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.
- ٣٤- نهج البلاغة، الشريف الرضي، ضبط نصّه: د. صبحي صالح، ط ١، بيروت، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م.
- ٣٥- وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري (٢١٢ هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط ٢، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ١٣٨٢ هـ.



دراسة في تاريخ بناء
قبة الإمام الحسن بن علي عليه السلام
بالبقيع

الدكتور أحمد خامه يار^(١)

١- باحث ومؤلف في التاريخ الإسلامي وطالب دكتوراه في جامعة طهران.

ملخص المقالة

تُعدّ قبة الإمام الحسن عليه السلام و مقبرة البقيع بالمدينة المنورة - والتي تحوي بالإضافة إلى قبر الإمام الحسن بن علي عليه السلام، على قبور العباس بن عبد المطلب، عمّ الرسول ﷺ، وثلاثة آخرين من أئمة أهل البيت عليهم السلام، هم: الإمام زين العابدين علي بن الحسين، والإمام محمد الباقر، والإمام جعفر الصادق عليهم السلام - من أهم الأماكن التي استمر عامة المسلمين على زيارتها في المدينة النبوية الشريفة طوال قرون عديدة، كما كان يُعدّ بناء القبة من الشواخص الأثرية الهامة بهذه المدينة قبل هدمها نهائياً بيد الدولة السعودية.

ويحاول هذا المقال من خلال دراسة تاريخية موثقة، بالاعتماد على النصوص التاريخية والجغرافية الأصيلة ومصادر رحلات المسلمين، إلقاء الضوء عن تاريخ بناء القبة ومراحل عمارتها في مختلف العصور، والوصف المعماري لها، والتفاصيل التي وُجدت بداخلها كأضرحة الموجودة على موضع قبور العباس وأئمة أهل البيت عليهم السلام، بالإضافة إلى موضع القبر المنسوب إلى السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

وتُظهر نتائج الدراسة أنّ القبور الشريفة للأئمة الأربعة عليهم السلام بالإضافة إلى قبر العباس، بقيت دون بناء قبة عليها حتى أواخر القرن الخامس الهجري، حيث تمّ بناء القبة لأول مرة بأمر الوزير مجد الملك البراهوي القمي (المقتول سنة ٤٩٢ هـ). ومع أنّ القبة هُدمت في المرّة الأولى سنة ١٢٢٠ هـ ثم أعيد بناؤها سنة ١٢٣٣ هـ، إلا أنّها حافظت على مخططها الأصلي إلى حد كبير ولم تطرأ عليها تعديلات كثيرة، إلى أن تمّ هدمها نهائياً سنة ١٣٤٤ هـ بعد استيلاء الدولة السعودية الثالثة على الحرمين الشريفين.

الكلمات الأساسية: مقبرة البقيع؛ قبة الإمام الحسن عليه السلام؛ المدينة المنورة؛ التاريخ الإسلامي؛ العمارة الإسلامية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

المقدمة

تُعدّ مقبرة البقيع من أهم الأماكن المقدسة التي اعتاد المسلمون على ارتيادها وزيارة الأضرحة والمشاهد الدينية الموجودة فيها في مختلف العصور، كما أنها تمثل المقبرة الرئيسية لأهل المدينة المنورة منذ عهد رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا، ومن أقرب الأماكن التاريخية إلى المسجد النبوي الشريف.

وقد بدأ الدفن بالمقبرة منذ السنين الأولى للهجرة النبوية، حيث دُفن بأرضها في أيام حياة رسول الله ﷺ بعض صحابته من المهاجرين والأنصار، كأسعد بن زرارة، وعثمان بن مظعون، وبعض قرابة الرسول ﷺ ممن توفوا في حياته الشريفة، كابنه إبراهيم، وابنته رقية، والسيدة الجليلة فاطمة بنت أسد زوجة عمّه أبي طالب ووالدة أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وكان رسول الله ﷺ لما توفي ابنه إبراهيم، أمر أن يُدفن عند عثمان بن مظعون، فرغب الناس بدفن موتاهم بالبقيع، واختارت كل قبيلة قطعة من أرض البقيع لدفن موتاهم^(١)، فتحول إلى المقبرة الرئيسية لأهل المدينة المنورة. وقد رويت عدة روايات في أن الرسول ﷺ كان يخرج إلى هذه المقبرة ويطلب المغفرة لأهل البقيع ويسلم عليهم^(٢).

واستمرّ الدفن بمقبرة البقيع في القرون الإسلامية التالية، وتضمّنت أرضها رفاة عدد كبير من أهل البيت عليهم السلام والصحابة وأعلام التابعين وفقهاء المسلمين. ثم بُنيت في وقت لاحق عدّة قبابٍ على أضرحة من لم يُعفّ الدهر على قبره من أهل بيت الرسول ﷺ وقرابته وصحابته وتابعيهم، حتى أصبحت المقبرة من أهم مقاصد الزيارة بالمدينة المنورة لعامة الحجاج المسلمين خلال رحلتهم إلى حجّ بيت الله الحرام.

ومن أهم المشاهد الشريفة بمقبرة البقيع، قبة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، والتي تضمّ قبور العباس عمّ النبي ﷺ وثلاثة آخرين من أئمة أهل البيت عليهم السلام. ولا نبالغ إن قلنا: إنّها كانت تعدّ أهمّ مشاهد البقيع على الإطلاق، من جهة اهتمام المسلمين واعتنائهم بها أكثر من غيرها من المشاهد والمزارات الموجودة في المقبرة، وهذا ما يمكن التوصل إليه بملاحظة مختلف المصادر التاريخية من تواريخ المدينة المنورة وكتب رحلات الحج والوثائق الأخرى.

١- تاريخ المدينة المنورة ١: ١٢١.

٢- الطبقات الكبرى ٢: ٢٠٣-٢٠٥؛ تاريخ المدينة المنورة ١: ٨٦-٩١؛ أنساب الأشراف ٢: ٢١٣-٢١٤.

كما أنّ هذه القبة الشريفة كانت من أهم الشواخص الأثرية والمعالم التاريخية للمدينة المنورة، قبل هدمها بشكل نهائي في بدايات تأسيس الدولة السعودية الثالثة، حيث كانت تمتاز القبة عن القباب والمشاهد الأخرى الموجودة في البقيع - بل في المدينة المنورة - بارتفاعها واتساعها البالغ، وهذا ما يظهر أيضاً من الصور القديمة بالإضافة إلى النصوص التاريخية.

وفي هذا المقال نحاول أن نقوم بدراسة تاريخية موثقة حول تاريخ بناء قبة الإمام الحسن عليه السلام ومراحل عمارتها في مختلف العصور، والوصف المعماري لها، والتفاصيل التي وجدت وكانت بداخلها كالأضرحة الموجودة على قبور العباس وأئمة أهل البيت عليهم السلام، وموضع القبر المنسوب إلى السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وذلك بالاعتماد على النصوص التاريخية والجغرافية الأصيلة ومصادر رحلات المسلمين.

المدفونون في قبة الإمام الحسن عليه السلام بالبقيع

يقع القبر الشريف للإمام الحسن عليه السلام (ت ٥٠ هـ) في داخل مقبرة البقيع، قريباً من السور الغربي للمقبرة. وقد دُفن بجوار الإمام عليه السلام أيضاً ثلاثة من أئمة أهل البيت الاثني عشر عليهم السلام، هم: الإمام الرابع زين العابدين علي بن الحسين (ت ٩٤ أو ٩٥ هـ)^(١)؛ والإمام الخامس محمد بن علي الباقر (ت ١١٤ هـ)^(٢)؛ والإمام السادس جعفر بن محمد الصادق (ت ١٤٨ هـ)^(٣). ويجاور قبور هؤلاء الأئمة الأربعة عليهم السلام قبر العباس بن عبد المطلب (ت ٣٢ هـ) عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد اختلفت المصادر التاريخية في تسمية القبة التي احتوت على هذه القبور الشريفة، ففي الكثير من المصادر نجد التعبير عنها بقبة العباس^(٤)، وفي بعضها أيضاً بمشهد العباس^(٥). كما نجد التعبير عنها في بعض المصادر بقبة الحسن بن علي عليه السلام^(٦)، وفي مصادر أخرى بقبة الحسن والعباس^(٧). وقد وجدنا أيضاً تسميتها

- ١- الطبقات الكبرى ٢٢١١:٥؛ المعارف: ٢١٥؛ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ١٣٨:٢؛ المقنعة: ص ٤٧٢.
- ٢- الإرشاد ١٥٨:٢؛ المقنعة: ٤٧٣.
- ٣- الإرشاد ١٨٠:٢؛ المقنعة: ٤٧٣.
- ٤- الإشارات إلى معرفة الزيارات: ٩٢؛ رحلة ابن جبير: ١٧٤؛ بغية الطلب في تاريخ حلب ١٠٢١:٢؛ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ١٠٤؛ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٤٣٣:٥.
- ٥- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ٣:٣٠٥.
- ٦- لطائف الأذكار للحضار والسقار: ٢٠٨.
- ٧- نصحية المشاور وتسليية المجاور: ٣١٦؛ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة: ٣٧٤.

بقبة أهل البيت عليهم السلام في عدد من المصادر المتأخرة^(١).

هذا وقد ذكر ابن شبة النميري (ت ٢٦٢هـ) في كتابه (أخبار المدينة) في تحديد موضع قبر العباس بن عبد المطلب أنه دُفن عند قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم في أول مقابر بني هاشم التي في دار عقيل^(٢). ويدل هذا الخبر على أنّ هذا الموضع عُرفَ بمقابر بني هاشم في وقت مبكر، ربما لأنّه كان مخصّصاً لدفن عدد آخرين من أعلام بني هاشم، ولا سيما الأئمة الأربعة من أهل البيت عليهم السلام.

كما يُستفاد من هذا الخبر أنّ هذا الموضع يتضمّن أيضاً قبر السيدة فاطمة بنت أسد، وهذا تؤيده رواية الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) بأن الإمام الحسن عليه السلام أوصى أن يُدفن عند جدّته فاطمة بنت أسد، فدُفن هناك^(٣). بينما ذكر عدد آخر من المؤرخين أنّ الإمام عليه السلام كان قد أوصى لأهله أن يدفنوه إلى جنب أمه السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام^(٤).

وذكر ابن شبة أن الحسن بن علي عليه السلام دُفن بالمقبرة جنب أمه فاطمة، «مواجه الخوخة التي في دار ثبيّه بن وهب»^(٥)، ونقل روايات أخرى تفيد بوجود قبر السيدة الزهراء عليها السلام «وجاه زقاق ثبيّه، قرب زاوية دار عقيل»، أو «حدوّ الزقاق الذي يلي زاوية دار عقيل»، أو «حدوّ دار عقيل مما يلي دار ثبيّه»^(٦). وحدّد موضع القبر في رواية ابن سعد: «زاوية دار عقيل ممّا يلي دار الجحشيين مستقبل خرجة بني عبد الدار»^(٧).

ونحن نرى أن المواضع المذكورة في هذه الروايات تُشير كلّها إلى موضع واحد، ولكن بتعابير مختلفة؛ وتعارضها روايات أخرى مروية عن أهل البيت عليهم السلام وغيرهم، تُفيد دفن السيدة الطاهرة عليها السلام في بيتها جوار دار أبيها، وقد ضُمّ هذا البيت إلى المسجد النبوي الشريف خلال التوسعة التي أقام بها عمر بن عبد العزيز بأمر الخليفة الأموي وليد بن عبد الملك (الحكم: ٨٦-٩٦هـ).

ومن هذه الروايات ما رواه ابن شبة بإسناده إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وإلى عبد العزيز بن عمران أيضاً^(٨)، وتدعمها روايات أخرى عن أهل البيت عليهم السلام في مصادر الشيعة الإمامية، منها على سبيل المثال ما

١- وصف المدينة المنورة: ١١؛ الرحلة الحجازية للولائي: ١٩٠.

٢- تاريخ المدينة المنورة ٢: ١٢٧.

٣- الإرشاد ٢: ١٧ و ١٩٩.

٤- على سبيل المثال، يُنظر: مقاتل الطالبين: ٨١-٨٢؛ التنبيه والإشراف: ٣٠١.

٥- تاريخ المدينة المنورة ١: ١٠٧.

٦- تاريخ المدينة المنورة ١: ١٠٥.

٧- الطبقات الكبرى ٨: ٣٠.

٨- تاريخ المدينة المنورة ١: ١٠٧-١٠٨.

رُوي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام بأنها: «دُفنت في بيتها، فلما زادت بنو أمية في المسجد صارت في المسجد»^(١).

وعلى أيّة حال، وبغضّ النظر عن اختلاف الأقوال حول وجود قبر السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أو فاطمة بنت أسد قرب قبور العباس والأئمة عليهم السلام، فقد وردت في مصادر أهل السنّة أقوال وروايات أخرى حول دفن شخصيات أخرى من أئمة أهل البيت عليهم السلام بهذا المكان. فقد ذكروا قولاً أو روايةً بأنّ الإمام الحسن عليه السلام، نقل جثة أو جسم أبيه أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى المدينة ودفنها بمقبرة البقيع بهذا الموضع^(٢).

كما ذكروا قولاً بأن يزيد بن معاوية، أرسل رأس الإمام الحسين عليه السلام إلى والي المدينة عمرو بن سعيد بن العاص، فقام هو بتكفين الرأس الشريف ودفنه بمقبرة البقيع جنب قبر أمه فاطمة الزهراء عليها السلام^(٣). وبناءً على هذا القول، اعتقد بعض المؤلفين بوجود رأس الإمام الحسين عليه السلام أيضاً بقبة أخيه الإمام الحسن عليه السلام بالبقيع. ولا شكّ أن هذه الأقوال تحتاج إلى دراسة نقدية نظراً إلى وجود روايات تاريخية أخرى تعارضها، وهذا ما لسنا الآن بصدده في هذا المقال.

متى أنشئت القبة؟

تفيد النصوص التاريخية بأنّ قبة الإمام الحسن عليه السلام بالبقيع أنشئت بأمر محمد الملك البراهمني - من وزراء السلاطين السلاجقة - في نهاية القرن الخامس الهجري تقريباً؛ وستعرض لهذه النصوص في هذا المقال لاحقاً. ولكن ما يهمنا القول هنا هو أنّ المصادر التاريخية والجغرافية التي يرجع تاريخها إلى قبل هذا البناء تخلو من أي إشارة إلى وجود القبة على قبور العباس والأئمة الأربعة عليهم السلام بالبقيع؛ بينما النصوص التي ترجع إلى القرن السادس وما بعده، نجد فيها تعبير «القبة» عند إشارتها إلى القبور الشريفة؛ وهذا يدلّ بوضوح على أنّ قبة محمد الملك هي أول قبة بُنيت على هذه القبور. وسنعرض هنا ونقدّم النصوص التاريخية التي تصف قبور الأئمة عليهم السلام بالبقيع قبل القرن السادس وبعده لمقارنتها:

لعلّ أقدم من وصف لنا موضع المشهد والقبور الموجودة فيه، هو المؤرخ الشهير المسعودي (ت ٣٤٦هـ)،

١- الكافي ١: ٤٦١/ ح ٩.

٢- يُنظر: إلخاف الزائر وإطراف المقيم السائر: ١٠٦-١٠٧؛ ونقلاً عنه في الروضة الفردوسية والحضرة القدسية: ١٦١-١٦٢.

٣- الطبقات الكبرى ٥: ٢٣٨؛ ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ومقتله من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير: ٨٤؛ مقتل الحسين ٢: ٨٣؛ تذكرة الخواص: ٢٣٩.



حيث أشار إلى وجود رخامة على القبور إلى زمانه، وقرأ النصّ الموجود عليها هكذا: «الحمد لله مُبِيد الأُمم، وُحْيِي الرّمم، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سَيِّدَة نساء العالمين، والحسن بن عليّ بن أبي طالب، وعليّ ابن الحسين بن عليّ، ومحمد بن عليّ، وجعفر بن محمد، رضوان الله عليهم أجمعين»^(١).

ومن أهم المصادر القديمة التي تقدّم لنا وصفاً لمقبرة البقيع، رسالة في وصف مكة والمدينة وبيت المقدس لمؤلف مجهول، يرجّح أنه ينتمي إلى المغرب الإسلامي، وأنه ألفها بعد سنة ٣٥٠ هجرية، كما أظهر ذلك محقق الرسالة حمد الجاسر من خلال القرائن الموجودة في النص. وإليكم نصّ ما وصف مقبرة البقيع:

وبقيع الغرقد بجوِّي المدينة، أول ما تلقى منه فقير صفيّة بنت عبد المطلب عمه النبي صلى الله عليه وآله على يسارك إذا خرجت من باب الدرب، وقبر الحسن بن علي عن يمينك إذا خرجت من الدرب ترتفع إليه قليلاً، عليه مكتوب: «هذا قبر الحسن بن علي دفن إلى جنب أمه فاطمة رضي الله عنها وعنهما»، وبقرّب منه قبور ثلاثة من الأئمة: علي بن الحسين بن علي، ومحمد بن علي بن الحسين، وجعفر بن محمد، والموضع الذي صلى فيه علي بن أبي طالب على فاطمة يُقابل قبر الحسن، بُني هنالك مسجد^(٢).

ومن أقدم المصادر الجغرافية الإسلامية التي تقدّم لنا وصفاً لمقبرة البقيع في فترة زمنية متقدّمة، كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للبتّاري المقدسي، وقد ألف كتابه هذا سنة ٣٧٥هـ، ووصف فيه البقيع بأنه: «شرقيّ المدينة، مليحة التربة، فيه قبر إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله والحسن وعدّة من الصّحابة وقبر عثمان في أقصاه»^(٣).

وفي بعض كتب المزار عند الشيعة، والتي يرجع تاريخ تأليفها إلى قبل القرن السادس الهجري، نجد التعبير عن مشهد العباس والأئمة الأربعة عليهم السلام بالبقيع بالقبر أو القبور فقط، دون استخدام مصطلح «القبة». فقد ذكر الشيخ المفيد في باب زيارة الأئمة المدفونين بالبقيع من كتاب المنفعة أنه: «تغتسل كما قدمناه، وتقف على قبورهم بحسبما رسمناه، وتقول: ...»، وبعد إيراد نص الزيارة، ذكر في باب وداع الأئمة عليهم السلام بالبقيع: «فإذا أردت الانصراف، فقف على قبورهم وقُل: ...»^(٤).

كما ذكر ابن البرّاج الطرابلسي (ت ٤٨١هـ) في «باب زيارة الأئمة عليهم السلام بالبقيع»: فإذا أراد المضي إلى البقيع فيغتسل ويזור الأئمة عليهم السلام بزيارة واحدة، والذين بالبقيع من الأئمة عليهم السلام هم: أبو محمد الحسن بن علي، وأبو

١- التنبيه والإشراف: ٣٠١.

٢- «جزء فيه ذكر وصف مكة، شرفها الله وعظّمها، ووصف المدينة الطيّبة، كرمها الله، ووصف بيت المقدس المبارك ما حوله»: ٣٥٤.

٣- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: ٨٢.

٤- المنفعة: ٤٧٥.

محمد علي بن الحسين زين العابدين، وأبو جعفر محمد بن علي الباقر، وأبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق، صلوات الله عليهم أجمعين. وجميعهم في موضعٍ واحدٍ وقبرٍ واحدٍ، وإذا أتى هذا القبر جعله من بين يديه وقال: ...^(١).

كما وصف أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) أيضاً مقبرة البقيع والقبور الموجودة فيها بقوله: ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله، ويزور قبر عثمان وقبر الحسن بن علي، وفيه أيضاً قبر علي ابن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، ويصلي في مسجد فاطمة، ويزور قبر إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، ويزور قبر صفيّة عمّة رسول الله، فذلك كلّهُ بالبقيع^(٢).

ويلاحظ أنه في حين تخلو المصادر التي يرجع تاريخها إلى ما قبل القرن السادس الهجري من أي إشارة إلى وجود «القبة» على قبور العباس والأئمة الأربعة عليهم السلام، بل نجد فيها التعبير فقط بـ«القبر» أو «القبور»، فإنّ النصوص التي ترجع إلى ما بعد القرن السادس، من مصادر تاريخية وجغرافية وكتب الرحلات أيضاً، تحتوي على مصطلح «القبة»، وبعضها على مصطلح «الروضة»، في وصفها للمشهد الشريف.

فمن أقدم نصوص القرن السادس، يمكن أن نذكر كتاب (الاستبصار في عجائب الأمصار)، وهو كتاب جغرافيّ يتعرض لوصف مصر وشمال إفريقيا والمغرب، يتقدمه وصف الحرمين الشريفين؛ وهذا الكتاب وإن كان مؤلفه لا يزال مجهولاً، ولكن من المؤكد أنه ينتمي إلى المغرب الإسلامي، كما يظهر من خلال نصوص الكتاب.

وقد ظهر لنا أنّ كتاب (الاستبصار) هذا اعتمد في وصفه للحرمين الشريفين بشكل كبير على رسالة (وصف مكة والمدينة وبيت المقدس)، والتي سبق تأليفها بقرنين من الزمن تقريباً، إلّا أنه وصّف البقيع بنصّ مختلفٍ عمّا ورد في الرسالة، وفي وصفه لهذا المشهد الشريف اكتفى بالإشارة إلى وجود المشهد، معبراً عنه بـ«روضة العباس بن عبد المطلب»^(٣).

ومن هذه النصوص أيضاً كتاب (لطائف الأذكار للحضّار والسُّفّار) لابن مازة البخاري (ت ٥٦٦هـ)، حيث قام برحلة حجّه في سنة ٥٤٨هـ، وأشار إلى وجود عدّة قباب بمقبرة البقيع، منها قبة إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقبة الخليفة الثالث عثمان بن عفّان، وقبة السيدة فاطمة بنت أسد، كما أشار أيضاً إلى وجود قبور

١- المهذب ١: ٢٧٩.

٢- إحياء علوم الدين ١: ٣٠٧.

٣- الاستبصار في عجائب الأمصار: ٤٢. ويبدو لنا أن مصطلح «الروضة» استعمل فقط في نصوص المؤلفين المغاربة والأندلسيين، حيث نجد أيضاً في وصف الرحالة ابن جبير الأندلسي (ت ٦١٤هـ) لهذا المشهد التعبير عنه بـ«روضة العباس بن عبد المطلب والحسن بن علي»، إلّا أنه عبّر عن المشهد بـ«القبة العباسية» أيضاً. يُنظر: رحلة ابن جبير: ١٧٤.

الأئمة الأربعة عليهم السلام بالإضافة إلى قبر العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قبة واحدة^(١).

ويلي هذا المصدر، كتاب (الإشارات إلى معرفة الزيارات) للرحالة علي بن أبي بكر الهروي (ت ٦١١هـ)، وقد أُلّفه في النصف الثاني من القرن السادس، حيث اكتفى في وصفه للمشهد بالتعبير عنه بـ«قبة العباس»، وذكر أسماء الأئمة الأربعة المدفونين بها ووفياتهم عليهم السلام^(٢). ثم تلي كتاب (الإشارات) مصادر تاريخية أخرى - منها (رحلة ابن جبير) و(الدرة الثمينة) لابن النجّار - فإنّها تقدّم لنا وصفاً تفصيلياً للقبة، وسنتطرق إليها لاحقاً.

تاريخ بناء القبة

فيما يتعلق بتاريخ بناء قبة الإمام الحسن عليه السلام والمتولّى لذلك، فقد وصل إلينا نصّان فقط في المصادر التاريخية، فيفيدان بأن القبة بُنيت بأمر الوزير أبي الفضل أسعد بن محمد بن موسى البراوستاني القمي، الملقّب «بمجد الملك»، وكان قد تقلّد الوزارة للسلطان بركياروق السلجوقي (الحكم: ٤٨٧-٤٩٨ق)، وقُتل سنة ٤٩٢هـ ودُفن بأصفهان، ثم نُقل إلى مشهد الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء.

النصّ الأول، لعبد الجليل القزويني الرازي (ت بعد ٥٦٠هـ)، من أعلام الشيعة الإمامية في القرن السادس الهجري، في كتابه (بعض مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض)، ويُعرف أيضاً مختصراً بكتاب (النقض)، حيث ذكر في موضعين من الكتاب أنّ مجد الملك البراوستاني أمر ببناء قبة العباس والأئمة الأربعة عليهم السلام بمقبرة البقيع بمدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم^(٣).

ويظهر من كتاب النقض أنّ مجد الملك كان مهتماً بعمارة مشاهد الأئمة عليهم السلام وبناء القباب على قبور أولادهم، فقد أشار عبد الجليل الرازي إلى عمارة مشهد الإمامين موسى الكاظم ومحمد الجواد عليهم السلام بمقابر قريش ببغداد، ومشهد السيد عبد العظيم الحسيني بمدينة الرّيّ، ومشاهد أخرى للعلويّين بأمر مجد الملك^(٤). وذكر أيضاً أنه بنى قبة صغيرة على قبر الخليفة الثالث عثمان بن عفّان بمقبرة البقيع^(٥).

والنصّ الثاني، للمؤرخ الشهير ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ) في تاريخه ضمن حوادث ووفيات سنة ٤٩٥هـ،

١- لطائف الأذكار للحضار والسقّار: ٢٠٧.

٢- الإشارات إلى معرفة الزيارات: ٩٢-٩٣.

٣- كتاب نقض: ٩١ و٢٣٦.

٤- كتاب نقض: ٢٣٦.

٥- كتاب نقض: ٩١.

حيث ذكر أنّ أمير المدينة الشريف منظور بن عمارة الحسيني، المتوفى في هذه السنة، «قد كان قتل المعمار الذي أنفذه مجد الملك البلاساني لعمارة القبة التي على قبر الحسن بن علي والعباس، رضي الله عنهما، وكان من أهل قمّ، فلما قتل البلاساني قتله منظور بعد أن أتمنه، وكان قد هرب منه إلى مكة، فأرسل إليه بأمانه»^(١).

ومن الواضح أن «البلاساني» تصحيف لنسبة «البرواستاني»، وعلى أيّة حال يبقى هذا النصّ هاماً حيث أنه يزوّدنا بمعلوماتٍ فريدة حول معمار القبة ومصيره، حيث يُظهر أن مجد الملك أرسل معماراً من أهل مدينته «قُم» لعمارة قبة الإمام الحسن عليه السلام، وأن مصيره كان القتل بيد أمير المدينة منظور بن عمارة الحسيني، ولكن للأسف لم نعلم ما هي الأسباب التي دفعت الأمير إلى أن يقتل المعمار المذكور غداً بعد أن أتمّه.

أما فيما يتعلق بتاريخ بناء القبة، فنظراً إلى أن مجد الملك البرواستاني قتل سنة ٤٩٢ هـ، وأن الأمير منظور بن عمارة مات سنة ٤٩٥ هـ، فلا بُدّ أن يكون المعمار للبناء قُتل قبل هذه السنة. وإذا فرضنا أنّ المعمار قُتل بعد مجد الملك بفترة قصيرة، وأتته بدأ بعمارة القبة في حياة مجد الملك، فيمكن الاحتمال أنّ القبة الشريفة بُنيت في حدود سنة ٤٩٠ هـ أو بعدها أو قبلها بفترة قصيرة.

ويبدو أن نصوص بناء القبة بأمر الوزير مجد الملك، قد خفيت عن أعين مؤرخي المدينة، فالمؤرخ البغدادي الشهير ابن النجار (ت ٦٤٣ هـ) - وهو أول من أَرخ للمدينة المنورة في العهد الأيوبي بعد الانقطاع الكبير الحاصل في كتابة تواريخ المدينة - ذكر في وصفه للقبة بأنها «قديمة البناء»، دون أن يحدّد زمن بنائها، وفي استعمال ابن النجار لعبارة «قديمة البناء» دلالة على أنه لم يشهد بناء القبة في حياته، ولم يطلع على تاريخ البناء ومن قام بذلك.

وأعقب ابن النجار في كتابه (تاريخ المدينة) جمال الدين المطري (ت ٧٤١ هـ)، فنسب بناء القبة إلى الخليفة العباسي الناصر لدين الله (الحكم: ٥٧٥-٦٢٢ هـ)^(٢)، ولا شكّ أن هذا وهمّ منه ودعوى باطلة من الناحية التاريخية، وهو يتناقض مع قول ابن النجار بقدّم القبة، وهو الذي كان معاصراً للخليفة الناصر. وهذا الخطأ تنبّه إليه المؤرخ المدني الشهير نور الدين السمهودي أيضاً^(٣).

وكان السمهودي على الصواب حين رأى أنّ القبة بنيت قبل سنة ٥١٩ هـ، وهي تاريخ بناء صندوقٍ خشبيّ

١- الكامل في التاريخ ٣٥٢:١.

٢- التعريف بما أنست الحجر من معالم دار الهجرة: ١١٩.

٣- الدرّة الثمينة في أخبار المدينة: ٤٥٥؛ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ٣: ٣٠١.

كان موجوداً على قبر العباس في زمانه^(١). ولكنه وقع بدوره في خطأ آخر في تحديد تاريخ البناء، فقد أشار إلى وجود كتابة أثرية على محراب المزار نصّها: «أمر بعمله المنصور المستنصر بالله»؛ فظنّ أنّ المحراب بُني بأمر أبي جعفر المنصور (الحكم: ١٣٦-١٥٨هـ)، ثاني الخلفاء العباسيين، باعتبار أنه لم يعرف خليفة لُقّب في آنٍ واحدٍ بـ: المنصور والمستنصر^(٢).

ولا شكّ بخطأ هذا الظنّ، بل ومن الغريب جداً وقوع مثل هذا الخطأ من المؤرخ السهموديّ مع ما يميّز به من الدقّة، حيث لم ينتبه إلى أنّ «المنصور» في هذه الكتابة ليس لقباً للخليفة العباسي الثاني، بل هو وصف ومدح للخليفة العباسي السادس والثلاثين، الملقّب بـ: المستنصر بالله (الحكم: ٦٢٣-٦٤٠هـ)، وهو الخليفة الذي حكم قبل المستعصم بالله، آخر الخلفاء العباسيين.

وصف القبة في كتابات الرحالة والمؤرخين

قبل أن نتابع دراسة تاريخ عمارة قبة الإمام الحسن عليه السلام بالبقيع، نقدّم للقارئ أهمّ النصوص في وصف القبة في كتابات الرحالة والمؤرخين، ونبدأ بما ذكره الرحّالة الأندلسي ابن جبیر (ت ٦١٤هـ)، حيث يُعدّ الوصف الأكثر دقّة وتفصيلاً لبناء المشهد في القرون الإسلامية الوسطى. وبما أنّه زار المدينة المنورة سنة ٥٨٠هـ، فهو يصف لنا المشهد في هذا التاريخ الذي لا يتجاوز مائة سنة من بناء القبة. وإليك نصّ ما ذكره ابن جبیر في (رحلته):

ويليها [أي روضة أزواج النبي] روضة العباس بن عبد المطلب والحسن بن علي، رضي الله عنهما، وهي قبة مرتفعة في الهواء على مقربة من باب البقيع المذكور وعن يمين الخارج منه، ورأس الحسن إلى رجلي العباس، رضي الله عنهما، وقبراهما مرتفعان عن الأرض متّسعان مُعشّيان بألواح ملصقة أبدع إصاقي، مُرصّعة بصفائح الصُّفّر، ومُكوكّبة بمساميره على أبدع صِفّة وأجمل منظر^(٣).

ويعدّ ابن النجّار أول من أرخ للمدينة المنورة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، حيث يصف لنا بناء المشهد

١- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ٣: ٣٠١.

٢- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ٣: ٣٠١.

٣- رحلة ابن جبیر: ١٧٤. وهذا الوصف لقبة العباس والأئمة الاربعة عليهم السلام اقتبسّه عن ابن جبیر عدد آخر من الرحالة المغاربة والأندلسيين، منهم البُلوي (ت ٧٦٨هـ)، وابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ). يُنظر: تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ١: ٢٨٩؛ رحلة ابن بطوطة: ١٢٥.

بقوله: قبر العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وآله، وعليه ملبن ساج، وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وعليه ملبن ساج، ومعه في قبره ابن أخيه علي بن الحسين زين العابدين، وأبو جعفر محمد ابن علي الباقر، وابنه جعفر الصادق، والقبران في قبة كبيرة عالية قديمة البناء في أول البقيع، وعليها بابان: يُفْتَح أحدهما كُلَّ يوم»^(١).

أما أبو اليُمن ابن عساكر (ت ٦٨٦هـ)، فقد قال في وصف القبة ما يظهر أنه اقتبس من ابن النجار، حيث ذكر بعد الإشارة إلى أسماء المدفونين بالقبة: أنّ «عليهم قبة عالية في الهواء، قديمة البناء، في أول البقيع»^(٢). وما ذكره الآقشهري (ت ٧٣٩هـ) أيضاً في وصف القبة، يشبه تماماً ما ذكره أبو اليمن ابن عساكر، ما يظهر منه أن الآقشهري نقله عنه حرفياً^(٣). أما المؤرخ جمال الدين المطري فقد اقتبس قول من سبقه بوجود قبة عالية البناء على القبور^(٤).

وهناك عدد من الرحالة العرب والفرس الذين زاروا المدينة المنورة خلال رحلات حجّهم، قدّموا لنا وصفاً لقبة الإمام الحسن عليه السلام بمقبرة البقيع، فمن أشهرهم عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ)، حيث ذكر أنّ لمشهد العباس قبة شامخة، وله بابان: شماليّ وغربيّ؛ وعدّد أسماء المدفونين بالقبة، بما فيهم «فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله على القول بأنّها مدفونة هناك بقرب المحراب»، وأنشد قصيدة في مدحهم، أولها:

فَد نَعْمَا بِقَبَّةِ الْعَبَّاسِ وَبِآلِ الْبَيْتِ الشَّرِيفِ الرَّاسِيِ^(٥)

أما الرحالة المغربي الشهير أبو سالم العياشي (ت ١٠٩٠هـ)، فقد ذكر في رحلته التي قام بها سنة ١٠٧٤هـ ما نصّه: فإذا مررتَ كذلك تحتَ سور المدينة يميناً إلى أن توازي قريباً من زاوية سور المدينة الذي فيه مشهد السيّد إسماعيل، فهناك عن يسارك القبة الكبيرة الماثلة في الهواء، وفيها مشهد العباس، ومشهد الحسن بن علي، ومشهد أمّه، رضي الله عنهم، على المشهور، ومشهد زين العابدين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، وكثيرٍ من أهل البيت^(٦).

أما محمد بن جعفر الكتّاني الحسني (ت ١٣٤٥هـ)، فقد وصف القبة في رحلته بما نصّه: ضريح سيّدنا

- ١- الدرة الثمينة في أخبار المدينة: ٤٥٥.
- ٢- إتخاف الزائر وإطراف المقيم السائر: ١٠٦.
- ٣- الروضة الفردوسية والحضرة القدسية ١: ٢٦٣.
- ٤- التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة: ١١٩.
- ٥- الحقيقة والحجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز ٣: ١٣٤ و ١٤٠.
- ٦- الرحلة العياشية ١: ٣٧٦.

العباس عليه قبة عظيمة، ومعه داخل الشبّاك الكبير الذي يدور به في وسطها سيدنا الحسن، ثم رأس أخيه الحسين، على قولٍ، ووالدهما علي، على قول أيضاً، وزين العابدين بن الحسين، وولده محمد الباقر، وولد الباقر جعفر الصادق، وكثيرٌ من آل البيت. ومعه أيضاً قبلةً منه: سيدتنا فاطمة الزهراء، على المشهور^(١).

ومن الرحالة الإيرانيين، محمد رضا الطباطبائي التبريزي، حيث زوّدنا في رحلته التي قام بها خلال عامي ١٢٩٦-١٢٩٧هـ بوصفٍ موجزٍ للقبة، ولكن يمتاز هذا الوصف الموجز بأهمية بالغة، نظراً لأنه يُظهر لنا الشكل المعماري للبناء من الداخل والخارج، فقد ذكر أن شكل البناء مثمن من الخارج، ومربّع مستطيل من الداخل؛ كما أشار إلى وجود البيتين التاليين على الكتابة الموجودة على مدخل القبة:

لي خمسة أظفي بها حرّ الجحيم الحاطمة
المصطفى والمرضى وابناهما والفاطمة^(٢)

تطورات البناء وعمارة القبة عبر العصور

لقد أفادنا المؤرخون ببعض التعديلات والإضافات التي أُجريت بعد بناء القبة كما تقدّم، فقد أشار السمهودي إلى بناء الصندوق الخشبي على قبر العباس في سنة ٥١٩هـ بأمر الخليفة المسترشد بالله؛ كما أشار إلى وجود كتابة على محراب البناء، ينصّ على عمله بأمر «المنصور المستنصر بالله»^(٣)، وقد ذكرنا أنه الخليفة العباسي السادس والثلاثون المستنصر بالله؛ وعلى هذا يجب تحديد تاريخ بناء المحراب بين عامي ٦٢٣ و ٦٤٠هـ، أي فترة حكم هذا الخليفة.

ولم تزوّدنا المصادر التاريخية - من قبيل تواريخ المدينة المنورة وكتب رحلات الحج - بمعلومات تفصيلية حول أعمال تجديد أو إعادة بناء القبة في العصور اللاحقة. ومن المعلومات اليسيرة التي عثرنا عليها، ما أشار إليه السيد محسن الأمين نقلاً عن تذكرة نصرآبادي، من إعمار القبة بيد الميرزا علاء الدين حسين المرعشي الإصفهاني المعروف بـ: «خليفة سلطان» أو «سلطان العلماء» (ت نحو ١٠٦٤هـ)، الوزير الأعظم للسلطان

١- الرحلة السامية إلى الإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية: ٢٢٧.

٢- هداية الحجاج: ٢١١.

٣- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ٣: ٣٠١.

الشاه عباس الصفوي (الحكم: ٩٩٦-١٠٣٨هـ)، وذلك خلال رحلة حجّه إلى بيت الله الحرام^(١).

هذا، وقد تعرّضت قبة الإمام الحسن عليه السلام - شأنها شأن القباب والمزارات الأخرى الموجودة في الحرمين الشريفين - للهدم على يد الوهابيين أكثر من مرّة في القرون الأخيرة. فقد كان الهدم الأول في سنة ١٢٢٠هـ في أيام الدولة السعودية الأولى، بعد غزو الملك سعود بن عبد العزيز (الحكم: ١٢١٨-١٢٢٩هـ) للمدينة المنورة وبيعة أهلها له.

ثمّ ما لبث أن استعادت المدينة قوّات إبراهيم باشا ابن محمد علي في سنة ١٢٢٧هـ، فأعاد محمد علي باشا (الحكم: ١٢٢٠-١٢٥٤هـ) بناء قبة الإمام الحسن عليه السلام، بالإضافة إلى القباب الأخرى في مقبرة البقيع، في سنة ١٢٣٣هـ بأمر السلطان محمود خان الثاني العثماني (الحكم: ١٢٢٣-١٢٥٥هـ)^(٢).

أما الهدم الثاني للقبة فقد كان بعد نشوء الدولة السعودية الثالثة، وفي أيام مؤسسها الملك عبد العزيز (الحكم: ١٣١٩-١٣٧٢هـ)، حيث استولوا على المدينة المنورة في سنة ١٣٤٣هـ، وقاموا بهدم القباب الموجودة في مقبرة البقيع بعد نحو عام واحد من دخولهم المدينة، والمشهور أن تاريخ الهدم كان اليوم الثامن من شهر شوال سنة ١٣٤٤هـ^(٣). ومنذ ذلك الحين بقي موضع القبور بدون قبة أو بناء عليها إلى يومنا هذا.

الوصف المعماري للقبة

لم تزوّدنا النصوص التاريخية بتفاصيل كثيرة عن الوصف المعماري لبناء القبة، وبخاصة مخطط البناء والشكل الخارجي للقبة، باستثناء ما أكّده المصادر حول ارتفاع القبة وعلوّها. ولعلّ النصّ الوحيد عن مخطط البناء هو الوصف الذي قدّمه لنا الحاج الإيراني محمد رضا الطباطبائي في أواخر العهد العثماني، حيث ذكر أنّ شكل البناء مئمن من الخارج، ومربّع مستطيل من الداخل^(٤).

وهناك عدد من الصور القديمة لمقبرة البقيع أو قبة الإمام الحسن عليه السلام، التقطها مصوِّرون أتراك ومصريون وهنود وأوروبيون خلال العقود الأخيرة للحكم العثماني، تساعدنا في الاطلاع على تفاصيلٍ معماريّةٍ مهمّةٍ لبناء القبة

١- أعيان الشيعة ٦: ١٦٥. ولم نجد هذه المعلومة في المطبوع من تذكرة نصرآبادي.

٢- مرآت الحرمين ٣-٤: ٩٩١؛ سفرنامه فرهاد ميرزا: ١٤١؛ سفرنامه مكه [لحسام السلطنة]: ١٥١؛ سفرنامه ميرزا محمد حسين فراهاني: ٢٢٨؛ هدية الزائرین: ٦٦.

٣- مستدرک سفینه البحار ٦: ٦٦.

٤- هداية الحجاج: ٢١١.

من خارجها في الفترة الزمنية التي سبقت مرحلة هدم قباب البقيع، حيث تُظهر لنا بوضوح الشكل المثلث للبناء الذي تعلوه قبة مدببة مرتفعة.

كما تُظهر لنا هذه الصور أنّ قبة البناء ارتكزت على رقتين، السفلى منهما ذات ثمانية أضلاع، والعليا ذات ستة عشر ضلعاً. وكانت توجد في كل زاوية من زوايا البناء زوائد أسطوانية الشكل تعلوها قباب مخروطية صغيرة. ونظراً أن البناء كان مشيداً بالمداميك الحجرية السوداء التي شيدت بها الكثير من المساجد والمعالم الأثرية في المدينة المنورة ومنطقة الحجاز، ولكنها غطيت بالجير الأبيض كالقباب الأخرى الموجودة بالبقيع ومعظم مساجد المدينة المنورة.

ونرجح أنّ البناء المثلث الذي كان قائماً حتى بداية العهد السعودي، هو نفسه البناء الذي بناه المعمار من أهل قم بأمر الوزير محمد الملك البرواستاني، فقد كانت التربة والأضرحة ذات الشكل المثلث منتشرة جداً في إيران وآسيا الصغرى خلال العهد السلجوقي، ولا يزال في مدينة قم - وهي المدينة التي ينتمي إليها المعمار والباي لقبه الإمام الحسن عليه السلام - عدد كبير من التربة ذات الشكل المثلث؛ بينما لم نجد قبة أخرى ذات البناء المثلث في منطقة الحجاز بل في جزيرة العرب كلّها باستثناء هذه القبة فقط، وهذا يدلّ - في رأينا - على المنشأ السلجوقي للقبة.

كما أنّ الصور تُظهر وجود بابين في كلّ من الضلع الشمالي والغربي للبناء، وقد تقدّم أن ابن النجار أشار في القرن السابع إلى وجود بابين للبناء^(١)، وذكر عبد الغني النابلسي أنّ موقع البابين في البناء شماليّ وغربيّ^(٢). وهذه القرائن تدفعنا إلى الاعتقاد بأن البناء حافظ على مخطّطه الأصلي طوال أكثر من ثمانية قرونٍ من الزمن؛ ونرى أيضاً أنّ الحائط القصير الذي يُحيط بالقبور في اليوم الحالي، والذي يظهر على هيئة شكلٍ مثلث، يمثّل إلى حدٍ ما المخطّط الأصلي للبناء.

وكانت توجد على كلا بابي القبة كتابة حجرية، وقد تقدّم أن الطباطبائي التبريزي زوّدنا بنصّ كتابة أحد البابين، وهما بيتان من الشعر باللغة العربية. وأشار أيوب صبري باشا إلى وجود كتابة على الباب الآخر، كانت تحوي بيتين من الشعر باللغة التركية، تؤرخ لعمارة القبة - بعد هدمها الأول - في عهد السلطان محمود خان الثاني العثماني في سنة ١٢٣٣هـ^(٣).

١- الدرة الثمينة في أخبار المدينة: ٤٥٥.

٢- الحقيقة والحجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز ١٣٤٠: ٣.

٣- مرآت الحرمين ٣-٤: ٩٩١.

وأما في عصرنا الراهن فيحيط بالقبور حائطٌ قصيرٌ مبنيٌّ بالحجارة، أقرب إلى الشكل المثلث، يمثّل في رأينا إلى حدٍّ ما المخطّط الأصلي للبناء قبل هدمه، وتتوسط الحائط قبور مستطيلة الشكل، بحيث إنّ قبور الأئمة عليهم السلام تقع متصلة ببعضها على التوالي، بينما يقع قبر العباس إلى جهة الغرب منها بشكلٍ مستقل، وهناك قبر خامس إلى جنوبيّ التربة، يُنسب إلى السيدة فاطمة عليها السلام، وتُحيط بكُلِّ قبر حجارة صغيرة.

الصناديق والأقفال الموجودة على القبور

لقد سبقت الإشارة إلى وجود قبرين داخل بناء مشهد الإمام الحسن عليه السلام بمقبرة البقيع، الغربيّ منهما قبر العباس بن عبد المطلب، والآخر الشرقيّ قبر الأئمة الأربعة عليهم السلام، وكان يوجد على كلّ قبر منهما منذ القرن السادس الهجريّ على أقلّ التقدير صندوقٌ خشبيٌّ، وقد أشار إليهما ابن جبير كما تقدّم ووصفهما في رحلته بقوله: «وقبرهما مرتفعان عن الأرض متّسعان مُعْتَشِيَانِ بِاللُّوْحِ مَلصَقَةٌ أَبْدَعُ إِصْاقٍ، مُرْصَعَةٌ بِصَفَائِحِ الصُّفْرِ، وَمُكْوَكِبَةٌ بِمَسَامِيرِهِ عَلَى أَبْدَعِ صِفَةٍ وَأَجْمَلِ مَنْظَرٍ»^(١)، وأشار ابن النجار أيضاً إلى وجود ملبنٍ ساجٍ على كلا القبرين^(٢).

أما المؤرخ السهمودي فقد أشار إلى وجود صندوقٍ خشبيٍّ على قبر العباس، كان قد صنّع بأمر الخليفة العبّاسي المُسْتَرْشِدِ بِاللَّهِ (الحكم: ٥١٢-٥٢٩هـ) في سنة ٥١٩هـ، وكان باقياً إلى عصر السهمودي، أي القرن التاسع الهجري^(٣). ولا بدّ أن يكون هذا الصندوق هو أحد الصندوقين اللّذين أشار كلّ من ابن جبير وابن النجار إلى وجودهما على القبور، ويمكن الافتراض أنه أول صندوقٍ وضع على قبر العباس، حيث لا يتجاوز تاريخ صنعه ثلاثين سنة من بناء القبة.

ويظهر من نصوص الرّحالة المتأخّرين الذين زاروا قبة الإمام الحسن عليه السلام بالبقيع في القرن الثالث عشر وبدائيات القرن الرابع عشر الهجريّ، أنه كان يوجد داخل القبة قفصٌ خشبيٌّ كبيرٌ يحوي بداخله صندوقين خشبيّين صغيرين، أحدهما على قبر العباس، والآخر على قبور الأئمة الأربعة عليهم السلام؛ وكانت المسافة بين القفص الخشبيّ الكبير والصندوقين الصغيرين نحو نصف ذراع^(٤).

١- رحلة ابن جبير: ١٧٤.

٢- الدرّة الثمينة في أخبار المدينة: ٤٥٥.

٣- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ٣: ٣٠١.

٤- سفرنامه فرهاد ميرزا: ١٤٠؛ سفرنامه مکه [لحسام السلطنة]: ١٥١؛ سفرنامه ميرزا محمد حسين الفراهاني: ٢٢٨-٢٢٩.

وفي نهاية العهد العثماني بنحو عقدين من الزمن - قبل الغزو السعودي للحجاز وهدم قباب البقيع - تم استبدال القفص الخشبي الموجود على القبور بضريح فولاذي كبير مرصع بالذهب والفضة تم صنعه بجهود الإيرانيين، حيث أمر بصنعه الحاج محمد علي خان أمين السلطنة، وأشرف على ذلك الحاج حسين علي، وصنعه بيده الحاج ميرزا علي نقشينه في مدينة إصفهان. وبما أن وضع القفص على القبور كان يحتاج إلى رخصة من السلطان العثماني، فقد تأخر ذلك عدة سنين بعد صنعه، إلى أن نُقل القفص إلى المدينة المنورة ووضع على القبور الشريفة سنة ١٣٢١هـ^(١).

وقد أورد السيد محسن الأمين تفاصيل تاريخية حول نقل القفص الفولاذي من إيران إلى الحجاز ووضعه على القفص القديم، وذلك بقوله:

كما أنه لما عمل في زماننا شبكاً لضريحهم الشريف بإصفهان من الفولاذ الدقيق الصنعة، وبأعالیه الأسماء الحسنى بالخط الجميل المذهب، واستأذنت الدولة الإيرانية من الدولة العثمانية في وضعه على ضريحهم المقدس، فأذنت لها، ولما جاء به السيد علي القطب - رحمه الله - إلى جدة عارض أهل المدينة في وضعه على الضريح المقدسة، فبقي في جدة ثلاثة أعوام، حتى بذل الإيرانيون مبلغاً عظيماً من المال لأهل المدينة، فرضوا بنقله ووضعه، ولما حمل إلى المدينة المنورة أرادوا إزالة الصندوق الخشب الموضوع على القبور الشريفة ووضعه مكانه، فمنع أهل المدينة من ذلك بحجة أنّ الصندوق الخشب وقف لا يجوز تغييره، فاضطروا إلى وضعه خارج الصندوق، فنقصت ألواح الفولاذية بسبب ذلك، فاضطروا إلى إكماله بقطعة من الخشب بعد دهنها بما يقرب من لونه والكتابة عليها، وقد رأيت القطعة الخشبية ظاهرة فيه مقصرة عنه في الرونق عند تشرفي بزيارة المدينة المنورة بعد الحج عام ١٣٢١هـ^(٢).

وكان القفص الجديد صنيع من الفولاذ الممتاز، وكانت أبعاده سبعة أذرع طولاً، وثلاثة أذرع ونصف عرضاً، وذراعين ونصف ارتفاعاً. ولكن بعد هدم القبة نُقل القفص إلى جهة أخرى، ثم بعد عدة سنين تم تفكيكه إلى سبعة أقسام، ووضعت ستة أقسام من مشبكات القفص في الجهتين اليمنى واليسرى من حائط المقبرة التي تضم ضريح سيد الشهداء حمزة في أحد، ووضعت القسم الأخير من المشبكات في جهة قبور الشهداء في أحد^(٣). وقد بقيت هذه المشبكات في حائط مقبرة حمزة وشهداء أحد لعدة عقود من الزمن، إلى أن رُفعت من محلها في السنين الأخيرة، ولا يُعلم اليوم شيء عن مصيرها.

١- هدية الزائرین: ٦٦-٦٧.

٢- كشف الارتباب: ٤٠٧.

٣- تاريخ حرم أمه بقیع عليه السلام: ١٠٨.

موضع القبر المنسوب إلى السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

سبق القول بأنَّ عدداً من المؤرخين أشاروا إلى دفن الإمام الحسن عليه السلام إلى جنب أمه السيدة فاطمة الزهراء، بينما تذكر مصادر الشيعة الإمامية أنَّ الإمام عليه السلام دُفن إلى جنب جدّته فاطمة بنت أسد، كما أن هناك مرويات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام تؤكد دفن السيدة الزهراء عليها السلام في حجرتها عند المسجد النبوي الشريف. وعلى أيّة حال فقد وُجد في كلا الموضعين قبران للسيدة فاطمة، كان يزورهما المسلمون في مختلف العصور.

ويظهر من المصادر القديمة وجود شاهدة أو رخامة على القبر الشريف للأئمة الأربعة عليهم السلام، تُفيد بأن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام مدفونة إلى جنب الأئمة عليهم السلام في قبرٍ واحد^(١). ولا بدّ أنّ العبارة المكتوبة على هذه الرخامة أو الشاهدة - وقد تقدّم نقلها في هذا المقال - تمثّل رأي العامة من المؤرخين، في أن الإمام الحسن عليه السلام دُفن إلى جنب والدته السيدة الزهراء عليها السلام، وليست جدّته فاطمة بنت أسد كما هو رأي الشيعة الإمامية.

ولكن خلافاً للعبارة المكتوبة على الشاهدة التي كانت موجودة على القبر الشريف في القرن الرابع الهجري، فقد اتفق جميع المؤرخين والرحالة في القرون المتأخرة في وصفهم للقبة على وجود موضعٍ منسوب إلى السيدة الزهراء باعتباره موضع دفنها، في الجهة القبليّة للقبة، وقد تمّ تحديد هذا المكان بوضع شبّاك حديديّ على حائط القبة في العصور المتأخرة للدلالة على موضع القبر.

ولكننا نرى أن هذا القبر ظهر ووُجد في فترة زمنية متأخرة، بناءً على مكاشفة صوفية رواها محبّ الدين الطبري (ت ٦٩٤هـ) ونسبها إلى الصوفيّ الأندلسيّ الشهير أبي العباس المرسي (ت ٦٨٦هـ)، حيث ذكر في كتابه (ذخائر العقبى) ما نصّه: وقبر الحسن معروف بجنب قبر العباس، ولا يُذكر لفاطمة تمّ قبرٌ، وأخبرني أخّ في الله تعالى أن أبا العباس المرسي كان إذا زار البقيع وقف أمام قبلة قبة العباس، وسلّم على فاطمة، ويذكر أنه كُشف له عن قبرها ثمّة...^(٢).

فقول المحبّ الطبري يدلّ على أنه لم يكن في زمانه يُعرف للسيدة فاطمة عليها السلام قبرٌ مستقلّ داخل القبة، ولكنّ المكاشفة الصوفية التي رواها الطبري عنمن هو «أخّ في الله تعالى» عن أبي العباس المرسي، نقلها بشكلٍ واسعٍ

١- التنبيه والإشراف: ٣٠١؛ «جزء فيه ذكر وصف مكّة، شرفها الله وعظّمها، ووصف المدينة الطيّبة، كرمها الله، ووصف بيت المقدس المبارك ما حوّلته»: ٣٥٤.

٢- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ١٠٤.

مؤرخو المدينة المنورة والرحالة المغريون أيضاً^(١). ويبدو لنا أنه نتيجةً لانتشار الاعتقاد بوجود قبر السيدة فاطمة عليها السلام في محراب البناء في فترة متأخرة - كما يظهر على سبيل المثال من رحلة عبد الغني النابلسي^(٢) - تم وضع شبّاك حديديّ هناك للدلالة على موضع القبر.

وقد وصف الرحالة الإيراني محمد حسين الفراهاني هذا الموضع في رحلته بأنه كان يوجد أمام هذا الشبّاك قطعة قديمة من الستار المطرّز، تمت خياطتها في سنة ١١٣١هـ في عهد السلطان العثماني أحمد الثالث (الحكم: ١١١٥-١١٤٩هـ)، حيث ورد في الكتابة الموجودة عليها اسم السلطان العثماني بالإضافة إلى التاريخ المذكور.^(٣) أما اليوم وبعد هدم قبة الإمام الحسن عليه السلام، فقد بقي هذا الموضع شاخصاً في هيئة قبرٍ تحيط به الحجارة، كقبور العباس والأئمة الأربعة عليهم السلام.

خاتمة البحث

من خلال دراسة المصادر التاريخية ومقارنة النصوص التي تصف موضع مشهد العباس والأئمة الأربعة عليهم السلام بمقبرة البقيع، نتوصل إلى أنّ القبور الشريفة بقيت دون بناء قبة عليها حتى أواخر القرن الخامس الهجري، حيث إنّ المصادر التي يرجع تاريخها إلى ما قبل القرن السادس الهجري، تخلو من أي إشارة إلى وجود «القبة» في هذا المكان، بل كان موضع المشهد متمثلاً بوجود قبر كبير للأئمة عليهم السلام في وسط المقبرة، عليه شاهدة رخامية دُكرت فيها أسماء المدفونين.

أما النصوص التي ترجع إلى ما بعد القرن السادس - من مصادر تاريخية وجغرافية وكتابات الرحالة أيضاً - فنجد فيها مصطلح «القبة» للدلالة على موضع المشهد؛ مما يدل على وجود القبة. وهكذا يظهر لنا أنّ القبة التي أنشئت بأمر الوزير مجد الملك البراهستاني القمي (المقتول سنة ٤٩٢هـ) في نهاية القرن الخامس، هي أول قبة مبنية على قبور العباس والأئمة الأربعة عليهم السلام بالبقيع. وقد خفيت نصوص بناء القبة بأمر مجد الملك عن أعين المؤرخين المدنيين، فنسبها بعضهم إلى الخليفة الناصر لدين الله العباسي، بل وتوهّم بعضهم أنها بُنيت في عهد أبي جعفر المنصور.

١- التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة: ١١٩؛ تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة: ٤٥٨-٤٥٩؛ الرحلة الحجازية للخصيكي: ١٦٠.

٢- الحقيقة والحجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز ٣: ١٣٣ و ١٤٠.

٣- سفرنامه ميرزا محمد حسين فراهاني: ٢٢٩.

وبعد بناء القبة توالى أعمال أخرى في المشهد خلال العصر العباسي وبعده؛ حيث تم وضع صندوقين خشبيين على قبر العباس وقبور الأئمة عليهم السلام في عهد الخليفة المسترشد بالله، كما تم بناء المحراب في عهد الخليفة المستنصر بالله. وتفيد كتابات الرحالة بوجود شبّاك خشبي كبير على القبور في فترة زمنية متأخرة، استُبدل في نهاية العصر العثماني بقفص فولاذي مرصّع بالذهب والفضّة صنع بمدينة أصفهان. كما وُجد في الجهة الجنوبية للقبة قبر يُنسب إلى السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، رأينا أنه بُني بناءً على مكاشفة صوفية نسبها البعض إلى أبي العباس المرسي.

هذا، وقد تعرّضت القبة للهدم مرتين بيد الطائفة الوهابية بعد نشوء الدولة السعودية، حيث هُدمت في المرة الأولى سنة ١٢٢٠هـ في أيام الدولة السعودية الأولى، ثم أعيد بناؤها سنة ١٢٣٣هـ بأمر السلطان العثماني محمود الثاني؛ ثم هُدمت نهائياً سنة ١٣٤٤هـ بعد استيلاء الدولة السعودية الثالثة على الحرمين الشريفين. وقد رأينا بالمقارنة بين النصوص التاريخية التي تصف لنا القبة، والصور القديمة الموجودة للقبة قبل هدمها، أنّ البناء المنتم للقبة يمثّل إلى حدٍ كبير المخطّط الأصلي للبناء الذي بُني بأمر مجد الملك في العهد السلجوقي، دون أن تطرأ عليه تعديلات كثيرة.



لائحة المصادر والمراجع

- ١- إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر، أبو اليمان عبد الصمد بن عبد الوهاب ابن عساكر، تحقيق: مصطفى عمار منلا، المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ط ١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ٢- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، محمد بن أحمد البشاري المقدسي، ليدن: برييل، ١٩٠٦م.
- ٣- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، بيروت: دار الفكر، ط ٢، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- ٤- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي، قم: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط ١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- ٥- الاستبصار في عجائب الأمصار، مؤلف مجهول، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة (أفاق عربية)، د. ت.
- ٦- الإشارات إلى معرفة الزيارات، علي بن أبي بكر الهروي، تحقيق: جانين سوردييل - طومين، دمشق، المعهد الفرنسي، ١٩٥٣م.
- ٧- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٨- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، بيروت: دار الفكر، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- ٩- بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد ابن العديم الحلبي، تحقيق: سهيل زكار، دمشق: دار القلم العربي، ١٩٨٨م.
- ١٠- تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، خالد بن عيسى البلوي، تحقيق: الحسن السائح، صندوق إحياء التراث الإسلامي، د. ت.
- ١١- تاريخ حرم أئمة بقیع عليهم السلام و آثار دیگر در مدینه منوره، محمد صادق نجمي، تهران: مشعر، ١٣٨٣ش.
- ١٢- تاريخ المدينة المنورة، عمر بن شبه النميري، تحقيق: فهم محمد شلتوت.
- ١٣- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

- ١٤- تحقيق النصره بتلخيص معالم دار الهجرة، أبو بكر بن الحسين المرغني، تحقيق: أبو يعقوب نشأت كمال، الفيوم: دار الفلاح، ط١، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- ١٥- تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، قم: الشريف الرضي، ١٤١٨هـ.
- ١٦- ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ومقتله من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير، محمد بن سعد، تحقيق: السيد عبد العزيز الطباطبائي، بيروت: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- ١٧- التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، جمال الدين محمد بن أحمد المطري، تحقيق: سليمان الرحيلي، الرياض: دار الملك عبد العزيز، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ١٨- التنبيه والإشراف، علي بن الحسين المسعودي، ليدن: بريل، ١٨٩٣م.
- ١٩- جزء فيه ذكر وصف مكة شرفها الله وعظمتها ووصف المدينة الطيبة كرمها الله ووصف بيت المقدس المبارك ما حوله، مؤلف مجهول، تحقيق: حمد الجاسر، مجلة العرب، السنة الثالثة، العدد ٥-٦، ذي القعدة وذو الحجة ١٣٩٣هـ.
- ٢٠- الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، عبد الغني النابلسي، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد، بيروت: دار المعرفة، ط١، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.
- ٢١- الدرّة الثمينه في أخبار المدينة، محمد بن محمود ابن النجار البغدادي، تحقيق: صلاح الدين شكر، المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- ٢٢- ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري المكي، تحقيق: أكرم البوشي.
- ٢٣- رحلة ابن بطوطة، بيروت: دار صادر، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- ٢٤- رحلة ابن جبیر، بيروت: دار صادر، (لا. ت).
- ٢٥- الرحلة الحجازية، محمد بن أحمد الحضيكي السوسي، ضبط وتعليق: عبد العالي المدبر، الرباط: الرابطة المحمدية للعلماء. مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، ط١، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.
- ٢٦- الرحلة الحجازية، محمد يحيى الولاقي، تحقيق: محمد حجي، الرباط: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٠م.



٢٧- الرحلة السامية إلى الإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية، محمد بن جعفر الكتّاني الحسني،
تخريج: محمد حمزة بن علي الكتّاني، تقديم وتعليق: محمد بن عزّوز، بيروت: دار ابن حزم، ط ١،
١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٢٨- الرحلة العيّاشية، أبو سالم عبد الله بن محمد العيّاشي، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي،
أبوظبي: دار السويدي، ط ١، ٢٠٠٦م.

٢٩- الروضة الفردوسية والحضرة القدسية، محمد بن أمين الآقشهرى، تحقيق: قاسم السامرائي، لندن:
مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

٣٠- سفرنامه فرهاد ميرزا، فرهاد ميرزا معتمد الدولة، تحقيق: غلامرضا طباطبائي، تهران: مؤسسة مطبوعاتي
علمي، ١٣٦٦ش.

٣١- سفرنامه مکه، مراد ميرزا حسام السلطنة، تحقيق: رسول جعفريان، نشر مشعر، ١٣٧٤ش.

٣٢- سفرنامه ميرزا محمد حسين فراهاني، تحقيق مسعود گلزاري، تهران: فردوسي، ١٣٦٢ش.

٣٣- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، بيروت: دار بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٣٤- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، تحقيق: محمد حامد الفقهي،
بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٣٥- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، بيروت: دار صعب ودار التعارف،
ط ٣، ١٤٠١هـ.

٣٦- الكامل في التاريخ، عز الدين علي بن محمد ابن الأثير، بيروت: دار صادر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٣٧- كتاب النقض، عبد الجليل القزويني الرازي، تحقيق: مير جلال الدين محدث ارموي، قم: مؤسسة
علمي فرهنگي دار الحديث، ١٣٩١ش.

٣٨- كشف الارتباب في اتباع محمد بن عبد الوهّاب، السيد محسن الأمين، ط ٣، د. م، د. ت.

٣٩- لطائف الاذكار للحضّار والسّفّار، محمد بن عمر ابن مازة البخاري، تحقيق: رسول جعفريان، تهران:
علم، ١٤٣٤ق / ٢٠١٣م.

٤٠- مرآت الحرمين، ايوب صبري باشا، قسطنطينية: مطبعة بحرية، ١٣٠٤هـ.

٤١- مستدرك سفينة البحار، علي النمازي الشاهرودي، تحقيق: حسن بن علي النمازي، قم: مؤسسة

النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة، ط ٣، ١٤٢٧هـ.

- ٤٢- المعارف، عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة: دار المعارف، ط ٤.
- ٤٣- مقاتل الطالبين، أبو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني، تحقيق: أحمد صقر، بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٨هـ.
- ٤٤- مقتل الحسين، الموفق بن أحمد الخوارزمي، تحقيق: محمد السماوي، قم: أنوار الهدى، ط ١، ١٤٨١هـ.
- ٤٥- المقتعة، الشيخ المفيد محمد بن محمد بن نعمان البغدادي، قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، ١٤١٠هـ.
- ٤٦- المهذب، عبد العزيز ابن براج الطرابلسي، قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، ١٤٠٦هـ.
- ٤٧- نصيحة المشاور وتسلية المجاور، عبد الله بن محمد ابن فرحون المالكي، تحقيق: علي عمر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٦م.
- ٤٨- وصف المدينة المنورة، علي بن موسى افندي، رسائل في تاريخ المدينة، تحقيق: حمد الجاسر، الرياض: دار اليمامة.
- ٤٩- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، نور الدين علي بن عبد الله السمهودي، تحقيق: قاسم السامرائي، مؤسسة الفرقان، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- ٥٠- هداية الحجاج. سفرنامه مکه، محمد رضا طباطبائي تبريزي، تحقيق: رسول جعفریان، قم: مورخ، ط ١، ١٣٨٦ش.
- ٥١- هدية الزائرین، محمد هادي زائر طهراني، تحقيق: محمد موسوي نژاد، تهران: مشعر، ١٣٩٣ش.





مجلة الزكي العلمية
AL-ZAKI - QUARTERLY AUTHORIZED JOURNAL

علاقة شيعة عرب البحرين
بالإمام الحسن السبط عليه السلام

الشيخ عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبلي
القطيف - المملكة العربية السعودية

ملخص المقالة

يستجلي الكاتب علاقة شيعة البحرين بالإمام الحسن المجتبي ؑ، لما عرف به أهل هذا القطر من الموالاة لأهل البيت ؑ، ومن خلال سير النصوص التاريخية يستشهد بأمر على توثيق الرابطة وقوة العلاقة بين قبيلة بني عبد القيس - وهي من أكبر قبائل البحرين - والإمام الحسن المجتبي ؑ، فيورد - مثلاً - علاقة الأسود بن قيس، وصعصة بن صوحان العبديين بالإمام الحسن ؑ، وثورة قبيلة بني عبد القيس على المنصور العباسي بعد قتله لذرية الإمام الحسن المجتبي ؑ.

الكلمات الأساسية: الإمام الحسن المجتبي ؑ - الشيعة؛ بني عبد القيس (قبيلة)؛ البحرين الكبرى - تاريخ.

تمهيد:

عندما بزغ نور الإسلام على جزيرة العرب كان الساحل الشرقي منها الذي كان يُعرف عند سكّان الجزيرة باسم (البحرين) - والممتد من جنوب البصرة شمالاً إلى عُمان جنوباً، شاملاً واحات القطيف والأحساء وجزيرة أوال وما يتبعهما من واحات وبريات وسواحل - يعجُّ بالكثير من القبائل العربيّة، إلّا أنّ أشهر هذه القبائل قبيلتنا عبد القيس وبكر بن وائل من ربيعة، وقبيلتنا تميم وضبة من مضر، وقبيلة الأزد من اليمن.

غير أنّ أشهر هذه القبائل، وأكثرها ارتباطاً بالبحرين كانت قبيلة عبد القيس بن أفصى بن دُعَمي بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان؛ حتّى إنّ المؤرّخين كانوا ينصّون على أنّ عبد القيس هم أهل البحرين، وأنّ البحرين بلد عبد القيس^(١).

وبمجيء الإسلام كانت قبيلة عبد القيس من أولى القبائل التي اعتنقت على يد مبلغه الأول محمّد ﷺ عبر وفادتين:

أولاهما: كانت بقيادة زعيمها الروحي الأشجّ العصري العبدي.

والثانية: كانت بقيادة زعيمها السياسي الجارود الجذمي العبدي؛ حتّى لقد نزل في إسلامهم مع الأنصار قرآن يتلى، وهو قوله تعالى: **﴿وَلَهُ أَسْمَاءُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾**.

وفي تفسير ذلك يقول الرازي: «في السماء: الملائكة طوعاً، وفي الأرض: الأنصار وعبد القيس طوعاً»^(٢).

وقد كانوا مشهورين بالتشيع وموالاتة أهل البيت ﷺ منذ القرن الأوّل في الإسلام، وقد بيّنت ذلك في كتابي تاريخ التشيع لأهل البيت ﷺ في إقليم البحرين القديم).

ويكفي دلالة على تشيعهم وشدة نصرتهم لأهل البيت ﷺ ثناء الإمام علي عليه السلام، ومنه الشعر المشهور المنسوب إليه، والذي يقول فيه بعد أن سمع بمقتل حُكيم بن جبلة العبدي ومن معه من ربيعة في ما عُرف بوقعة الجمل الصغرى:

١- انظر مثلاً: الأوائل؛ لابن أبي عاصم الشيباني: ٤٨، الروض المعطار في خبر الأقطار: ٨٢، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨: ٧٤.

٢- تفسير القرآن العظيم؛ لابن أبي حاتم الرازي ٢: ٦٩٦.

وانظر: الأوائل؛ لابن أبي عاصم الشيباني: ٤٨؛ حيث قال: «وكان أهل اليمن أول من أسلم من العرب بعد الأنصار وعبد القيس أهل البحرين»

٣- مروج الذهب ومعادن الجوهر ٢: ٣٧٨.

يَا فَتَى نَفْسِي عَلَى رِبْعَةٍ

ربيعة السامعة المطيعة^(١)

وقال المسعودي في هذا الشأن: ولعليّ في ربيعة كلامٌ كثير يمدحهم فيه، ويرثيهم شعراً ومنثوراً، وقد كانوا أنصاره وأعوانه، والركن المنيع من أركانه، فمن بعض ذلك قوله يوم صفين:

جزى الله قوماً قاتلوا في لقائه

لدى الموت قداماً ما أعزّ وأكرما

وأطيب أخباراً، وأكرم شيمَةً

إذا كان أصوات الرّجال تغمّما

ربيعة أعني إثمهم أهل نجدة

وبأس إذا لاقوا خميساً^(٢) عمرماً^(٣)

وكما كانت عبد القيس من أولى القبائل العربية إسلاماً، فقد كانت أولها تشيعاً لعلّي ولآل عليّ، وقد أوضحته في كتابي (تاريخ التشيع لأهل البيت في إقليم البحرين القديم) أنّ تشيعها كان في حياة الرسول محمد ﷺ حين كانوا في بلادهم البحرين، ثم صار ينمو ويصلب في عهد الخلفاء الذين تولّوا بعده، حتّى إذا كان عهد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كانوا أكثر شيعة ومناصريه في حروبه طيلة حياته في العراق.

ثمّ أصبحت هذه القبيلة خالصة التشيع لعلّي حتّى إنّ المؤرّخين كانوا يعجبون إذا خرج من هذه القبيلة مخالفٌ لهم في هذا الأمر، وفي هذا الشأن يقول ابن سعد الخير (المتوفى عام ٥٧١هـ) في كتابه (القرط على الكامل) يذكر مخالفة صحار بن العياش العبدي لقومه في هذا الشأن وانضمامه إلى معاوية في حربه ضد الإمام عليّ عليه السلام: «وكان عثمانيّاً يخالف عبد القيس في التشيع»^(٣).

وفي منتصف العقد الثاني الهجري أنشئت مدينتا الكوفة والبصرة في العراق، فهاجرت إليها جُلُّ قبائل الجزيرة العربيّة، ومنها قبيلة عبد القيس التي هاجرت بطونٌ كثيرةٌ منها من البحرين إلى هاتين المدينتين، فبعضها سكن الكوفة، وبعضها سكن البصرة، وبقي قسمٌ كبير من القبيلة في بلاده البحرين لم يهاجر منها.

١- الخميس: هو الجيش الكثيف.

٢- مروج الذهب ومعادن الجواهر؛ ٣: ٤٤.

٣- القرط على الكامل، ٥٤١.

وكان هذا هو الحال القائم عند تولّي الإمام عليّ ﷺ للخلافة عام ٣٥ للهجرة، ورحيله من المدينة إلى البصرة لمواجهة أصحاب الجمل، ومن ثمّ توجهه إلى الكوفة، واتّخاذها لها عاصمةً للدولة الإسلاميّة في عهده، وقد ضربت هذه القبيلة أروع الأمثال في نصرتها للإمام في حروبه الثلاث؛ الجمل وصفين والنهروان، وقدمت في سبيل نصرته فلذات أكبادها، مثل حكيم بن جبلة وثلاثمائة رجل وتيف منها قُتلوا يوم الجمل الأصغر مناصرين لعليّ ﷺ^(١)، والكثير أمثالهم في حرب صفين.

عبد القيس والإمام الحسن بن عليّ ﷺ

وبعد مقتل أمير المؤمنين عليّ ﷺ لا تسعفنا المصادر التاريخيّة المتوفّرة لنا في إبراز التفاف العبديّين حول الإمام الحسن بن عليّ ﷺ، فالإمام الحسن بعد تنازله عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان عاد إلى مدينة جدّه ﷺ، وقضى فيها بقيّة حياته.

وبفعله هذا ابتعد عن بؤرة الحراك السياسيّ في العراق والشام، وهو الحراك الذي كان مستأثراً كلّ الاستثناء حينها بوسائل الإعلام الشحيحة المتوفّرة آنذاك في العالم الإسلامي، والتي لم تكن تبدي اهتماماً إلا بما يجري في ذينك القطريّين حينها من أحداث، فإذا ذكّرت شيئاً من أخبار غير هذين القطرين، فهي إمّا أن تكون للشرق أو الغرب.

وأما جزيرة العرب، فقد صار معظم أقطارها نسبياً منسياً، والذي كان يُذكر عنها هو ما يتعلّق بالحجاز، ولكن ليس كلّ أخباره، وإمّا ما يتعلّق منها بالأحداث السياسيّة بين الأمويّين ومناوئهم، وهو أمرٌ تركه الإمام الحسن ﷺ خلف ظهره.

ولهذا فإنّنا لا نجد في المصادر التاريخيّة الشحيحة التي كتبت عن تلك الحقبة في المدينة إلا القليل من سيرته الحياتيّة والعلميّة، هذا بالإضافة إلى أنّ الجوّ العام لم يكن يسمح للإمام الحسن ﷺ بالظهور العلمي المطلوب، فالحكم في المدينة كان لأعدائه الأمويّين، وكان ولائهم المعاصرون له عليها يضيّقون عليه الخناق، ويبيّنون الجوايس ليتجنّسوا عليه، وعلى من يقصده أو يأتي إليه، ولاسيّما على من هم من خارج المدينة، وعلى الخصوص شيعة الذين صاروا يستغلّون موسم الحجّ للالتقاء به والأخذ عنه.

ومنهم رجال قبيلة عبد القيس الذين عندما كانوا يحجّون إلى مكة في تلك الحقبة كانوا لا يتركون فرصة المرور

بالإمام الحسن، والسلام عليه، وأخذ علوم دينهم منه.

فقد روى ابن الأثير في (أسد الغابة): أنّ الصحابيَّين العبديَّين جابر بن عبيد، وابنه عبد الله عندما حجَّنا وكانا بمنى مرَّا على الإمام الحسن بن علي ﷺ للسلام عليه، فرحب الإمام بجابر وأوسع له، وأجابه على سؤالٍ فقهي كان قد سأله عنه^(١).

وجابرٌ هذا ذكر ابن الأثير في ترجمته من كتابه (أسد الغابة): أنّه كان يسكن البحرين^(٢)، وهو يدلُّ على التفاف العبديَّين بحرانيَّتهم وعراقيَّتهم حول أهل بيت الرسول ﷺ، وحرصهم على أخذ علوم دينهم عنهم والمرور بهم، والسلام عليهم وقت زيارتهم لمكة والمدينة في مواسم الحجِّ والعمرة.

الأسود بن قيس العبدي

وكان من الملازمين للإمام الحسن ﷺ أحد سادات عبد القيس، وهو الأسود بن قيس العجلي العبدي، وهو الذي روى مناظرة الإمام الحسن لحبيب بن مسلمة الفهري^(٣).

والأسود هذا من بني عجل بن عمرو بن ودِيعَةَ بن لُكَيْز بن أَفْصَى بن عبد القيس؛ ليس في عبد القيس غيرهم يقال لهم: بنو عجل.

وبنو عجل هؤلاء هم إحدى القبائل العبدية التي كوَّنت الحلف العبدية المعروف بـ(العُمُور)، نسبةً إلى جدِّهم جميعاً عمرو بن ودِيعَةَ بن لُكَيْز بن أَفْصَى بن عبد القيس، وهم: الدَّيْلُوعِجْلُ ومَحَارِبُ أبناء عمرو بن ودِيعَةَ.

واشتهر بنو عجل هؤلاء بوجود أشهر خطباء عبد القيس - بل والعرب أيضاً - فيها؛ مثل: صعصعة بن صُوحان العجلي العبدي، ومَصْنَعَلَةَ بن كَرْبِ بن رَقَبَةَ العجلي العبدي، وابنه رَقَبَةَ بن مصقلة.

وقد روى الأسود بن قيس - بالإضافة إلى مناظرة الإمام الحسن للفهري - خطبة ابن قبيلته وابن قبيله بني عجل ألا وهو صعصعة بن صُوحان؛ تلك الخطبة التي ذكرها الطبري، وفيها يحضُّ صعصعةُ قومه بني عبد القيس على استمرار ولائهم لأهل البيت ﷺ^(٤).

١- انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة ٣: ١٣٠ / ترجمة عبد الله بن جابر العبدي.

٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة ١: ٢٥٨ / ترجمة جابر بن عبيد العبدي.

٣- انظر: شرح نوح البلاغة؛ لابن أبي الحديد ١٦: ١٨، أنساب الأشراف ٣: ١١٣.

٤- انظر: تاريخ الطبري ٤: ١٤١.



صعصعة بن صوحان العبدى والإمام الحسن ﷺ

وكما كان صعصعة بن صوحان خطيب عبد القيس وعالمها المرجعي الكبير من حُلص أصحاب الإمام علي ﷺ، فقد كان كذلك لابنه الإمام الحسن ﷺ أيضاً؛ حتّى إنّ حبه له ودفاعه عنه كان من أكبر الأسباب في نفي الأمويين لصعصعة عن العراق إلى البحرين، ثمّ منها إلى جزيرة أوال.

وقد دوّن مؤرّخ دمشق ابن عساكر روايةً فيها تهديدٌ واضحٌ من معاوية لصعصعة بتشريدته في البلاد، وذلك بعدما دافع صعصعة عن الإمام الحسن ﷺ أمام معاوية، ومدحه دون خوف أو وجلٍ منه، وذلك بعد أن قال معاوية لصعصعة: **تعرّض بالحسن بن عليّ عليّ؟!،** ولقد هممت أن أبعث إليه.

فقال له صعصعة: إي والله، وجدّتهم أكرمكم جدوداً، وأحياكم حدوداً، وأوفاكم عهداً، ولو بعثت إليه لوجدته في الرأي أريباً، وفي الأمر صليماً، وفي الكرم نجيباً، يلذعك بحرارة لسانه، ويقرعك بما لا يستطيع إنكاره.

فقال له معاوية: والله لأجفينك عن الوساد، ولأشردن بك في البلاد.

فقال له صعصعة: والله إنّ في الأرض لسعة، وإنّ في فراقك لدعة^(١).

وبالفعل، فقد نَقَد معاوية وعبيده، ونفى صعصعة عن العراق كلّهُ، وهو ما تنصُّ عليه الرواية التي ذكرها ابن حجر في كتابه (الإصابة في معرفة الصحابة) نقلاً عن كتاب مفقود عنوانه (أخبار زياد) لمحمد بن زكريّا العلّائي «أو الغلابي».

وقد نقل ابن حجر في ترجمة صعصعة أنّ المغيرة بن شعبه نفاه بأمر معاوية من الكوفة، ونصُّ ما جاء في كتاب الإصابة هو ما يلي: وذكر العلّائي في (أخبار زياد) أنّ المغيرة نفى صعصعة بأمر معاوية من الكوفة إلى جزيرة أوالي من البحرين، وقيل: إلى جزيرة ابن كافان، فمات بها^(٢).

١- تاريخ مدينة دمشق ٢٤: ٩٣.

٢- انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٣: ٢٦٠؛ حرف الصاد - القسم الثالث / ترجمة صعصعة بن صوحان. الإصابة في تمييز الصحابة ؛ رقم المخطوطة ١٨٦٤١).

وأما ما ورد في بعض الطبقات اللاحقة لطبعة كلكتا - الهند، فقد تحرّف النقل إلى ما يلي: <وذكر العلّائي في أخبار زياد أنّ المغيرة نفى صعصعة بأمر معاوية من الكوفة إلى الجزيرة أو إلى البحرين، وقيل إلى جزيرة ابن كافان، فمات بها>، ومن الواضح أنّ جملة: <إلى الجزيرة أو إلى البحرين> هي تحريف لجملة طبعة كلكتا التي تقول: <إلى جزيرة أوالي من البحرين> حيث تحرّفت على بعض النسخ لفظة (أوالي)، فكتبها: (أو إلى).

وقد نقل النهائي - ما نقله ابن حجر عن العلّائي - في كتابه التحفة النبهائية ص ٣٩، وهو بهذه الصيغة: <وذكر العلّائي في أخبار زياد أنّ المغيرة نفى صعصعة بأمر من معاوية من الكوفة إلى جزيرة أوال من البحرين، فمات بها>.

وهكذا كان نفي صعصعة بن صوحان إلى جزيرة أوال إيداناً بتأسيس أولى حوزات التشيع في البحرين.

ولم يذكر القول الثاني عن نفيه إلى جزيرة ابن كافان، وظاهر كلام النهائي أنه ينقل عن كتاب العلائي (الغلابي) المفقود، فيما أن يكون النهائي قد نقل عن نسخة مخطوطة لديه لهذا الكتاب، فيكون بقية النص لدى ابن حجر، وهو قوله: «وقيل إلى جزيرة ابن كافان» نقله ابن حجر عن مصدر آخر غير كتاب (أخبار زياد) للعلائي، أو أنّ النهائي نقل عن مخطوطة لكتاب الإصابة كانت لديه نقل عنها النص بالصيغة التي ذكرها، والثاني يبدو أنه هو الأقرب؛ لأنه نقل كلاماً معه عن صعصعة هو موجود في الإصابة تماماً كما نقله.

وجزيرة (ابن كافان) التي وردت بهذا الاسم في كل طبعات كتاب (الإصابة)، و(المخطوطة الرضوية) أيضاً قد تكون محرفة عن جزيرة (كافلان)، وهي جزيرة صغيرة تقع ضمن أرخبيل جزر البحرين إلى الشمال من جزيرة (أكل) المعروفة الآن بجزيرة (الني صالح).

ومن المعروف أنّ إقليم البحرين كان منفي تنفي إليه الدولة الأموية كل مناوي لها لا ترى فائدة من قتله، وكانت مثل هذه الجزر الصغيرة من أكثر المواضع المناسبة لبناء سجن فيها؛ لأنّ الذين يودعون فيه يصعب هرومهم منه؛ لكونه في وسط جزيرة محاطة بالبحر.

أو أنّ جزيرة (ابن كافان) المذكورة هي جزيرة (ابن كاوان) حيث ينطق العجم (كاوان) (كافان) كما هي عادتهم في قلب الواو فاءً، وهي جزيرة كانت معروفة في الخليج الفارسي، وأما الآن فتدعى بجزيرة (القشم)، وتقع قرب مضيق هرمز، وكاوان الذي تنسب الجزيرة إليه هو أحد رجال عبد القيس، وهو: الحارث بن امرئ القيس بن حجر بن عامر بن مالك بن زياد بن عصر ابن عوف بن عامر بن الحارث بن أمار بن عمرو بن ودبعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس (ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان ٢: ١٦١ رسم جزيرة كاوان). أي أنّ هذه الجزيرة كانت لعبد القيس قبيلة صعصعة، وهي تبعد عن جزيرة أوال بـ ٤٧٠ كيلومتراً تقريباً.

غير أنّ الرواية المحلية المسلم بها لدى أهالي أوال البحرين الشيعة - وهم السكان الأقدم في هذه الجزيرة - تنصّ على أنّ صعصعة مات في أوال، وأنّ قبره لا زال معروفاً في قرية (عسكر) من قرى أوال، وتسمى أيضاً (عسكر الشهداء)، وضح صعصعة فيها مزاراً لأهالي أوال منذ قديم الزمان؛ ذكر ذلك علماء أوال القدماء مثل الشيخ يوسف العصفور (توفي ١١٨٦هـ)؛ (انظر: الكشكول؛ الصفحة ٨٨)؛ كما ذكر النهائي (توفي ١٣٦٩هـ) قرية عسكر كأول الأماكن الأثرية عند حديثه عن الآثار في جزيرة أوال (البحرين)، ونصّ على وجود «ضريح صعصعة بن صوحان العبدي» بها؛ كما ذكر شيخاً أسماه (الشيخ الجوّي) نسبةً إلى قرية جوّ الواقعة للجنوب من عسكر، فذكر أنّ هذا الشيخ أوصى بأن يُدفن في عسكر إلى جوار ضريح صعصعة، فتمّ دفنه جنوب الضريح بناءً على وصيته؛ كما ذكر أيضاً أنّ ضريح صعصعة كانت عليه قبة، ثمّ تهدمت ولم تعمر.

وقد ذكر النهائي أيضاً أنّ من المشهور عند أهل البحرين أنّ «من خصائص قرية عسكر عدم دخول الطاعون فيها.. كرامة لصعصعة رضي الله عنه»، ومن الطريف أنّ النهائي نفسه يقول: إنّه «فحص عن ذلك، فلم يسمع منذ سكنتها العرب أنّ أحداً مات بها مطعوناً قط». (انظر: التحفة البهانية؛ ص ٣٩ - ٤٠).

والرواية المحلية إذا كانت متواترة، ووجد ما يسندها من روايات تاريخية مدوّنة من زمن قديم، فعندها تكون الرواية المحلية داعمة للرواية التاريخية المدوّنة ومؤكّدة لها؛ بل ونافية لأي رواية تاريخية أخرى تناقضها.

وأياً كان الأمر، فإنّ عند الشيعة - ليس في جزيرة أوال فقط، وإنما لدى شيعة القطيف والأحساء أيضاً - تواتر قديم بوجود قبر صعصعة في جزيرة أوال، ثمّ في قرية عسكر منها، وهم يُعَنون به، ويتعَنون إلى زيارته من أزمان قديمة، وهذا يعني أنّ صعصعة عاش بقية حياته في جزيرة أوال.



ثورة قبيلة عبد القيس في البحرين بعد قتل الخليفة المنصور لأولاد الحسن السبط

عندما تمكن العباسيون من إرساء قواعد دولتهم - في العقد الرابع من القرن الثاني الهجري - بدأت أنظارهم تتجه إلى تصفية كل من يشكل خطراً عليهم، وفي مقدمتهم العلويون الذين صرنا نعرف الآن أنّ الثورة التي أطاحت بالدولة الأموية، وجاءت بالعباسيين إلى الحكم، كانت في الأصل لمبايعة «الرضا من آل محمد»، والعلويون كانوا لبّ آل محمد.

وإذا كان أول خلفاء الدولة العباسية أبو العباس السفاح (حكم ١٣٢ - ١٣٦هـ) قد انشغل طيلة السنوات الأربع لحكمه بتوطيد أركان دولته ضدّ الخصم المشترك لبني هاشم، وهم الأمويون، حتى أفنى أيام حكمه في قتلهم وتشريدهم، بحيث صفا الأمر لأسرته من العباسيين، فإنّ الأمر كان مختلفاً لأخيه وخليفته أبي جعفر المنصور الذي وجد أخاه أبا العباس قد كفاه أمر بني أمية وأتباعهم، ولم يبقَ ممّن يهدّد دولته إلا أبناء عمته العلويين الذين تذكر بعض الروايات أنّه كانت لبعضهم بيعة في عنق العباسيين والمنصور منهم بالذات، وهذه البيعة كانت لمحمّد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، ومحمّد هذا هو المعروف بالنفس الزكية^(١).

وبالفعل، فقد ارتكب أبو جعفر المنصور واحدة من أبشع الإبادات التي عرفها التاريخ ضد العلويين بعد وقعة كربلاء، وهو إيقاعه بآل الإمام الحسن بن علي عليه السلام حينما قام بسجن رجالهم وأولادهم وأتباعهم، من باب الضغط على النفس الزكية حتى يستسلم له، ويظهر من محبته.

وقد قام أبو جعفر بقتل الكثير من هؤلاء السجناء بأبشع القتلات قبل وبعد قتل محمّد النفس الزكية وأخيه إبراهيم، وبطرق من الموت لم يفعلها حتى الأمويون فيهم^(٢).

وبعد أن قتل أبو جعفر محمداً وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن، وأهل بيتهما، قام بعد ذلك بتتبع من هرب من أولادهما، ورهطهما من العلويين وشيعتهم الذين كان يعدّهم من أشدّ أعداء دولته في كلّ أقطار الدنيا التي كانت تحت حكمه، وحتى تلك الأقطار التي لم تكن تحت حكمه، ولجأ إليها بعض العلويين.

فإنّ أبا جعفر لم يعدم وسيلة في تحصيلهم أو قتلهم، حتى ولو أدى الأمر إلى مقاتلة من يؤوبهم، كما فعل في قضية عبد الله الأشتر بن محمّد النفس الزكية، الذي لجأ إلى بعض حكام الهند ممّن ليس لأبي جعفر عليه

١- انظر: تاريخ الأمم والملوك ٦: ١٥٦، مقاتل الطالبين ١٤٠ - ١٤١، المحاسن والمساوي: ٥١٤.

٢- يمكن الرجوع إلى الطبري في تاريخه، والأصفهاني في مقاتل الطالبين للوقوف على ما فعله أبو جعفر المنصور في عبد الله بن الحسن المثنى وأهل بيته من الحسنيين من سجن وتعذيب بشع وقتل بطرق ليس فيها من الإنسانيّة شيء.

حكمهم، ولكن هذا الأخير أرسل إلى هذا الحاكم من حاربه وقتله وقتل الأشر، وسبى أهله وأولاده^(١)، ثم أخذ بعد ذلك بإرسال بعض قواده الجفاة القتلة إلى مواطن وبلدان الشيعة، فاستباحوهم قتلاً ونهباً وسيباً وتشريداً. وكان من أعظم المجازر التي وقعت على الشيعة في عهد أبي جعفر المنصور هي تلك المجزرة البشعة التي ارتكبها أحد قواده ضد شيعة البحرين من عبد القيس في الوقت الذي كان يقوم فيه بتصفية الحسينيين وأتباعهم، وهي مجزرة ليس لها ما يبررها إلا كون من وقعت عليهم هذه المجزرة هم من الشيعة المغضوب عليهم من قبل الدولة، وأن من أوقعها بهم هو رجلٌ قاسٍ عُرف ببيغضه للشيعة؛ بل وللعلويين عامة.

كيف لا؟! وهو الذي أرسله أبو جعفر المنصور إلى المدينة في هيئة رجل من شيعة خراسان ليتجسس له على عبد الله بن الحسن والد محمد وإبراهيم غريميه قبل خروجهما وقتلهما، وكان له أكبر الأثر في إلقاء أبي جعفر المنصور القبض على آل الحسن بن علي، وقتلهم و الترح بهم في غيابات السجون، وتشريدهم في البلدان ... إنه عُقْبَةُ بْنُ سَلْمِ الهَنَائِيّ الدَّوْسِيُّ الأزدي، الذي كان من الطغاة الذين قلّ نظيرهم في التاريخ، حتى ذكر المؤرخون «مِنْ عُنُودِهِ وَاجْتِرَائِهِ عَلَى اللَّهِ وَإِقْدَامِهِ عَلَى دِمَائِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ أَفْرَأُ تَكَرُّراً»^(٢)، كما ذكروا عنه أنه كان «عَتِيّاً جَبَّاراً»^(٣)، وكان يُعَدُّ «أَحَدَ الْعُنَاةِ الْجَفَاةِ»^(٤).

ونظراً لأنّه جُبل على ذلك، فقد اختاره أبو جعفر المنصور ليضرب به أعداءه من بني الحسن بن علي ﷺ عام ١٤٤ للهجرة، فأرسله إليهم في هيئة أحد شيعتهم الخراسانيين الذين كانوا يحملون لهم صدقات أموال بلدهم^(٥).

وبهذه الطريقة استطاع عُقْبَةُ أن يخدع زعيم بني الحسن، وهو عبد الله بن الحسن المتني، وعرف الأسرار التي أراد أبو جعفر المنصور التوصل إليها فأوصلها إليه.

فما كان من هذا الأخير إلا أن استغلّ هذا الأمر، وقام بإلقاء القبض على عبد الله وأهل بيته، وسجنهم، ومن ثمّ قتلهم بأبشع وسائل القتل، كما هو مدوّن في كتب التاريخ الإسلامي^(٦).

١- انظر: تاريخ الأمم والملوك ٦: ٢٨٨ - ٢٩٢.

٢- أخبار القضاة ٢: ٥٩.

٣- الكامل في اللغة والأدب ١: ٣٨٩.

٤- الروض المعطار في خبر الأقطار: ٤٢٣. وقد وقع تحريف في نسبه، فكتب (الباهلي)، وهو تحريف (الهنائي).

٥- انظر: تاريخ الأمم والملوك ٦: ١٥٧.

٦- ذكر الحمامي عبود الشالجي في تحقيقه لكتاب (الفرج بعد الشدة) للتونخي بعض الفظائع التي ارتكبها أبو جعفر المنصور العباسي في بني عمه العلويين، وسأذكر هنا نصّ ما قاله ليتضح للقارئ مدى قساوة المنصور وجبروته، ولأنّ ذلك سوف يكفيني الاستدلال على أنّ ما أوقعه بعد ذلك في عبد القيس وسكان البحرين إنّما هو من أجل تشييعهم لأهل البيت، وثورتم عليه لذات

وكمكافأة له، فقد جعل أبو جعفر المنصور لعقبة بن سلم ولاية البصرة، وكان ذلك عام ١٤٧ للهجرة.

وبعد أربع سنوات من ولايته للبصرة خرج نائزاً في البحرين من عبد القيس، يُدعى سُلَيْمَانَ بْنَ حَكِيمٍ الْعَبْدِيِّ، الذي لم يذكر أحدٌ من المؤرخين سبب خروجه، في حين اكتفى البلاذري بنعته بأنه «كَانَ مُخَالِفاً»^(١) يعني: مخالفاً للمنصور.

وأما خبر خروج هذا العبدي وقتله، فقد ذكره المؤرخون مقتضباً جداً، فالطبري - وهو عمدة المؤرخين المسلمين - لم يذكر شيئاً عن ثورة سليمان بن حكيم العبدي، وكيف كانت، رغم أنه كان قريباً من وقته، كما أنه لم يذكر شيئاً من ترجمته، ولكنه ذكره فقط عند حديثه عن خروج عُقبة بن سلم إلى البحرين سنة ١٥١ للهجرة، وقتله له.

السبب؛ يقول المحامي الشالحي (الفرج بعد الشدة ٣: ٢٢٥ - ٢٢٦):

>ارتكب المنصور فظائع من قتل، وتعذيب، ودفن الناس أحياء، ودق الأوتاد في الأعين، وبناء الحيطان على الأحياء، وكان يشهد تعذيب من يأمر بتعذيبه، حتى إنّه كان يشهد تعذيب النساء أيضاً.

راجع في (الفخري: ١٦٥) سبب حبس آل الحسن، وقتلهم، وقد حبسهم المنصور في سرداب تحت الأرض، لا يفرقون فيه بين ضياء النهار، وسواد الليل، وهدم الحبس على قسم منهم، وكانوا يتوضؤون - أي يقضون حاجاتهم - في مواضعهم، فاشتدت عليهم الرائحة، وكان الورم يبدو في أقدامهم فلا يزال يرتفع حتى يبلغ القلب، فموت صاحبه، ومات إسماعيل بن الحسن، فترك عندهم حتى جئف، فصُعِقَ داود بن الحسن، ومات (مروج الذهب ٢: ٢٣٦). وبلغ المنصور أنّ عبد الله بن محمد النفس الزكية، فرّ منه إلى السند، فبعث وراءه من قتله (مقاتل الطالبين: ٣١٠ - ٣١٣)، وأمر المنصور بمحمد بن إبراهيم بن الحسن، فبنت عليه أسطوانة، وهو حيّ (الفخري: ١٦٤، ومقاتل الطالبين: ٢٠٠، والطبري ٧: ٥٤٦، وابن الأثير ٥: ٥٢٦) وأمر بعبد الله بن الحسن بن الحسن فطرح عليه بيت فقتله (مقاتل الطالبين: ٢٢٨).

أما الباقيون فما زالوا في الحبس حتى ماتوا، وقيل: إنهم وُجدوا مُسَمَّرِينَ في الحيطان (اليقوي ٢: ٣٧٠)، وأمر المنصور بإبراهيم بن الحسن بن الحسن، فدفن حياً (مقاتل الطالبين: ٢٨)، وجرّد محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وأمه فاطمة بنت الحسين، فضرب ألف سوط (مروج الذهب ٢: ٢٣٦)، وأمر بأن يدق وجهه بالجرز، وهو العمود من الحديد (الطبري ٧: ٥٤٣)، وبلغ من شدة الضرب أن أُخرج وكأنه زنجي (مقاتل الطالبين: ٢٢٠، وتاريخ ابن الأثير ٥: ٥٢٥) وجاءت إحدى الضربات على عينه، فسالت (مقاتل الطالبين: ٢٢٠؛ والطبري ٧: ٥٤٢)، ثم قتله، وقطع عنقه (مقاتل الطالبين: ٢٢٦).

ولما حمل رأس محمد بن عبد الله إلى المنصور، قال لمطير بن عبد الله: أما تشهد أن محمداً بايعني؟ فقال: أشهد بالله لقد أخبرتني بأن محمداً خير بني هاشم، وأنتك بايعت له، فشتمه، وأمر به، فوتد في عينيه (الحاسن والمساوي ٢: ١٣٨).

ولما قتل إبراهيم بن عبد الله في باخرى، بعث المنصور برأسه إلى أبيه عبد الله، فوضعه بين يديه (مروج الذهب ٢: ٢٣٦ و٢٣٧).

وأمر بسديف بن ميمون الشاعر، فدفن حياً (العقد الفريد ٥: ٨٧ - ٨٩)، ومن بعد وفاة المنصور عثر المهدي، وزوجته ربطة، على أزج في قصر المنصور، فيه جماعة من قتلى الطالبين، وفي أذاهم رقايع فيها أنساجهم، وإذا فيهم أطفال، ورجال، شباب ومشايخ، عدّة كثيرة، فلما رأى المهدي ذلك، ارتاع لما رأى، وأمر حفرت لهم حفيرة دفنوا فيها (الطبري ٨: ١٠٥).

ولما طال حبس عبد الله بن الحسن، وأهل بيته، جلست إحدى بناته للمنصور، فتوسلت إليه بالقرابة، وطلبت منه الرحمة، فقال لها: أذكرتني، وأمر به فحدر إلى المطبخ وكان آخر العهد به (تاريخ بغداد للخطيب ٩: ٤٣٢) <.

وعنه نقل ابن الأثير وابن الجوزي، وملخص ما ذكره الطبري ونقلاه عنه هو قوله: وفيها [أي سنة ١٥١هـ] شَخَصَ عُقْبَةُ بن سَلَمٍ من البَصْرَةِ - وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا ابْنَهُ نَافِعَ بنَ عُقْبَةَ - إلى البَحْرَيْنِ، فَقَتَلَ سُلَيْمَانَ بنَ حَكِيمِ العَبْدِيِّ، وَسَيَّ أَهْلَ البَحْرَيْنِ، وَبَعَثَ بَعْضَ مَنْ سَيَّ مِنْهُمْ، وَأَسَارَى مِنْهُمْ إلى أَبِي جَعْفَرٍ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ عِدَّةً، وَوَهَبَ بَقِيَّتَهُمْ لِلْمُهَدِيِّ^(١).

وقد ذكر المؤرخون من إصراف عقبة في قتل عبد القيس وربيعة في البحرين ما يقشعُرُ منه الجلد؛ حتى ذكروا أنّ الخليفة المهدي استنفع ما فعله، وذكروا أيضاً أنّه عندما تولى الحكم بعد أبيه المنصور عزل عقبة عن البحرين بسبب إصرافه في قتل أهل البحرين، ونقل عنه اليعقوبي قوله: «لا يراني الله أبوء بإثمه، ولا أرضى فعله»^(٢).

ويمكننا أن نستشفّ من قول البلاذري عن زعيم عبد القيس في البحرين سليمان بن حكيم الذي قادم في هذه الثورة أنّه كان مخالفاً أي في المذهب.

فبعد القيس قد عرفنا تشييعهم لأهل البيت ﷺ، وحبّهم لهم منذ القرن الأوّل. وبالتالي فإنّ سبب الجزرة التي ارتكبتها عقبة ضدّ أهل البحرين ليس لأنّه كان يمانياً، وأراد أن ينتقم لقومه في اليمن ممّا فعله بهم معن بن زائدة الشَّيْبَانِيُّ البَكْرِيُّ الرِّبَعِيُّ، كما ذكر بعض المؤرخين، فقد كان يمكنه الفتك بريبعة قوم معن وهو في مقرّ ولايته البصرة التي كانت واحدة من كبريات المواطن التي تقطنها ربيعة بعد الإسلام، فلماذا يكلّف نفسه الخروج من البصرة إلى البحرين، وربيعة تملأ السهل والجبل حوله وحواليه في بلدان العراق؟

بلى، إنّ خروجه إلى البحرين كان بأمر أبي جعفر المنصور لإطفاء الثورة التي أعلنها سكّانها فيها، ولأنّ الغالب على سكّان البحرين عبدُ القيس، فقد كانوا هم المؤجّج الأكبر لهذه الثورة بقيادة زعيمهم سليمان بن حكيم العبديّ.

وأضيف إلى ذلك رأيي الذي أتوقّعه في أنّ ما أعقب القضاء على ثورة سليمان بن حكيم من مجازر في حقّ قومه عبد القيس وسكّان إقليمه البحرين إنّما كان ذلك لأنّهم كانوا شيعةً لأهل البيت ﷺ أولاً، ثمّ لأنّ ثورتهم كانت ثورة شيعيّة بكلّ ما تعنيه هذه الكلمة.

ويضاف إلى ذلك أنّ زمنها كان متوازياً مع النكبة التي نكبها أبو جعفر المنصور بآل الحسن بن علي، وقتله لرجالهم، وفي مقدّماتهم زعمائهم عبد الله بن الحسن المثنى وابناه محمّد وإبراهيم.

١- محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك؛ ٦: ٢٩٤.

٢- تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٩٦.

بل إنني لا أبعد في الرأي لو أنني قلت: إنّ ثورة الزعيم العبدى سليمان بن حكيم مع قومه عبد القيس، ومن انضم إليه من سكّان البحرين ضدّ الدولة العبّاسيّة، إمّا كان غضباً لما فعله المنصور في الحسينيّين خاصّة، ولأهل البيت ﷺ عامّة؛ لأنّ عبد القيس شيعتهم الموالون لهم، والمعتقدون بحبّهم، والمتديّنون بولائهم، ولأجل ذلك نالهم ما نالهم من أعدائهم العبّاسيّين الذين لم يتورّعوا عن سفك دماء العلويّين أنفسهم، فكيف شيعتهم!؟



المصادر:

- ١- أخبار القضاة ، محمد بن خلف بن حيان = وكيع القاضي، بيروت: دار عالم الكتب غير مؤرّخة.
- ٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن محمد الشيباني = ابن الأثير: بيروت: دار الكتاب العربي غير مؤرّخة.
- ٣- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، القاهرة، طبعة دون تاريخ مصورة عن طبعة كلكتا - الهند ١٨٥٣م.
- ٤- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: نسخة خطية في المكتبة الرضوية بمشهد؛ رقم المخطوطة ١٨٦٤١.
- ٥- أنساب الأشراف؛ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، (بيروت: جمعيت المستشرقين الألمانية ١٩٧٨م).
- ٦- الأوائل؛ ابن أبي عاصم الشيباني: بيروت: دار الجيل ١٩٩١م.
- ٧- تاريخ الأمم والملوك ، محمد بن جرير الطبري، بيروت، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ١٩٨٣م.
- ٨- تاريخ يعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر يعقوبي: (بيروت: دار صادر دت).
- ٩- تاريخ مدينة دمشق؛ علي بن الحسن بن هبة الله = ابن عساكر، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥هـ..
- ١٠- تفسير القرآن العظيم؛ ابن أبي حاتم الرازي، بيروت، دار الفكر ٢٠٠٣م.
- ١١- الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري، بيروت، مكتبة لبنان ١٩٨٤م.
- ١٢- شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد، بيروت، دار الفكر.
- ١٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، بيروت، دار المعرفة غير مؤرّخة.
- ١٤- القرط على الكامل، علي بن إبراهيم بن محمد بن سعد الخير البلنسي الأنصاري، لاهور جامعة البنجاب ١٩٨٠م.
- ١٥- الكشكول يوسف بن أحمد إبراهيم آل عصفور الدرزي البحراني، بيروت، دار المرتضى.
- ١٦- الكامل في اللغة والأدب ، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي = أبو العباس المبرد: (ليبزيج: ١٨٦٤م).
- ١٧- المحاسن والمساوي إبراهيم بن محمد البيهقي تحقيق فريدك شوالي (ليبسيغ ١٩٠٢م).
- ١٨- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحمودي، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٠م.



١٩- التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربيّة، محمّد بن خليفة بن حمد النبهاني، القاهرة، المكتبة المحموديّة، ١٣٤٢ هـ.

٢٠- مقاتل الطالبين، علي بن الحسين الأموي = أبو الفرج الأصفهاني: (النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية ١٩٦٥م).

٢١- مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي، بيروت، دار المعرفة ١٩٨٣م.



فضائل السَّبِّطِ الأَكْبَرِ الإمامِ الحَسَنِ بنِ
عَلِيِّ المُجْتَبَى سَلامُ اللهِ عليهما برواية الحاكم
الجُشُمِيِّ (٤١٣-٤٩٤هـ)

تحقيق د. الشيخ أمين حسين بوري^(١)

دكتوراه في علم الفقه والأصول، الحوزة العلميّة بقم المقدسة.

ملخص المقالة

يقوم المحقق باقتناص الروايات الواردة في فضائل وسيرة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام من كتاب (السفينة الجامعة لأنواع العلوم) من المصنّفات المخطوطة للحاكم الجشّمي، وهو الحسن بن محمد بن كرامة الجشّمي البيهقي (٤١٣ - ٤٩٤ هـ)، وهو من كبار علماء المعتزلة، وقد اعتنق المذهب الزيدي في أواخر عمره.

وقد قام الكاتب بتحقيق النصّ على نسخة فريدة من كتاب السفينة، وقام بتقييم الأحاديث والروايات الحسنيّة، فبلغت ثلاثين حديثاً.

الكلمات الأساسية: الإمام الحسن المجتبي عليه السلام - السيرة؛ الحاكم الجشّمي (مؤلف)؛ السفينة الجامعة لأنواع العلوم (كتاب).

مقدمة التحقيق:

استقطبت مكانة أهل بيت رسول الله ﷺ اهتمامات الكثير من المحدثين والعلماء، منذ أن ازدهرت حركة تدوين الحديث، فألّف على مرّ التاريخ الكثير من الكتب في فضائلهم والإشادة بمنزلتهم، وإلقاء الضوء على حياتهم وتواريخهم، ومثالب أعدائهم، وكثير مما يمت إليهم بصلة.

كما أنّ هذه النشاطات المباركة لم تكن حكراً على الشيعة، بل ساهم فيها العديد من العلماء من أهل السنة، ومختلف الفرق الإسلامية الأخرى.

ومن جملة الفرق التي عُيِّت بنقل فضائل أهل البيت ﷺ بشكل موسّع الفرقة الزيدية فلم نكد نقرأ كتاباً من الموروث الحديثي أو العقائديّ الزيديّ، إلّا ونجد فيها شيئاً - قليلاً أو كثيراً - من الأحاديث في فضائل أهل البيت ﷺ أو أخبارهم.

وعلى الرغم من أنّ كمّاً هائلاً من التراث الزيديّ - الذي يحظى بالأهمية التي لا تخفى على ذوي الخبرة بشؤون الزيدية - قد خرج إلى النور في الآونة الأخيرة، بفضل الجهود التي بذلها المحققون عامة ومؤسسات علمية، ودور نشر زيدية بوجه خاصّ، إلّا أنّ هناك العديد من كتب الزيدية لم تزل مخطوطةً في خبايا المكتبات.

ومن الواضح أنّها تعني الوسط الإمامي أيضاً؛ فإنّ الكثير من رواياتهم في مختلف الحقول - سواء في تواريخ أهل البيت ﷺ أو فضائلهم أو فقههم أو ما إلى ذلك - تنتهي أسانيداً إلى الرسول الأعظم أو أحد أئمة أهل البيت ﷺ وبإمكانها أن تلقي الضوء أكثر على قضاياها التاريخية أو ما يتعلّق برواياتنا ورجالها وأسانيدها .. ومن أولئك العلماء الزيدية الحاكم شيخ الإسلام المحيّن بن كرامة الجشمي الذي لعب دوراً كبيراً في عصره في نشر الفكر الزيديّ وحديثهم.

وفي ما يلي نطلّ إطلالة خاطفة على جانب من ترجمته وموجز من النصّ المحقّق.

(أ) لمحة خاطفة عن الحاكم الجشمي:

لقد تطرّق - من حسن الحظّ - العديد من أصحاب التراجم من الزيدية وغيرهم لترجمة الحاكم الجشمي فكفونا مؤونة الخوض في غمار ذلك^(١).

١- وقد كتب الدكتور عدنان زرزور دراسةً مستقلةً مفصّلةً باسم: « الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن » تعرّض في بدايته بالتفصيل لدراسة عصر الحاكم وحياته وأساتذته وتلاميذته ومذهبه والتعريف بكتبه، معتمداً على ما لديه من المصادر المطبوعة والمخطوطة، وقد صدر عن مؤسسة الرسالة في بيروت قبل عدّة عقود

وفي ما يلي موجز مما أورده مترجموه، منهم إبراهيم بن القاسم بن المؤيد بالله (م ١٥٢هـ) في طبقات الزيدية الكبرى:

هو شيخ الإسلام الحاكم المحسن بن محمد بن كرامة الجشمي^(١) البيهقي؛ ولد سنة ٤١٣هـ وكان حنفيّاً، ولكنّه اعتنق في أخريات عمره مذهب الزيدية وكان معتزليّاً في العقائد؛ سمع أبا حامد أحمد بن محمد بن إسحاق النجار وغيره؛ وتلمذ عليه الزمخشري؛ مات الحاكم سنة ٤٩٤هـ، وخلف العديد من الكتب التي طبع بعضها، وبقي البعض مخطوطاً.

فمن كتبه المطبوعة^(٢): «تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين»؛ و«رسالة إبليس إلى إخوانه المناحيس» في الردّ على المجبرة^(٣)؛ و«تحكيم العقول في تصحيح الأصول» ومن كتبه المخطوطة: كتاب «السفينة الجامعة لأنواع العلوم» الذي سنتحدّث عنه، و«جلاء الأبصار في متون الأخبار» في الحديث، وغيرها^(٤).

وبلغ الحاكم بفضل تراثه الذي أثنى المكتبة الزيدية الذروة العليا عندهم، وقد لقيت كتبه بعده ترحيباً واسعاً من قبل الزيدية في اليمن، فتناقلوها وتناولوها بالرواية والنسخ والبحث.

لمحة خاطفة عن كتاب «السفينة الجامعة لأنواع العلوم»:

وضعنا الدكتور زرزور في دراسته في صورة إجمالية عن كتاب السفينة وأهميته من الناحية التراثية، فقال ما ملخصه: «كتب التراجم مجمعة على أنّ له في التاريخ كتاباً كبيراً يبلغ أربعة مجلدات، أسماه: (السفينة) ..

فقال الجنداري^(٥): وليس مثله في كتب الأصحاب، جمع سيرة الأنبياء وسيرة النبي ﷺ، وسيرة الصحابة والعترة إلى زمانه ... «جمعت بين الزهد والفقه والتاريخ للأئمة السابقين إلى عصره، وللأنبياء منذ آدم إلى نبينا ﷺ وسلم، لكنّه في التاريخ باختصار وهو من أجلّ الكتب...».

ثمّ أضاف زرزور: «ويبدو أنّ أثر هذه السفينة عند الزيدية كان كبيراً، وقد أكثروا من النقل عنها،

١- «جشم» قرية تقع على مقربة من مدينة سبزوار (بيهق قديماً) في محافظة خراسان الرضوية في إيران، ولم تزل عامرة حتى اليوم.
٢- أخبرني قبل عدّة أشهر الأستاذ الفاضل الدكتور محمد كاظم الرّحمتي - حفظه الله - بأنّ تفسير الجشمي الكبير المسمّى: «التهذيب في التفسير» طبع أخيراً، ومن ثمّ فلم نذكره في عداد كتب الحاكم المخطوطة على الرغم من أهميته.
٣- قيل: إنّ الجشمي قُتل بسبب تأليف هذا الكتاب (طبقات الزيدية الكبرى: ٢: ٨٩٤) - على يد الأشاعرة طبعاً.
٤- طبقات الزيدية الكبرى: ٢: ٨٩١ - ٨٩٥؛ وراجع أيضاً: أعلام المؤلفين الزيدية: ٨١٩ - ٨٢٣ والمصادر المذكورة في هامش هذين المصدرين.
٥- أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الجنداري (م ٣٣٧هـ) من علماء الزيدية البارزين، راجع عنه: معجم طبقات المتكلمين:



وبخاصّة فيما يتصل بتراجم الأئمة والدعاة التي عُني فيها الحاكم فيما يبدو عناية كبيرة»^(١).

هذا، وقد عرض الباحث الفاضل الدكتور حسن الأنصاريّ قبل بضع سنوات في كتابه: «بررسیهای تاریخی»^(٢) لكتاب السفينة، فأتحفنا بدراسة ضافية عنه، واستعرض فيها مواضيع الكتاب، وبحث عن منهج الحاكم فيه، مقارناً بكتبه الأخرى^(٣)، وهي أدقّ تقرير رأيته عن كتاب السفينة وأهمّيته من مختلف النواحي، وفيه الكفاية لمن أراد أن يُلمّ بالكتاب لإمامة جيّدة.

ثمّ حالفني التوفيق - والله الحمد والمثّة - حيث زوّدتُ بمصوّرة من كتاب السفينة، وسأشرح بعد قليل كيف حصلت عليها، وأوضّح مواصفاتها.

وعلى كلّ، فقد بدأ الحاكم كتابه السفينة بالبحث عن مسائل تتعلّق بأصول الدين من التوحيد والعدل وردّ التشبيه والتجسيم وغيرها، كما يمرّ بعدة بمواضيع أخلاقية، ويشبع قصص الأنبياء ﷺ بحثاً ليرصد بعده موضوع عمل السلطان ..

وفي غضون ذلك: خصّ الحاكم حجماً كبيراً من كتابه للبحث عن تاريخ النبي ﷺ وسيرته وفضائل الصحابة، ثمّ تناول بالدرس فضائل أهل البيت ﷺ، بدايةً من سيرة أمير المؤمنين ﷺ، فيذكر تفاصيل حياته ومناقبه .. مروراً في بابٍ مستقلّ بروايات في فضائل مولانا فاطمة ﷺ، ليلبغ باباً في ذكر الإمامين الحسن والحسين ﷺ، ثمّ يذكر فضائل الإمام المجتبي ﷺ بوجهٍ خاصّ، ثمّ يتطرّق لذكر الإمام الحسين سيّد الشهداء ﷺ وشيءٍ من أخباره ومقتله^(٤).

وعلى كلّ، فإنّ النصّ الذي نقدّمه إلى القارئ الكريم هو القسم الخاصّ بفضائل الإمام الحسن بن عليّ ﷺ وأخباره من كتاب السفينة الجامعة ولكن نقدّم عليه ما رواه الحاكم في فضائل الحسنين ﷺ

ج) قصّتي مع مخطوط كتاب السفينة وعملي في التحقيق:

حصلت على مخطوطة من المجلّد الثاني من كتاب السفينة الجامعة تفضّل بما عليّ مشكوراً سماحة الأستاذ الجليل الدكتور السيّد عليّ الموسويّ نجاد - أستاذ جامعة الأديان والمذاهب بمدينة قم، والخبير بشؤون الزيدية -

١- الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير: ١١٠-١١١.

٢- وهو بالفارسية، صدر عن مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ سنة ١٣٩٠ ش.

٣- بررسيهای تاریخی: ٥٠٧ - ٥٢٢.

٤- لم نعرض للذكر بقية مواضيع الكتاب لعدم صلتها ببحثنا، وللمزيد راجع: كتاب الدكتور الأنصاريّ الآنف الذكر.



فلا يسعني هنا إلا أن أرفع إلى سماحته أسمى آيات الشكر والعرفان

ثم إن هذا القسم الخاصّ بفضائل الإمام الحسن عليه السلام قد وقع في هذا الجزء الثاني، وهذا الجزء يبدأ بحسب المخطوطة التي بأيدينا من: «باب جملة من شرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سوى ما ذكر في الباب الذي قبل هذا» وتنتهي بـ: «فصل في جملة من الأشعار في ما قيل في أهل البيت عليهم السلام».

وقد عرّف بنفس النسخة سابقاً الدكتور الأنصاريّ في كتابه السابق الذكر^(١).

أما عن مواصفات المخطوطة:

كتبت المخطوطة في ٣١٠ صفحة تقريباً ولكنّ صفحاتها غير مرّقة، وعلى الصفحة الثانية من النسخة ترجمة الحاكم، وذكر كتبه، وقد جاء في آخرها: «من إملاء سيدي المالك الوالد العلامة حافظ علوم آل محمّد عماد الدين يحيى بن صالح السّخولي^(٢) حفظه الله تعالى على ظهر الغيب من حفظه».

وعلى الصفحة الرابعة منها عدّة تملّكات منها ما نصّه: «من كتب الفقير إلى الله قاسم بن حسين بن محمّد أبوبال عزيّ^(٣) غفر الله لهم».

وجاء في نهاية المخطوطة: «واتّفق الفراغ من نساخته في النصف من شهر رجب من شهور سنة سبع عشرة وستّمائة بمدينة صعدة المحروسة بالمشاهد المقدّسة بخطّ منصور بن مسعود بن عبّاس بن عليّ بن أبي عمرو^(٤) غفر الله تعالى له ولوالديه ولجميع المسلمين بحمّقه العظيم واسمه الكريم، والحمد لله حقّ حمده، وصلواته على محمّد النبيّ وعلى آله وسلامه، وحسبنا الله وكفى الوكيل».

كما أنّ على الصفحة نفسها شهادات عدّة أشخاص بمطالعة الكتاب.

ورمزنا لهذه النسخة بـ«ن». ولم يتيسّر لي - للأسف - الحصول على نسخة أخرى من الكتاب على الرغم من أنّ له نسخاً عديدة في مكتبات العالم.

١- برسيهاى تاريخي: ٥١٣ - ٥١٦.

٢- يحيى بن صالح بن يحيى الشجري السّخولي ثمّ الصنعاني، (١١٣٤ - ١٢٠٩ هـ). قاض، من فقهاء الزيدية. راجع ترجمته في الأعلام للزركلي ٨: ١٥١.

٣- من علماء الزيدية. ترجمه في أعلام المؤلّفين الزيدية: ٧٦٩ قائلاً: «القاسم بن الحسين بن العزيّ محمّد بن أحمد أبوبال الحسيني عالمٌ مجتهدٌ خطيب سياسي...» تويّ سنة ١٣٨٠ هـ.

٤- نسخ هذا الكاتب مؤلّفات أخرى منها: كتاب «أعلام نجح البلاغة» لعليّ بن ناصر الحسيني حيث نسخه في شعبان سنة ٦٣٥ هـ (راجع: الديباج الوضيّ في الكشف عن أسرار كلام الوصي: ١/٣٢، مقدّمة المحقّق) وفي نفس السنة فرغ من نسخ كتاب «نجح البلاغة» (مصادر التراث في المكتبات الخاصّة في اليمن: ٢/٧٠-٧١ وفيه: «بن أبي عمر» والأرجح أنّه تصحيف)



وخطّ المخطوطة جيّد نسبياً، إلا أنه غير منقوط في كثير من الكلمات، كما انتاب المخطوطة تصحيف وتحريف في العديد من الألفاظ، ومن تمّ فقد واجهت صعوبات كثيرة لقراءة المخطوطة بشكل صحيح.

وعلى كلّ فقد اتّبع في تحقيق النصّ الخطوات التالية:

- ١- قمتُ أولاً بقراءة المخطوط، ثمّ كتابة النصّ على الحاسوب.
 - ٢- خرّجت الروايات عبر مراجعة ما بأيدينا من المصادر الحديثية والتاريخية وغيرها.
 - ٣- حاولت المقارنة بين نصّ الجشمي وبين ما رواه غيره لنصحح على ضوئها الكثير من التصحيفات والأخطاء التي طرأت على النصّ.
 - ٤- اقتصرت على تخريج الروايات غير المعروفة أو المواضيع المبهمة دون ما كان مشهوراً في التاريخ أو الحديث، كما اكتفيت في تخريج الأحاديث وترجمة الأعلام، وما إلى ذلك بذكر المصادر الأشمل والتي تحيل بدورها إلى الكثير من الكتب السابقة عليها.
 - ٥- رقت الروايات الواردة في النصّ؛ تيسيراً لعملية البحث والإحالة.
 - ٦- كلّ ما وضعناه بين المعقوفين فهو ممّا أضفناه إلى النصّ لضرورة نشير إليها، أو يقف عليها القارئ.
 - ٧- ولا يفوتني هنا أن أشير إلى نقطتين حول مضامين ما يرويّه الجشمي ومنهجه في هذا النصّ:
- الأولى:** أنّ بعض ما ينقله الجشمي لا ينسجم والواقع التاريخي، فنّبهنّا عليه في الهوامش، كما أنّ عدداً ممّا رواه بشأن الإمام الحسن عليه السلام لا يوائم ما نعتقده معشر الإمامية بشأن الأئمة عليهم السلام، وقد أشرتُ إلى ملاحظتنا على هذه الروايات بالقدر الذي تسعّه هذه العجالة.
- أما التفصيل فهو موكول إلى كتب أصحابنا في الكلام.

الثانية: نستشفّ من دراسة منهج الجشمي في نقل الروايات أنّه لم يهتمّ في كثير من الأحيان ما يهمّ المحدثين للغاية من نحو ذكر أسانيد الروايات ومصادرها بالكامل وتقويم رجالها و.. ومن تمّ جاءت رواياته كلّها مرسلة. (١)

ولكنّ هذا لا يعني طبعاً الغضّ من قيمة هذه الروايات من الناحية الحديثية، ما دامت الأثرية الساحقة منها مروية في مصادر كثيرة أخرى - قد أحلنا إليها في الهوامش - بأسانيد متعدّدة مسندة، فبإمكاننا أن نضع ما

١- ولعلّ السبب في ذلك أنّ الجشمي لم يكن محدّثاً بكلّ ما تحمله الكلمة من معنى، بل كان بالدرجة الأولى متكلماً يفيد من الحديث والتاريخ بالقدر الذي يحقّق أهدافه في الأبحاث الكلامية.



رواه الجسمي إلى جانب روايات الآخرين ليتكوّن من مجموعها نقلٌ متواتر أو مستفيض.

وختاماً فقد بذلت جهدي في تحقيق النصّ معترفاً بالعجز والقصور، ولكن كلّي أمل أن يقع هذا المجهود المتواضع موقع القبول من مولاي السَّبَطِ الْأَكْبَرِ الْإِمَامِ الْمَظْلُومِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا سَلَامٌ، وأن أكون قد أسديتُ بذلك خدمةً لمدرسة أهل البيت عَلَيْهِمَا سَلَامٌ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على سيّدنا ونبينا أبي القاسم المصطفى محمد وآله المعصومين.

وكتب:

أمين حسين بوري

باب في ذكر الحسن والحسين عَلَيْهِمَا سَلَامٌ:

(١) روى القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد^(١) بإسناده (وروى بعضهم)^(٢) وزاد بعضهم ونقص آخرون وهذا أتمّ للحديث، قالوا:

روى الأعمش^(٣)، قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ فِي اللَّيْلِ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا وَجَّهَ إِلَيَّ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ إِلَّا وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَسْأَلَنِي عَنِ فَضَائِلِ عَلِيِّ عَلَيْهِمَا سَلَامٌ، فَلَعَلِّي إِنْ أَخْبَرَهُ بِمَا يَقْتُلَنِي، فَلَيْسَتْ أَكْفَانِي، وَتَحْتَطُّ حَنُوطِي وَخَرَجْتُ حَتَّى أَتَيْتُهُ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ مَلْقَى عَلَى قَفَاهُ، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ السَّلَامَ، وَقَالَ: اذْنُ مَتِّي يَا سَلِيمَانَ، فَذَتَوْتُ مِنْهُ، فَصُرْتُ مِنْهُ غَيْرَ بَعِيدٍ.

فَقَالَ لِي: اجلس! فجلستُ فشمّ مِثِّي رَائِحَةَ الْحُنُوطِ^(٤).

فَقَالَ لِي: يَا سَلِيمَانَ! مُتَحَيِّطًا؟

١- هو أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمدانيّ الأسديّ (٤١٥هـ)، الملقّب بقاضي القضاة، إمام المعتزلة في عصره؛ ألّف الكثير من الكتب الضخمة في ترسيخ قواعدهم (راجع ترجمته في طبقات المعتزلة لابن المرتضى: ١١٢-١١٣ وغيره من المصادر).

وذهب الدكتور الأنصاريّ إلى أنّ من المظنون قوياً أن يكون مصدر الحاكم في هذه المرويّات كتاب الأُمالي للقاضي عبد الجبار. (راجع: برسيهاى تاريخي: ٥١٥؛ وللمزيد عن أمالي القاضي عبد الجبار راجع: نفس المصدر، ص ٥٦٥-٥٧٨)

٢- ما بين المعقوفين مكتوب في حاشية النسخة.

٣- أبو مُحَمَّدٍ سَلِيمَانَ بْنِ مِهْرَانَ الْكَاهِلِيُّ الْأَسَدِيُّ الْأَعْمَشِيُّ، الْكُوَيْتِيُّ، الْخَافِظُ. (٦١-٤٧هـ) من كبار أئمّة الحديث في زمانه. أطره الكثير من أهل السنّة ووصفوه بالثقة والزهد والعلم. راجع ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٦: ٢٢٦ - ٢٤٨.

٤- في «ن»: «الكافور» فوق لفظة «الحنوط».



فقلت: الصدق نجة يا أمير المؤمنين، قال: هو ذاك.

قلت: نعم! وجه إليّ أمير المؤمنين في هذا الوقت فقلت في نفسي: ما وجه إليّ في هذا الوقت إلا ليسألني عن فضائل عليّ عليه السلام، فلعلّي ^(١) إن أخبرته فتلني، فلبست أكفاني ^(٢)، وتحنطت بجنوطي وجنت، فاستوى جالساً المرعوب وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: يا سُلَيْمَانُ كَمْ تَرَوِي فِي فَضَائِلِ عَلِيٍّ عليه السلام حديثاً؟ قلت: كثيراً يا أمير المؤمنين.

قال: والذي بعث محمداً بالحق لأحدثتك بحديث في فضائل عليّ عليه السلام حديثين لم تسمع مثلهما إلا أن تكون سئعتهما. فقلت: أفديني يا أمير المؤمنين! أفادك الله.

قال: كنت هارباً من بني أمية، وإني لأسير بالرقّة في أطمار لي رثة ^(٣)، إذ مررت في وقت صلاة العشاء بمسجد يعرف بـ «مسجد حمران» في بني ثوبان، فقلت في نفسي: لو دخلت هذا المسجد وصليت مع أهله وسألتهم عشاءً

قال: فدخلت المسجد، فجلست إلى شيخ له هيئة، فلم أعلم حتى صار إلى الشيخ غلامان، فقال: مرحباً بكما، وبمن اسمها على اسمكما، فقلت لشتا كان إلى جنبي: يا فتى! من هذا الشيخ ومن هذان الغلامان؟ فقال: ابنا ابنة، و ليس في هذه المدينة أحد يحب عليّاً حبه.

قال: فدنوت من الشيخ، فقلت: ألا أؤرّ عينك؟ فقال: إن أفررت عيني أفررت عينيك.

فقلت حدّثني أبي، عن جدي، عن ابن عباس، قال: كنّا جلوساً مع النبي صلى الله عليه وآله في المسجد، فدخلت فاطمة عليها السلام باكية، فقال: «ما يبكيك يا بنية؟» قالت «يا رسول الله! غاب عني الحسن والحسين في هذه الليلة فما أدرى أين هما».

فقال لها: «يا بنية، لا تبكين، فإن الله لهما رباً هو أحفظ بهما ^(٤) وأراف بهما مني ومنك».

فولت فاطمة وتغشى النبي صلى الله عليه وآله ما كان يغشاها عند الوحي، وسرى عنه وهو يضحك، حتى بدت نواجذه وقال: «هذا حبيبي جبرئيل يخبرني عن الله أنّ ابني الحسن والحسين في حضيرة لبني النجار، وقد وكلّ الله بهما

١- «ن»: «لعن».

٢- في: «ن»: «ثياب أكفاني». والظاهر أنّ الصحيح ما أثبتناه.

٣- الطمر: التوب الخلق البالي، والجمع: أطمار؛ ورث التوب: بلي (المعجم الوسيط: ٥٦٥ و ٣٢٨)

٤- كذا في «ن» والأصح: لهما.

ملكاً من الملائكة جعل أحد جناحيه تحتها وأظلهما بالآخر».

ثمّ قام يجرّ رداءه، وقال لأصحابه: «قوموا ننظر إليهما على هذه الصفة»، فأتاهما النبيّ ﷺ، ودخلها فوجدهما نائمين، والملك موكّلٌ بهما.

فانكبّ النبيّ ﷺ يُقبّلُهُما فرحاً ممّا رآهما عليه، ثمّ أيقظهما فحملَ الحسنَ على منكبه الأيمن، وحملَ الحسينَ على منكبه الأيسر.

فلما خرج من الحظيرة اعترضه أبو بكرٍ فقال: يا رسول الله! أعطني أحد الغلامين أحمله عنك.

فقال: «يا أبا بكرٍ^(١) نعم الحامل، ونعم المحمول، وأبوهُما خير مِنْهُما».

فاعترضه عمر، وقال مثل قول أبي بكر، وردّ عليه ما ردّ على أبي بكر، ثمّ قال: «والذي بعثني بالحق نبياً، لأشرفنكُمَا في هذا اليوم كما شرفكُم الله».

ثمّ قال: «يا بلال، هلّمّ إليّ النَّاس»، فدأى بلال بالصلاة جامعةً، فدخل النبيّ ﷺ المسجد، وصلى ركعتين، ثمّ صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وقال: «أيّها النَّاس، ألا أخبركم بخَيْرِ النَّاسِ أباً و أمّاً؟».

فقالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسنُ وَ الحسينُ؛ أبوهما شابٌّ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَأُمُّهُمَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ. أَيُّهَا النَّاسِ، ألا أخبركم بخَيْرِ النَّاسِ خالاً وَخالةً؟»

قالوا بلى يا رسول الله فقال: «الحسنُ وَ الحسينُ؛ خالُهُمَا الْقَاسِمُ ابْنُ رَسُولِ اللهِ وَخَالَتُهُمَا رقية، بِنْتُ رَسُولِ اللهِ. أَيُّهَا النَّاسِ، ألا أخبركم بخَيْرِ النَّاسِ عمّاً وَ عمّةً؟»

قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الحسنُ وَ الحسينُ؛ عمّهُمَا جَعْفَرُ ذُو الْجَنَاحَيْنِ الْمُحَلَّى بِمَا يَطِيرُ فِي الْجَنَّةِ حيث يشاء، وَ عمّتُهُمَا أُمُّ هَانِي بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ».

أَيُّهَا النَّاسِ، ألا أخبركم بخيرِ الناسِ جدّاً وَجدةً؟»

قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الحسن والحسين؛ جدّهما محمد رسول الله، وجدّتهما خديجة سيّدة نساء أهل الجنة»، ثمّ قال بعد ذلك: «اللهمّ إنك تعلم أنّ الحسنَ في الجنة، وَ الحسينَ في الجنة، وَ جدّهُمَا في الجنة، وَ جدّتُهُمَا في الجنة^(٢)، وَ خالُهُمَا في الجنة، وَ خَالَتُهُمَا في الجنة، وَ عمّهُمَا في الجنة، وَ عمّتُهُمَا في الجنة».

١- «ن»: «يا يا بكر».

٢- في بشارة المصطفى: ١٧٣، وعدد من المصادر هنا إضافة: «وأبَاهُمَا في الجنة وَ أمّهُمَا في الجنة».

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ مَنْ يُجِبُّهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَ (من) (١) يَبْغِضُهُمَا فِي النَّارِ».

قال أبو جعفر: فكساني الشيخ خلته وحملني على بغلته، وأعطاني ألف درهم، ثم قال: يا بني! قد أفرزت عيني أفر (٢) الله عينك، وبهذه المدينة أخ لي منقص (٣) لعليّ مفرط، فأته فحدثه لعل الله أن يرده من ذلك.

فقلت: أرشدني إلى منزله رحمك الله وصفه لي، فلما انصرفت ركبت البغلة ولبست الحلة أريد منزل الرجل الذي وصفه لي، فلما انتهيت إليه إذا بقربه مسجد قد اجتمع فيه جماعة لصلاة الفجر؛ فقلت: أبدأ بحق الله تعالى فأفضيه؛ فنزلت عن البغلة ودخلت المسجد، فصلّيت ركعتين، وجلست مع أهل المسجد أنتظر (٤) الإقامة، فدخل المسجد شاب على رأسه عمامة، فقام يركع إلى جانبي، فلما سجد سقطت العمامة عن رأسه، فنظرت إلى رأسه فإذا هو قحف (٥) خنزير!

فلما صلينا أخذت بيده، فقلت: ما هذا الذي (٦) أرى بك من سوء الحال؟

فقال: أنت صاحب أخي الذي حدثته بفضائل عليّ، فكساك خلته، و حملك على بغلته، وأعطاك ألف درهم؟

قلت: وأنت أخوه؟

قال نعم! وأخذ بيدي فلما خرجنا من المسجد وصرنا عند منزله، قال: ترى هذه الدار وهذا (٧) الدكان الذي على بابها؟ قلت: نعم.

قال: أنا أوذن في كل يوم على هذا الدكان الأذان للصلوات الخمس، وكنت مولعاً أن ألعن عليّاً بعد كل أذان مائة مرّة، فلما كان أمس وقت الظهر، وكان يوم الجمعة لعنته ألف مرّة، وإني كالتائم على هذا الدكان بين التائم واليقظان، إذ رأيت كأن رسول الله ﷺ أقبل ومعه أصحابه، حتى صعد الدكان، فجلس وجلس أصحابه (٨)، والحسن والحسين واقفان، في يد الحسن إبريق، فرفع رسول الله ﷺ رأسه إلى الحسن، فقال:

١- ليس في «ن»، والمثبت من المصادر الأخرى.

٢- في «ن»: «أفر»، والصحيح ما أثبتناه.

٣- في «ن»: «منقص»، والمثبت هو المناسب للسياق.

٤- في «ن»: «أنظر».

٥- القحف: الذي فوق الدماغ من الجمجمة. (المحيط في اللغة، ج ٢، ص: ٣٦٠).

٦- في «ن»: «ما».

٧- في «ن»: «هذه».

٨- لم يصرح في العديد من المصادر بمرافقة الصحابة للنبي ﷺ، بل اقتصر فيها على لفظة «الجماعة» دون تحديد هويتهم. ووردت الفقرة المتعلقة بنام الرجل على النحو التالي - أو قريب منه - في عدد من المصادر: «... قرأيت في منامي كأنما أنا بالجنة

«يا حسن، اسقني»، فمدّ الحسن، يده بالكأس إلى الحسين، فقال: «يا حسين، صبّ».^(١)

فصبّ الحسين^(٢) الإبريق في الكأس، فنأوله الحسن رسول الله ﷺ فشرب، ثم قال: «اسقني أصحابي»، فسقاهم رجلاً رجلاً، فلما شربوا جميعاً، قال لهما النبي ﷺ: «اسقيا التائم على الدكان!»

قال: فكأني أرى الحسن والحسين يبيكان، فقال لهما النبي ﷺ: «وما يُبيكما؟»

قالا: «يا رسول الله، كيف نسقي من يلعن أبانا بعد أن يؤذّن في كلّ وقت صلاة مائة مرّة؟! فأقرب ما لعنه الساعة ألف مرّة».

قال: فرأيت النبي ﷺ قد وثب إليّ مغضباً يجرّ رداءه، فضربني برجله، ثم قال:

«فم غير الله ما بك من خلقه»^(٣).

قلت: يا هذا! أتدري أنه موعظة؟^(٤) وقد ضمنت لأخيك أبيّ أحدثك، فقال: قل ما تشاء!

فقلت: حدّثني أبي^(٥)، عن أبيه، عن جدّي، عن ابن عباس، قال: كنّا جلوساً عند النبي ﷺ إذ أقبلت فاطمة باكية، فقال لها النبي: «ما يبكيك؟»

فقلت: «يا رسول الله، غيرتني نساء قريش، وزعموا أنك زوّجتني مُعدماً، لا مال له»، فقال لها النبي ﷺ: «والذي بعثني بالحق نبياً - يا بنية - ما زوّجتك حتّى زوّجك الله تعالى من فوق عرشه، وأشهد على ذلك جبرئيل وميكائيل». ثمّ قال: يا سُلَيْمَانُ! هل رأيت مثل هذا الحديث؟ قلت: لا. ثمّ قال الأعمش: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا تَقُولُ فِي قَتْلِ وُلْدِ هَذَيْنِ؟ قال: فانكبّ طويلاً ينكت في الأرض أصابعه، ثمّ قال: ويحك يا سليمان! المُلْكُ عَقِيمٌ.

قَدْ أَقْبَلْتُ فَإِذَا عَلِيٌّ فِيهَا مُتَكِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ مَعَهُ مُتَكِيُونَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، مَسْرُورُونَ تَحْتَهُمْ مُصَلِّبَاتٌ مِنْ نُورٍ، وَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَالِساً وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ قُدَّامَهُ وَبِيَدِ الْحَسَنِ إِبْرِيْقٌ وَبِيَدِ الْحُسَيْنِ كَأْسٌ فَقَالَ النَّبِيُّ ص لِلْحَسَنِ: اسْقِنِي فَشَرِبْتُ، ثُمَّ قَالَ لِلْحُسَيْنِ: اسْقِ أَبَاكَ عَلِيّاً، فَشَرِبْتُ، ثُمَّ قَالَ لِلْحَسَنِ: اسْقِ الْجَمَاعَةَ» (كشف اليقين للعلامة الحليّ: ٣١٩-٣٢٠؛ وراجع أيضاً: روضة الواعظين: ١: ١٢٣؛ الأمالي للصدوق: ٤٤٠؛ بشارة المصطفى: ٢: ١٧٥.. حيث اقتصر فيها على لفظ: «اسق الجماعة»). نعم، ورد في المناقب للخوارزمي: ٢٩٢ التصريح بمصاحبة الخلفاء الثلاثة للنبيّ مصرّحاً بأسمائهم ثمّ أمر النبيّ الإمام الحسن ﷺ أن يسقيهم على التوالي! ولا نستغرب أن تكون إضافة أسماء محدّدة - كما في رواية الخوارزمي - أو ذكر الصحابة بشكل عام - كما في نصّ الجشمي - محاولة فاشلة من بعض الرواة أو الناسخين المتممين لمدرسة الخلفاء لتلميع صورة الصحابة بأجمعهم أو الخلفاء الثلاثة على الأقلّ.

١- في: «ن»: «فقال: يا حسين! صبّ» مكرراً.

٢- في: «ن»: «الحسن».

٣- في: «ن»: «خلق».

٤- في: «ن» غير منقطة ولعلها: «آية موعظة».

٥- في: «ن»: «أبيه».



قال سليمان: فقمتم وأنا أقول في نفسي: بمس الحجة أعددت للوقوف بين يدي الله تعالى^(١).

أحاديث عن الصحابة في فضائل السبطين عليهما السلام

(٢) أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله: قال: «من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»^(٢).

(٣) أبو سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله، قال صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما»^(٣).

(٤) أسامة بن زيد، قال: كان النبي صلى الله عليه وآله يأخذ بيد الحسن والحسين، ويقول: «اللهم إني أحبهما، فأحبهما»^(٤).

(٥) وعن النبي صلى الله عليه وآله،: أنه كان جالساً إذ أقبل الحسن والحسين، فلما رآهما قام لهما واستبطأ بلوغهما،

فاستقبلهما و حملهما على كتفيه^(٥)، وقال: «نعم المطي مطيكمما، ونعم الراكبان أنتما، وأبوكما خير منكما»^(٦).

(٦) ورأى النبي صلى الله عليه وآله عليه (وآله) الحسن والحسين يمشيان فتهلل لهما ثم التفت إلى أصحابه، وقال: «أولادنا أكبادنا تمشي على الأرض»^(٧).

(٧) وعن سلمان: «**مَجَّ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ**؛ عليّ وفاطمة؛ **بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ**»؛ النبي صلى الله عليه وآله؛ **يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْؤُ وَالْمَرْجَانُ**^(٨): الحسن والحسين»^(٩).

١- هذه القصة قد رواها العديد من المحدثين من الشيعة والسنة بأسانيدهم المختلفة عن الأعمش، أو مرسله عنه أحياناً. ولكن هناك اختلافاً لا يستهان به بين ألفاظ هذه الروايات، وتفصيلها فيما بينها، وكذلك بينها وبين ما رواه الجشمي هنا، كما أنّ فيها زيادات كثيرة على ما تجده هنا - لم نجد ضرورة في التعرّض لها - وإن كانت الروايات تشترك كلّها في المحاور الأساسية للقصة. وعلى كلّ فراجع لمصادرها الأخرى: مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للكوفي (ق ٣) ٢: ٥٨٩ - ٥٩٧؛ الأمالي للصدوق (م ٣٨١هـ): ٤٣٥-٤٤١، المجلس ٦٧، ح ٢؛ روضة الواعظين للفتال النيسابوري (م ٥٠٨هـ) ١: ١٢٠-١٢٤؛ المناقب لابن المغازلي: ١٥٤-١٦٣، وينظر هامشه للاطلاع على المصادر الأخرى.

٢- شرح إحقاق الحقّ ١٠: ٦٩٢ وما بعده يشار إلى أنّا نقتصرنا هنا و في الهوامش التالية على هذا المصدر كونه مصدراً شاملاً يحيل إلى الكثير من مصادر العامة التي روت الحديث عن كلّ من هؤلاء الصحابة المذكورين أعلاه

٣- المصدر نفسه ١٠: ٥٤٤ وما بعدها.

٤- المصدر نفسه ١٠: ٥٧٢ وما بعدها.

٥- في «ن»: «كتفه»، والمثبت من المصادر الأخرى.

٦- شرح إحقاق الحقّ ١٠: ٧١٤ وما بعدها عن عدد من الصحابة.

٧- لم نعثر على مصدر له.

٨- سورة الرحمن: ٢١-١٩.

٩- رواه عن سلمان في شرح إحقاق الحقّ ٣: ٢٧٦، الهامش؛ ١٤: ٢٥٧.

(٨) وعنه عليه السلام: «قال: يا عليّ! إذا كان يوم القيامة كنت (أنت)^(١) وولّدك على خيلٍ بُلقي^(٢) متوّجةٍ بالدرّ والياقوت، فيأمر الله تعالى بكم إلى الجنة والنّاس ينظرون»^(٣).

(٩) عليّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «كلّ بني أنثى ينتمون إلى أبيهم، إلّا ابني فاطمة، فأنا أبوها وعصبتها»^(٤).

(١٠) ابن بريدة، عن أبيه،^(٥) قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب فجاء الحسن والحسين، وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه، (ثم)^(٦) قال: «صدق الله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾»^(٧)، نظرت إلى هذين الصبيّين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت خطبتي ورفعتهما»^(٨).

(١١) وعن عليّ عليه السلام: «أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّ الولد ريحانة من الله، وإنّ ريحانتي من الدّنيا الحسن والحسين»^(٩).

(١٢): وعن جابر بن عبد الله، قال: لما ولدت فاطمة الحسن^(١٠)، قالت لعليّ رضي الله عنه: «سمّه»!

قال عليّ: وكنت رجلاً محرّباً^(١١) أحبّ أن أسميه حرباً - ثم قلت: ما كنت لأسبق باسمه (رسول الله صلى الله عليه وآله) فجاء رسول الله فقيل له: سمّه! فقال: «ما كنت لأسبق باسمه»^(١٢) ربّي جلّ وعزّ.

فأوحى الله إلى جبرئيل: أنّه وُلِدَ لِمُحَمَّدٍ ابْنٌ فَاهْبِطْ فَأَقْرِئْهُ^(١٣) السَّلَامَ وَهَبْتَهُ^(١٤)، وَقُلْ لَهُ: إِنَّ عَلِيًّا مِنْكَ بِمَنْزِلَةِ

١- أثبتنا ما بين المعقوفتين من المصادر الأخرى

٢- بَلَقَ الفرس: كان فيه سواد و بياض فهو أبلق و الجمع: بُلُق (المعجم الوسيط: ٧٠٧).

٣- شرح إحقاق الحقّ: ٦: ١٦٥.

٤- المصدر نفسه: ٩: ٦٥٢ عن أمير المؤمنين عليه السلام، وقد رواه عن عدد من الصحابة، فراجع: ٩: ٦٤٤ و ما بعدها؛ ١٠: ٢٣٩؛ ١٨: ٣٣١ وما بعدها.

٥- هو أبو عبد الله عليه السلام بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسْلَمِيِّ، كان من الصحابة وَسَكَنَ الْبَصْرَةَ مُدَّةً.

٦- ثُمَّ عَزَا حُرَّاسَانَ زَمَنَ عُثْمَانَ وَمَاتَ بِهَا سَنَةَ ٦٢ هـ (راجع ترجمته في سير أعلام النبلاء: ٢: ٦٩-٢٧٠) وقد روى عنه ابنه عبد الله (راجع ترجمته في سير أعلام النبلاء: ٥: ٥٠).

٧- أثبتناه من المصادر الأخرى.

٨- التناب: ١٥.

٩- رواه عن عبد الله بن بريدة عن أبيه في شرح إحقاق الحقّ: ١٠: ٦٧٦ وما بعدها.

١٠- رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام في شرح إحقاق الحقّ: ١٠: ٦٢١.

١١- في: «ن»: «بالحسن».

١٢- المحرّب من الرجال: خبيّر بالحرب شجاع (المعجم الوسيط: ١٦٤).

١٣- ما بين اللّالين وردت في حاشية المخطوط وكتب بعده: «صح أصلاً».

١٤- في: «ن»: «فاقره».

١٥- «ن»: «هَبْتَهُ».

هَارُونَ مِنْ مُوسَى، فَسَمَّاهُ بِاسْمِ ابْنِ (١) هَارُونَ، فَهَبَطَ جَبْرِئِيلُ فَهَنَّأَهُ مِنَ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكَ أَنْ تُسَمِّيَهُ بِاسْمِ ابْنِ (٢) هَارُونَ. فَقَالَ «وَمَا كَانَ اسْمُهُ؟» قَالَ شَبَّزُ: قَالَ: «لِسَانِي عَرَبِيٌّ»، قَالَ: سَمَّاهُ الْحَسَنَ، فَسَمَّاهُ الْحَسَنَ، فَلَمَّا وُلِدَ الْحُسَيْنُ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى جَبْرِئِيلَ أَنَّهُ قَدْ وُلِدَ لِمُحَمَّدِ ابْنِ، فَاهْبِطْ إِلَيْهِ وَهَبْنَاهُ (٣)، وَقُلْ لَهُ: إِنَّ عَلِيًّا مِنْكَ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، فَسَمَّاهُ بِاسْمِ ابْنِ هَارُونَ.

فَلَمَّا نَزَلَ جَبْرِئِيلُ وَهَنَّأَهُ وَبَلَّغَهُ الرِّسَالَةَ قَالَ: «مَا كَانَ اسْمُ ابْنِ هَارُونَ؟» قَالَ: شَبَّزُ (٤)، قَالَ: «لِسَانِي عَرَبِيٌّ»، قَالَ: فَسَمَّاهُ الْحُسَيْنَ، قَالَ: فَسَمَّاهُ الْحُسَيْنَ (٥).

(١٣) سلمان، عن النبي ﷺ قال: «الحسن والحسين ابناي، من أحبهما أحبني، ومن أحبني أحبته الله، ومن أحبته الله أدخله الجنة، ومن أبغضهما أبغضني، ومن أبغضني أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار على وجهه» (٦).

(١٤) عائشة: قالت: خرج النبي ﷺ وعليه مرطٌ مُرَجَّلٌ (٧) من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله معه، ثم جاء الحسين فأدخله معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها معه، ثم جاء عليٌّ فأدخله معه، ثم قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» (٨) (٩).

(١٥) أبو هريرة: كان الحسن أو الحسين عند النبي ﷺ وكان يحبه حباً شديداً، فقال: «أذهب إلى أُمِّي».

فقلت: أذهب معه؟ فقال: «لا»؛ فجاءت برقعةً من السماء فمشى في ضوئها حتى بلغ (١٠).

(١٦) أنس، قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ والحسن والحسين يصطرعان والنبي يقول: «هيي (١١)! حسن!»

١- في: «ن»: «ابن ظ» فوق «هارون».

٢- في: «ن»: «ابن صح» فوق «هارون».

٣- «ن»: «وهي».

٤- في: «ن»: «شير».

٥- رواه عن جابر في شرح إحقاق الحق ١٦: ١٢ وليس فيه قوله: «قال علي: وكنت رجلاً محزوناً أحب أن أحميه حرباً»؛ وراجع قريباً منه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في نفس المصدر ١٠: ٤٩٤.

٦- رواه عن سلمان في شرح إحقاق الحق ١٠: ٧٠٠-٧٠٢.

٧- المرط: كساء من خبزٍ أو صوفٍ أو كتانٍ يؤتزر به (المعجم الوسيط: ٨٦٤) و ثوب مرجل: فيه صور الرجال. (المصدر نفسه: ٣٣٢)

٨- الأحزاب: ٣٣.

٩- رواه عن عائشة في شرح إحقاق الحق ٢: ٥٠٨ و ٥١٧، ٥٣٣؛ ٩: ١٤٤، ١٢: ٧١-٧٣، ٢٢: ١٧، ٤١٥، و...

١٠- رواه عن أبي هريرة شرح إحقاق الحق: ١٠: ٧٣٣-٧٣٥.

١١- «هيي» اسم فعل أمرٍ بمعنى «أسرع». (المعجم الوسيط: ١٠٠٥).

فقلت: أتعين الكبير على الصّغير يا رسول الله؟ قال: «إنّ جبرئيل يقول: إيه (١) حسين» (٢).

(١٧) وسئل النبي ﷺ: من قرابتك الذين أوجب الله علينا مودّتهم؟ قال: «عليّ وفاطمة والحسن والحسين» (٣).

(١٨) عائشة وأمّ سلمة قالتا: إنّ النبي صلى الله عليه وآله ليشتمل بالعباء (٤)، و قد ألصق ظهر عليّ إلى صدره. وصدر فاطمة إلى ظهره، والحسين عن شماله، والحسن عن يمينه، ثمّ عمّهم ونفسه بالعباء، قالت عائشة: و قد لثمهم فيه حتّى جعل أطرافه تحت قدميه، و رفع طرفه إلى السّماء وأشار بسبّابته وما كاد يبين وجهه، وقال: «اللّهم! هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي، فأنا سلّم لمن سالمهم، وحرّب لمن حاربهم، اللّهم! وال من والاهم، وعاد من عاداهم، وانصر من نصرهم، واخذل من خذلهم».

قال رسول الله: «وجبريل حاضرٌ وأتمن على الدعاء» (و) (٥) قال: وأنا معكم يا محمّد؟ فقال: «نعم» (٦).

(١٩) وعن النبي ﷺ، قال للحسن: «إنّ ابني هذا سيّد» (٧).

(٢٠) وروى حديث وفد نجران:

السيد والعاقب (٨) من وجوه، حديثاً طويلاً فيه أنّه لما نزل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاكَمَكَ﴾ (٩) .. ووعدهم النبي ﷺ بالمباهلة قالت أحبار يهود - وكانت اليهود والنصارى اجتمعوا في ذلك اليوم-: إن أخرج قوماً من أصحابه فالرجل ليس بنبيّ؛ وإن أخرج قوماً من أهل بيته فهو نبيّ، فأخرج عليّاً والحسن والحسين وفاطمة، فلمّا رأوا ذلك قالوا: يا محمّد! المصالحة، فصالحهم؛ أبناءنا: الحسن والحسين.

باب في جملة من أخبار الحسن ﷺ.

١- «إيه»: اسم فعل للاستزادة من حديث أو عمل معهود.(المعجم الوسيط:٣٥).

٢- رواه عن أنس في شرح إحقاق الحق: ١٠: ٦٥١.

٣- رواه عن ابن عباس في شرح إحقاق الحق ٣: ٨، ١٩، ١٥، ١٤ و...

٤- في: «ن»: «ليشتمل على بالعباء» والمثبت من شرف المصطفى صلى الله عليه وآله.

٥- المثبت من شرف المصطفى ﷺ.

٦- رواه الخركوشي (م ٤٠٧هـ) في شرف المصطفى ٥: ٣١٩ - ٣٢٠.

٧- شرح إحقاق الحق ٢٦: ٣٥١ وما بعدها عن عدد من الصحابة.

٨- «السيد» و«العاقب» كانا من زعماء نصارى نجران الذين وفدوا على النبي ﷺ. وذهب الواحدي في أسباب النزول: ٩٩ إلى أنّ اسم «السيد»: «الأبهم» واسم العاقب: «عبد المسيح»، في حين روى عليّ بن إبراهيم في تفسيره ١: ١٠٤ رواية صرح فيها أنّ عبد المسيح رجلٌ ثالثٌ غير السيد والعاقب، كما نجد هذا القول عند الشيخ المفيد في الإرشاد ١: ١٦٦ وغيره من المصادر، وللتفصيل مجال آخر.

٩- آل عمران: ٦١ وتماها: ﴿فَمَنْ حَاكَمَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

(٢١) عن رسول الله ﷺ، قال للحسن: «إنّ ابني هذا سيّد»^(١).

(٢٢) عن أبي رافع، قال: رأيت النبي ﷺ أذن في أذن الحسن - حين ولدته فاطمة عليها السلام - بالصلاة^(٢).

(٢٣) وروي: أنّ الحسن كان عند معاوية في جماعة من قريش فذكر كلّ واحد قومه وقديمه وحديثه، والحسن ساكتٌ، فقال معاوية: يا أبا محمد^(٣) ! ما لي أراك ساكتاً؟ فوالله ما أنت بكليل اللسان، ولا مأشوب الحسب^(٤)؛ فقال الحسن: «والله ما ذكروا مكرمة حديثه ولا فضيلة قديمة إلاّ ولي محضها ووجهها»، ثمّ قال:

فِيمَ الْمِرَاءِ وَ قَدْ سَبَقْتُ مُبَرِّزاً^(٧) سَبَقَ الْجَوَادِ مِنَ الْمَدَى الْمُتَبَاعِدِ
تَحَنُّنُ الَّذِينَ إِذَا الْفُرُومُ تَخَاطَرُوا^(٨) فُرْنَا عَلَى رَغْمِ الْحُسُودِ^(٩) الْحَاسِدِ
ذَلَّتْ لَنَا رَغْمًا بِفَضْلِ قَدِيمِنَا مَضَرُّو قَوْمِنَا طَرِيقَ الْحَائِدِ^(١٠)^(١١)

ومن كلام الحسن عليه السلام

(٢٤) «مَنْ أَنَا نَا لَمْ يَغْدَمْ حَصْلَةً مِنْ أَرْزَعٍ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، وَ فَضِيلَةٌ^(١٠) عَادِلَةٌ، وَأَخٌ مُسْتَفَادٌ، وَمَجَالِسَةُ الْعُلَمَاءِ»^(١١).

(٢٥) وَقَالَ يَوْمًا لِحَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ^(١٢): «رُبَّ مَسِيرٍ لَكَ فِي عَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ».

١- مرّ تخرجه.

٢- رواه عن أبي رافع في شرح إحقاق الحقّ ١١: ٦-٧: ١٩٤٧: ٢٦٤٢٩٤: ٣٤٤.

٣- «ن»: «يا يا محمّد»، والمثبت من الحدائق الوردية.

٤- رجلٌ مأشوب الحسب: غيرٌ مخض. (لسان العرب: ١/٢١٤)

٥- برز الرجل: فاق أصحابه فضلاً. (المعجم الوسيط: ٤٨)

٦- تخاطر الرجلان: تراهنا والقرم من الرجال: السيّد المعظم (المعجم الوسيط: ٢٤٣ و٧٣٠)

٧- في الحدائق الوردية: «العدوّ الحاسد»، وهو أنسب.

٨- في المصادر: «الجاحد»، وحاد عن الشّيء: مال عنه. (المعجم الوسيط: ٢١٠)

٩- روى عنه الحدائق الوردية ١: ١٥٥-١٥٦ دون التصريح باسم الكتاب. ولمصادر أخرى راجع: شرح إحقاق الحقّ ٢٦:

٣٣: ٥٤٩: ٥٦١ باختلاف في عدد الأبيات وألفاظها.

١٠- في كشف الغمّة ٢: ٣٢: «قَصِيَّةٌ» وهو أنسب للسياق.

١١- نسبة الجاحظ في البيان والتبيين ٢: ١٣٧ إلى الإمام الحسن عليه السلام فيما نسبته الآبي في نثر الدّز: ١: ٢٣٠ إلى الإمام الحسين عليه السلام

ورواه الإربليّ مرسلًا في كشف الغمّة ٢: ٣٢ عن الإمام الحسين عليه السلام.

١٢- حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ مَالِكِ الْفُرَشِيِّ الْفَهْرِيُّ، كان من أبرز قواد جيش معاوية في حروبه ضدّ الإمام عليّ عليه السلام وكان الإمام

يلعنه بعد صلواته. راجع: قاموس الرجال: ٣: ٩٤-٩٥.

قَالَ: أَمَّا مَسِيرِي إِلَى أَبِيكَ فَلَا، قَالَ: «بَلَى، وَلَكِنَّكَ أَطَعْتَ مُعَاوِيَةَ عَلَى (دُنْيَا) (١) قَلِيلَةٍ، لَئِنْ قَامَ بِكَ فِي دُنْيَاكَ لَقَدْ قَعَدَ بِكَ فِي دِينِكَ، وَلَوْ أَنَّكَ إِذْ فَعَلْتَ شَرًّا قُلْتَ خَيْرًا كُنْتَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿خَاطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَعَآخِرَ سَيِّئًا﴾ (٢)، وَلَكِنَّكَ كَمَا قَالَ (٣): ﴿بَلَّ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ الآية (٤) (٥)

عرض موجز لترجمة الإمام الحسن عليه السلام

وهو أبو محمد الحسن بن عليّ عليه السلام، سَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ الحسن، وسَمَّاهُ سَيِّدًا فَقَالَ: «ابْنِي (٦) هَذَا سَيِّدٌ» (٧)، ذَكَرَهُ السَّيِّدُ أَبُو طَالِبٍ (٨) (٩)؛ وَكَانَ يَشْبَهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَعْلَاهُ إِلَى سُرَّتِهِ، بُويعَ لَهُ بَعْدَ مَوْتِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِثَمَانٍ بَقِيَّةً مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعِينَ، وَصَالِحَ مُعَاوِيَةَ بَعْدَ أَنْ خَرَجَ وَاسْتَأْمَنَ عِبِيدَ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَاخْتَلَفَ الْخَوَارِجُ عَلَيْهِ، فَصَالِحُهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ النَّاسُ آمِنِينَ وَالْأَمْرُ يَكُونُ بَعْدَهُ لِلْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، غَرَّةَ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ، وَسَمَّتْهُ امْرَأَتُهُ جَعْدَةَ بِنْتُ الْأَشْعَثِ بَاحْتِيَالٍ مِنْ مُعَاوِيَةَ وَوَعَدَ لَهَا مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَأَنْ يُرَوِّجَهَا مِنْ يَزِيدٍ، فَوَفَّى لَهَا بِالْمَالِ دُونَ التَّرْوِيجِ، وَتَوَفَّى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ، وَقِيلَ: سَنَةَ خَمْسِينَ، وَكَانَ أَوْصَى أَنْ يُدْفَنَ إِلَى جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا أَنْ يُخْشَى النَّزَاعَ، فَمَنَعَهُ مِرْوَانَ، فَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ (١٠)

ولمّا توفّي عليّ -رضي الله عنه- صعد الحسن المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

(٢٦) «أَيُّهَا النَّاسُ! مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي وَمَنْ لَمْ يَعْرِفَنِي أَنْبَأْتَهُ بِنَفْسِي؛ أَيُّهَا النَّاسُ! لَقَدْ دُفِنَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ رَجُلٌ لَمْ يُدْرِكْهُ الْأَوَّلُونَ بَعْلَمَ، وَلَا الْأَخْرُونَ بِحُكْمٍ، وَلَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَدَّمَهُ إِلَى حَرْبٍ فَجَبْرَيْلُ عَنْ يَمِينِهِ،

١- في المصادر: «دُنْيَا قَلِيلَةٍ».

٢- التوبة: ١٠٢.

٣- ما بين المعقوفتين سقط من «ن» ويختل المعنى بدونه فأثبتناه من المصادر الأخرى.

٤- المطففين: ١٤.

٥- الطبقات الكبرى لابن سعد ١: ٢٩٨-٢٩٩ بإسناده عن الإمام الحسن عليه السلام؛ البيان والتبيين للجاحظ ٢: ٦٢-٦٣، والعقد الفريد ٤: ١٠٥ وغيرها مراسلاً عن الإمام الحسن عليه السلام.

٦- «ابني» مصححة في حاشية الصفحة.

٧- مرّ تخرجه.

٨- الإفادة في تاريخ الأئمة السادة: ٣١.

٩- هو الناطق بالحق الهارونيّ أبو طالب يحيى بن الحسين بن هارون (٤٠٣-٤٢٤هـ)؛ من كبار أئمة الزيدية في طبرستان وحواليها؛ ينتهي نسبه إلى الإمام الحسن عليه السلام. طبع له العديد من الكتب، منها الإفادة في تاريخ الأئمة السادة. راجع ترجمته ومصادرها في أعلام المؤلفين الزيدية: ١١٢١.

١٠- إنّ عبارات الجشميّ من قوله: «وهو أبو محمد» إلى هنا قريبة إلى حدّ كبير من عبارات أبي طالب الهاروني في الإفادة: ٣١-٣٦، والظاهر أنّ الجشميّ استقى هذه المعلومات عنه.

وميكائيل عن يساره، فما يلبث حتى يفتح الله على يديه»، في كلام طويل^(١)

وجرحه بالمدائن عند خروجه إلى الشام لمحاربة معاوية سنان بن جراح الأسدي^(٢)، واستأمن جماعة من عسكره إلى معاوية، وكان بعث على مقدمته قيس بن سعد بن عبادة، فصالح معاوية.

(٢٧) وعن عمارة بن ربيعة،^(٣) قال: قال الحسين رضي الله عنه للحسن رضي الله عنه: «أجادت أنت في ما أرى من موادة معاوية؟»

قال: «نعم».

قال: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون» ثلاثاً! ثم قال: «لو لم نكن إلّا في ألف رجل لكان ينبغي لنا أن نقاتل عن حقنا حتى ندرّكه أو نموت وقد أعدرنا».

فقال الحسن رضي الله عنه: «وكيف لنا بألف رجلٍ من المسلمين؟ إني أدركك الله يا أخي أن تُفسد عليّ ما أريد أو تردّ عليّ أمري، فوالله ما ألوك و نفسي وأمة محمد ﷺ خيراً؛ إنك ترى ما نقاسي من الناس وما كان يقاسي منهم أبوك من قبلنا، حتى كان يرغب إلى الله في فراقهم كل صباح ومساء، ثمّ قد ترى ما قد صنعوا بي، أجهؤلاء ترجو أن ندرّك حقناً^(٤)؟ إنّا اليوم - يا أخي - في سعة وعدرٍ كما وسعنا العذرُ حيث قبض نبينا»، قال: فسكت الحسين رضي الله عنه^(٥).

١- رواه الكثير من الشيعة والعامة عن الإمام الحسن رضي الله عنه باختلاف يسير فراجع: شرح إحقاق الحق ٤: ٤١١-٤٢٥.

٢- كذا وفي الإرشاد للمفيد ٢: ١٢ ومقاتل الطالبين ٧٢: ٢١٥ وتاريخ البيهقي ٢: ٢١٥ وغيرها «الجرّاح بُن سنان» وهو الصحيح.

٣- عمارة بن ربيعة الجرمي: ذكره الشيخ الطوسي في أصحاب أمير المؤمنين رضي الله عنه (رجال الطوسي: ٧٦) وقد نقل نصر بن مزاحم بإسناده عنه مرّة واحدة في: وقعة صفين: ٥١١ فالرجل مجهول والرواية ضعيفة لا يعتد بها.

٤- في: «ن»: «أ فهؤلاء نجو (ترجو؟) أن ندرّك (تدرّك؟) حقناً؟»، وفي الحدائق الوردية: «فهؤلاء ترجو أن ندرّك حقناً».

٥- لم نثر على مصدر لهذه الرواية ورواه الحميد المحلي الزيدي مرسلًا عن عمارة في الحدائق الوردية ١: ١٨٠ والظاهر أنّه أخذها عن كتاب السفينة نفسه لأنه قد نقل عنه في كتابه روايات أخرى مصرّحاً باسمه تارة (الحدائق الوردية ١: ٢١، ١٤٦، ٢٣) و غير مصرّح به أخرى (المصدر نفسه ٢: ٤٠٠ - ٤٠١)؛ ونبّه هنا على أنّ هذه الرواية تعارض بوضوح ما أطبقت عليه كلمة الإمامية من عصمة الأئمة رضي الله عنهم وبرائتهم من كلّ خطأ و زلل ونقص، كما لم يكن الإمام الحسين رضي الله عنه لتخفى عليه خطورة الموقف والأجواء التي عاشها الإمام الحسن رضي الله عنه وقلة ناصره وتحاذل جيشه عن نصرته لكي يعترض عليه بهذا الكلام المجهول راويه، بل على العكس من ذلك تماماً نجد الإمام الباقر رضي الله عنه يؤكد على حقيقة ناصعة بقوله: «والله للذي صنع الحسن بن عليّ رضي الله عنهما شأنٌ لا يدرّك حقه إلاّ من شابهه» (الكافي ٨: ٣٣٠) وقال أيضاً: «ما تكلم الحسن بن عليّ رضي الله عنهما بعد استشهاده (المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٤٠١)، كما تعارض هذه الرواية وبشدة مواقف الإمام الحسين رضي الله عنه نفسه تجاه الصلح بعد استشهاد الإمام الحسن رضي الله عنه عندما اقترح عليه بعض الشيعة أن يثور في وجه معاوية؛ حيث صرح لهم بتمسكه بصلح أخيه ما دام معاوية حياً (راجع المصدرين الآتين).

وأغلب الظن أنّ هذه الرواية من ترهات المحدثين المرتزقة المدعومين من قبل بني أمية الذين حرصوا كل الحرص على أن يشوهوا سمعة السبط الأكبر المظلوم الإمام الحسن رضي الله عنه بكل ما لديهم من إمكانيات، وقد زيف هذه الخرافة أي معارضة الإمام الحسين رضي الله عنه للصلح - العديد من الباحثين، فراجع على سبيل المثال: حياة الإمام الحسن بن عليّ رضي الله عنهما لـ «باقر شريف القرشي» ١/٢: ٢٤١-٢٤٥؛ سيرة الأئمة الاثني عشر رضي الله عنهم، لـ «هاشم معروف الحسني»، ج ٣، ص: ٢١-٢٣ وغيرهما.

(٢٨) وروي: أنّ ابن عباس دخل على معاوية فقال له معاوية: هل علمت بموت الحسن عليه السلام؟ قال: لا.

فقال: كُتِبَ إلينا أنّه قد مات، قال ابن عباس: إنّ الله وإنا إليه راجعون! أما إنّ موته ليس بزائد في عمرك، ولأعملك داخل عليك في قبرك، وقام.

فقال: اجلس! فقال: ليس بيوم جلوس، وخرج يبكي وقال أبياتاً:

أَصْبَحَ الْيَوْمَ ابْنُ هِنْدٍ شَامِتًا ظَاهِرَ التَّخْوَةِ^(١) أَنْ مَاتَ الْحَسَنُ
رَحْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ، إِنَّهُ طالما أشجى ابن هند وأرن^(٢)
وَلَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ عَمْرُؤُهُ عدل رضوى وثبير وحضن^(٣)
فَإِذَا لَاقَاهُ حَيًّا رَافِعًا صوته والصدر يغلبي بالإحن
فَاسْتَرَحَ الْيَوْمَ مِنْهُ إِنَّهُ بعده نصبت لأحداث الزمن
فَارْتَمَعَ الْيَوْمَ ابْنُ هِنْدٍ أَمِنًا إنما يقمص^(٤) بالغير السمن^(٥)
فَاتَّقَ اللَّهَ وَ أَحْدَثَ تَوْبَةً إنما^(٦) كان كشيء لم يكن

١- النخوة: العظمة والتكبر. (المعجم الوسيط: ٩١٠).

٢- في: «ن»: «أون» وما أثبتناه هو الصحيح والموافق لغيره من المصادر. قال العلامة المجلسي: «أشجاه أجزه والأرن بالتحريك النشاط يقال: أرن كفرخ والأنسب هنا الفتح وكونه بتشديد التون بأن يكون من الرنين بمعنى الصياح وفاعله ابن هند بعيد» (بحار الأنوار ٤٤ : ١٥٩)

٣- «رضوى» اسم جبل قرب المدينة و«ثبير» من جبال مكة و«حضن» جبل بأعلى نجد (معجم البلدان ٢ : ٧٢-٧٣ و ٥١/٣: ٢٧١)

٤- في: «ن»: «ينهض». واختلفت المصادر في ضبط هذه اللفظة ففي الأمالي الإنيبية: «يُبْضُ»، وفي المجموع اللفي ومقتل الحسين للخوازمي وكثير غيرهما، كما أثبتنا، والظاهر أنه الصحيح.

٥- قال العلامة المجلسي: «الغير الحمار الوحشي والأهلي أيضاً، ويقال: قمص الفرس وغيره يقمص ويقمص، وهو أن يرفع يديه ويطرحها معاً ويعجن برجليه، وقمص به: أي وثب وطره. والحاصل: أنّ السمن آفة للغير بصرعه ويقتله» (بحار الأنوار: ٤٤/١٥٩).

٦- في: «ن»: «إن من» وكتبت «ما» فوق «من»، والمثبت من المصادر.

٧- روى العديد من المصادر هذه الأبيات باختلاف فيما بينها في عددها وألفاظها، كما أنّها تختلف في نقل ما جرى بين ابن عباس ومعاوية بين إيجاز في بعضها وتفصيل في آخر (راجع: الأمالي الإنيبية للمرشد بالله الشجري (٤٧٩هـ): ٥٢٣ (النسخة الموجودة ضمن: ربيع الأبرار للزمخشري (٥٣٨هـ): ٥ : ١٤٥؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوازمي (٥٦٨هـ) : ١ : ٢٠٤ - ٢٠٥؛ المناقب لابن شهر آشوب (٥٨٨هـ) : ٤ : ٤٣)، وأقدم من نُسب إليه أنه رواها محمد بن داوود بن الجراح (٢٩٦هـ) (راجع ترجمته في مقدمة المحقق على كتاب الورقة: ١٦ - ١٨) فقد صرح أمين الدولة الأفتسي (٥١٥هـ) في المجموع اللفي: ٣١٣ أنّ ابن الجراح نقل هذه الأبيات عن ابن عباس في كتابه: «الورقة» وهو مطبوع ولكن ليست فيه هذه الأبيات، والظاهر أنّها ساقطة من نسخة الكتاب. أمّا بالنسبة لقائل هذه الأبيات فقد نسبها الخوازمي وابن شهر آشوب إلى الفضل بن عباس، ونسبها الزمخشري إلى عبدالله بن عباس. وهناك تساؤل عمّا إذا كان ابن عباس متواجداً في الشام حين وفاة الإمام الحسن عليه السلام أم لا؟ راجع عنه: موسوعة عبدالله بن عباس للسيد محمد مهدي الموسوي الخراسان ٥ : ١١١ - ١٣٨ حيث استعرض المؤلف غالبية النصوص المتعلقة بهذا الحادث بالتفصيل.

يا ابن هند! إن تَذُق كأس الردى كنت في الدهر كشيء لم يكن^(٧)

(٢٩) ومن شعر الحسن عليه السلام:

مَنْ كَانَ يَأَى^(١) بِحَيْدٍ
أَوْ كَانَ يَأَى بِبَاءٍ
أَوْ كَانَ يَأَى بِزُورٍ
فَإِنَّ جَدِّي الرَّسُولُ
فَإِنَّ أَمِّي الْبِتُّوْلُ
فَزُورُنَا جَبْرِيْلُ^(٢)

من قصيدة.

ومن مقامات الحسن عليه السلام:

(٣٠) ما ذكره أبو حاتم^(٣) في أخباره:

أَنَّ مُعَاوِيَةَ فَخَرَ يَوْمًا وَالْحَسَنَ عِنْدَهُ، فَقَالَ: أَنَا ابْنُ بَطْحَاءِ مَكَّةَ، أَنَا ابْنُ أَعْرَبِهَا^(٤) جُودًا وَ أَكْرَمَهَا جُدُودًا، أَنَا ابْنُ مَنْ سَادَ قَرِيْشًا فَضْلًا نَاشِئًا وَ كَهْلًا. فَقَالَ الْحَسَنُ عليه السلام: «أَعَلَيْ تَفْخَرُ يَا مُعَاوِيَةُ؟ أَنَا ابْنُ عُرُوقِ التَّرَى، أَنَا ابْنُ مَاوَى التَّقَى، أَنَا ابْنُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى، أَنَا ابْنُ مَنْ سَادَ أَهْلَ الدُّنْيَا بِالْفُضْلِ السَّابِقِ وَالْجُودِ الرَّائِقِ وَالْحَسَبِ الْفَائِقِ، أَنَا ابْنُ مَنْ طَاعَتْهُ طَاعَةَ اللَّهِ وَ مَعْصِيَتُهُ مَعْصِيَةُ اللَّهِ، فَهَلْ لَكَ أَبٌ كَأَبِي تَبَاهِيَنِي بِهِ وَ قَدِيمٌ كَقَدِيمِي تُسَامِيَنِي فِيهِ؟ قُلْ: نَعَمْ أَوْ لَا؟» قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلْ أَقُولُ لَا وَ هِيَ لَكَ تَصْدِيقٌ، فَقَالَ الْحَسَنُ عليه السلام:

الْحَقُّ أَبْلَجُ مَا يُجِيْلُ^(٥) سَبِيْلُهُ وَ الْخَفِيُّ يَعْرِفُهُ ذُووُ الْأَبْأَابِ^(٦) (٧)

١- بأى فلان: فخر وتعظيم (المعجم الوسيط: ٣٦)

٢- نسبت الأبيات إلى الإمام الحسين عليه السلام في مقتل الحسين للخوارزمي: ١: ١٨١ في حين قال ابن شهر آشوب في المناقب ٤:

٩: «رَوَى الْحَاكِمُ فِي أَمَالِيهِ لِلْحَسَنِ عليه السلام: «ثم ذكر الأبيات، ومراده من «الحاكم» هو الحاكم الجشعبي.

٣- أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني، البصري، العلامة، المشرقي، النخوي، اللغوي، صاحب التصانيف (م ٢٥٥هـ). راجع ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٢: ٢٦٨.

٤- في «ن»: «أغرزاها»، وهو تصحيف. وفي الحدائق الوردية كما أثبتنا.

٥- أحال عليه الأمر: اشتبه وأشكل (المعجم الوسيط: ٢٦٦)

٦- ذكر البيت في كتاب العين ٤: ٣٠٦ وغيره من المصادر ولم يسم قائله.

٧- العمرون والوصايا لأبي حاتم السجستاني: ١٥٣؛ المحاسن والأضداد للجاحظ: ١٣٦-١٣٧؛ المحاسن والمساوي، للبيهقي: ٦٧؛ نزهة الناظر للحلواني: ٧٥-٧٦؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١: ١٨٥؛ المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٢١-٢٢؛ كلها عن الإمام الحسن عليه السلام باختلاف في بعض الألفاظ؛ ونسب المفاخرة ابن العربي (م ٦٣٨هـ) في محاضرة الأبرار: ٢٢٠ إلى الإمام الحسين عليه السلام ولا يبدو صحيحاً. أما الحلواني (ق ٥٥هـ) فقد رواه مراسلاً عن عامر الشعبي (م ١٠٤هـ)

ومن مقاماته:

(٣١) ما روي: أنه اجتمع عند معاوية^(١) عمرو بن العاص وعُتْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ^(٢) وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ وَالْمُعْبِرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، فقالوا: يا معاوية^(٣)! أرسل لنا إلى الحسن بن عليّ^(٤) لنسب أباه ونوجّه ونصّره، وكانوا قد تَوَاطَؤُوا عَلَى أَمْرِ وَاحِدٍ.

قال عمرو: إن الحسن عليه السلام قد أخيا أباه وَخَفَقَتِ النَّعَالُ خَلْفَهُ وَأَمَرَ فَأَطِيعَ وَقَالَ فَصَدِّقْ، وَهَذَا رَافِعُهُ إِلَى مَا (هو)^(٥) أَعْظَمُ مِنْهُ، فلو بعثت إليه فأخذنا منه النصفه كان رأياً، فقال معاوية: إني والله أخاف أن يقلدكم فلائد تبقى عليكم في قبوركم، فَوَ اللَّهُ مَا رَأَيْتُهُ قَطُّ إِلَّا وَهَيْبُ عِتَابِهِ وَخَفْتُ جَنَابَهُ، فَإِنْ بَعَثَ إِلَيْهِ أَنْصَفْتَهُ مِنْكُمْ. فقال عمرو: أ تخاف أن يأتي باطله على حقنا، أو مرضه على صحتنا؟

قال: لا. فابعثوا إليه إذن فالثوبه بما في أنفسكم، ولا تكتنوا^(٦) ولا تلجلجوا^(٧)، وصرحوا ولا تعرّضوا^(٨)، فلن ينفَعَكُم غير التصريح.

قال: فبعثوا إلى الحسن عليه السلام، فقال الرسول: أجب أمير المؤمنين معاوية، فقال: «من عنده؟» فسَمَّاهُمْ فَقَالَ: «مَا لَهُمْ؟» **﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَتْهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾**^(٩).

ثُمَّ قَالَ: يَا جَارِيَةُ أَلْبِغِينِي ثِيَابِي! ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَدْرَأُ بِكَ فِي حُورِهِمْ^(١٠)، وَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ، وَأَسْتَعِينُ بِكَ عَلَيْهِمْ فَكْفَيْهِمْ بِمَا شِئْتَ وَ أَلَيْ شِئْتَ بِحَوْلِكَ وَ قُوَّتِكَ يَا رَحْمَانُ». ثُمَّ قَالَ لِلرَّسُولِ: «هَذِهِ كَلِمَاتُ الْفَرَجِ». فَلَمَّا أَتَى مُعَاوِيَةَ رَحَّبَ بِهِ وَنَاوَلَهُ يَدَهُ، فَقَالَ الْحَسَنُ: إِنَّ التَّرْحِيبَ سَلَامَةٌ وَالْمُصَافَحَةَ أَمَانَةٌ.

وأورد القصة المحلي في الحدائق الوردية ١: ١٥٦ عن كتاب السفينة دون ذكر المصدر كما أشرنا سابقاً. وللمزيد عن الشعر الذي أنشده الإمام عليه السلام واختلاف المصادر في رواية ألفاظه راجع: شعر الإمام الحسن بن عليّ المجتبي عليه السلام: توثيق ودراسة: ٣٠ و٦٣ للباحث: عادل لعبيي سلمان الربيعي، الكلية الإسلامية الجامعة في النجف الأشرف؛ (بحث منشور على النت على العنوان التالي:

(www.iasj.net/iasj?func=fulltext&ald=113891)

١- في: «ن» فوق «معاوية»: «لعه الله، فقال».

٢- في: «ن» فوق «سفيان»: «السفلة».

٣- في: «ن» فوق «معاوية»: «لعلك الله».

٤- في: «ن» فوق «عليّ»: «عليه السلام».

٥- ما بين المعقوفتين أضفناه للضرورة النحوية، وهو موجود في الحدائق الوردية.

٦- كَتَى عن الشيء: تكلم بما يُستدلُّ به عليه ولم يصرح به. (المعجم الوسيط: ٨٠٢)

٧- تَلَجَّلَجَ فلانٌ: تَرَدَّدَ في كلامه ولم يُبَيِّن (المعجم الوسيط: ٨١٦).

٨- عَرَّضَ له بالقول: لم يبيته ولم يصرح به. (المعجم الوسيط: ٥٩٤)

٩- النحل: ٢٦.

١٠- في الحديث: اللَّهُمَّ إِنِّي أَدْرَأُ بِكَ فِي حُورِهِمْ. أي أدفع بك لتكفيني أمرهم» (لسان العرب ١: ٧٢)



قَالَ مُعَاوِيَةُ: أَجَلٌ.

فلما قعد قال له معاوية: ما أنا دعوتك، ولكن هؤلاء أخرجوني فيك حتى أرسلت إليك فدعوت لهم، وإنما دعوك ليُعرفوك أَنَّ عَثْمَانَ قُتِلَ مَظْلُوماً، وَأَنَّ أَبَاكَ قَتَلْتَهُ، فَاسْمَعْ مِنْهُمْ وَأَجِبْهُمْ، وَلَا يَمْنَعَكَ هَيْبَتِي وَلَا هَيْبَتَهُمْ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِصَلِيبِ لِسَانِكَ.

فَقَالَ الْحَسَنُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ! الْبَيْتُ بَيْتُكَ وَالْإِذْنُ فِيهِ إِلَيْكَ؛ وَاللَّهِ لَئِنْ كُنْتُ أَجَبْتُهُمْ إِلَى مَا أَرَادُوا إِنَّهُ اسْتِحْيَاءٌ لَكَ مِنَ الْفَحْشِ، وَلَكِنْ كَانُوا غَلْبُوكَ عَلَى مَا تَرِيدُ إِنَّهُ اسْتِحْيَاءٌ لَكَ مِنَ الضَّعْفِ، فَبِأَيْهِمَا تُقَرُّ وَ مِنْ أَيْهِمَا تَعْتَذِرُ؟ فَهَلَّا إِذْ أُرْسِلْتُ إِلَيْهِمْ أَنْبَأْتَنِي فَأَجِيءَ بِمَثَلِهِمْ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، عَلَى أَهْمٍ مَعَ وَحْدَتِي أَوْحَشُ مَعِي مَعِ جَمِيعِهِمْ^(١)، وَإِنَّ اللَّهَ لَوْلِيِّي، فَلْيُثْبِتُوا فَاسْمَعِ».

فبدأ عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر علياً عليه السلام، فلم يترك شيئاً من الوقوع فيه حتى عبّره بأنّه شتم أبا بكر، واشترك في دم عمر، وقتل عثمان مظلوماً، وادّعى ما ليس له بحق.

ثم قال: إنكم معشر بني هاشم لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخليفة، واستحلالكم ما حرّم الله عليكم، وحرصكم على الملك، وإتيانكم ما لا يحلّ لكم، ثم أنت يا حسن: كيف تحدّثت نفسك أنك كائن خليفة؟ وليس عندك عقل ذلك ولا رأيته؟ فكيف تراك تأتيه وأنت أحمق قريش، وفيك سوء عقل أهلك، وإني دعوتك لإسبائك وأباك ثم لا تستطيع أن تعبّره، ولا أن تُكذّبه؛ فأما أبوك فقد كفانا الله شرّه، وأما أنت ففي أيدينا تنحيز فيك؛ والله لو قتلناك ما كان في قتلك إثم من الله ولا عيب من الناس، فتكلم! وإلا فاعلم أنك وأباك من شرّ خلق الله.

ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان فقال: إنكم بني هاشم قتلتم عثمان، ثم لم تدؤه^(٢)، ولم تُقيدوا به^(٣)؛ والله ما علينا لو قتلناكم بعثمان إثم من الله، ولا لو لم من الناس، وكان من الحق أن نقتلك وأباك، فأما أبوك فقد تفرّد الله بقتله وكفاناؤه، وأما أنت فقد أقادك^(٤) الله به، إذ كان أبوك شرّ قريش (لقريش)^(٥)، أقطعهم لأرحامها، وأسفكهم لدمائها، وعليك القود في كتاب الله ونحن قاتلوك به. وأما رجاؤك الخلافة فليست قدحة أريك،

١- في: «ن»: «أوحش متي منهم من جميعهم» وفي الحدائق الوردية: «أوحش منهم مع جميعهم» والأنسب: «مع جمعهم» كما في بحار الأنوار ٤٤: ٧١ نقلاً عن الاحتجاج للطبرسي.

٢- وذى القاتل القاتل: أعطى وليّه دينه. (المعجم الوسيط: ١٠٢٢).

٣- أقاد القاتل بالقتيل: قتلته به قوداً (المعجم الوسيط: ٧٦٥) وفي: «ن» والحدائق الوردية: «تقيدونا به» وهو لا يوافق قواعد اللغة.

٤- «ن»: «أقادك» والمثبت من الحدائق الوردية.

٥- ما بين المعقوفين أضفناه من الحدائق الوردية.

ولا رجحة ميزانك^(١).

ثم تكلم الوليد^(٢) بن عقبة^(٣) فقال: إنكم بني هاشم كنتم أحوال عثمان، ولنعم الولد^(٤) كان لكم إذ كنتم أصهاره ولنعم الصهر كان لكم؛ يعرف حقكم، ويكرمكم؛ وإنكم كنتم أول من حسده ودب في قتله وفتك به، وكنتم أنتم قتلتموه، وأطعتم الناس في قتله، حرصاً على الملك، وقطيعة للرحم^(٥)، فكيف ترون الله طلب بدمه؟ وكيف ترون أنزلكم منازلكم؟ أما أبوك فقتله الله، وأما أنت فصرت إلى ما كرهت.

ثم تكلم المغيرة بن شعبة فقال: يا حسن، إن عثمان قتل مظلوماً، ولم يكن لأبيك في ذلك عذر بريء، ولا اعتذار مذنب، غير أنا ظننا^(٦) أنه راضٍ بقتله لضمه قتلته، ومكانهم منه، وكان والله طويل اللسان والسيف، يقتل الحي ويعيب الميت، وبنو أمية لبني هاشم خير من بني هاشم لبني أمية، ومعاوية خير لك منك^(٧) له.

ثم تكلم الحسن عليه السلام: فحمد الله وأثنى عليه،^(٨) ثم قال: «يا معاوية، والله ما شتني غيرك فحشاً منك وخلقاً سيئاً وبعياً علينا وعداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله قديماً وحديثاً، ولا أبداً إلا بك، ولا أقول إلا دون ما فيك:

والله لو كنت أنا وهؤلاء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وحولنا أهل المدينة لما استطاعوا أن يتكلموا بالذي تكلموا به، ولكن اسمعوا مني! أيها المألأ ولا تكلموا حقاً علمتموه ولا تصدقوا باطلاً تكلمت به:

أنشدكم الله! أتعلمون أن الرجل الذي شتمتم وتناولتم^(٩) منه اليوم قد صلى القبلتين كلتيهما وأنت يا معاوية كافر بهما وبرهما ضلالة منك، وتعبد اللات والغزى، وبائع البيعتين بيعة الرضوان وبيعة الفتح، وأنت يا معاوية بالأولى كافرٍ وبالثانية ناكث؟

أنشدكم الله! أتعلمون أن علياً لقيكم يوم الأحزاب ويوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومعناه رايته رسول الله

١- قال العلامة المجلسي: «القدحة بالكسر اسم من اقتداح النار وبالفتح للمرة و هي كناية عن التدبير في الملك واستخراج

الأمر بالنظر ورجحة الميزان كناية عن كونه أفضل من غيره في الكمالات» (بحار الأنوار ٤٤: ٨٦)

٢- في: «ن» فوق «الوليد»: «النحسة» أو «النحسة».

٣- في «ن»: «عتبة»، وهو خطأ.

٤- في «ن»: «الوالد» وما أثبتناه هو الصحيح المناسب للسياق والموافق لرواية الحدائق الوردية.

٥- في «ن»: «قطيعة الرحم».

٦- في «ن»: «طلبنا» وما أثبتناه هو المناسب الموافق لرواية الحدائق الوردية.

٧- في «ن»: «منه له»، والمثبت من الحدائق الوردية.

٨- «ن»: + «و».

٩- تناوله بلسانه: شتمه وعابه.



وَالْمُؤْمِنِينَ^(١)، وَمَعَكَ يَا مُعَاوِيَةَ لَوْ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَرِيشٍ؛ فِي كُلِّ ذَلِكَ يُفْلِحُ اللَّهُ حُجَّتَهُ، وَيُصَدِّقُ دَعْوَتَهُ، وَيُصَدِّقُ أَخْذُوتَتَهُ، وَيَنْصُرُ زَايَتَهُ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ رَاضٍ عَنْهُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا؟

وَأَنْشُدْكُمْ اللَّهَ! اتَّعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَاصَرَ قَرْيَةَ وَالنَّضِيرَ^(٢) ثُمَّ بَعَثَ عُمَرَ بِرَايَةِ الْمُهَاجِرِينَ وَسَعَدَ بْنَ مُعَاذٍ بِرَايَةِ الْأَنْصَارِ، فَأَمَّا سَعْدُ فَجِيءَ بِهِ جَرِيحاً، وَأَمَّا عُمَرُ فَرَجَعَ بِأَصْحَابِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ عِدَاً رِجَالاً يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ»، فَتَعَرَّضَ لَهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَعَلِيٌّ يَوْمَئِذٍ أَرْمَدُ^(٣)، فَدَعَاَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَأَعْطَاهَا إِيَّاهُ، فَلَمْ يَلْبَثْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ،^(٤) فَاسْتَنْزَلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْتَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ عَدُوٌّ لِلَّهِ؟

أَنْشُدْكُمْ اللَّهَ! اتَّعْلَمُونَ أَنَّ عَلِيّاً مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِمَّنْ حَرَّمَ الشَّهَوَاتِ مِنَ الدِّينِ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ﴾** الآية^(٥)، وَكَانَ فِي زَهْطٍ هُوَ عَاشِرُهُمْ، فَأَبْنَاهُمْ اللَّهُ بِأَتْنَهُمْ مُؤْمِنُونَ، وَأَنْتَ فِي زَهْطٍ قَرِيبٍ مِنْ أَوْلَيْكَ، لَعَنَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَأَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ! اتَّعْلَمُ أَنَّكَ تَسُوقُ أَبَاكَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ وَيُثَوِّدُ بِهِ أَحْوَكَ هَذَا الْقَاعِدُ: عْتَبَةُ بْنُ أَبِي سَفِيَانَ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ بَعْدَ مَا عَمِيَ أَبُو سَفِيَانَ^(٦) فَلَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْجَمَلَ وَالْقَائِدَ وَالرَّاكِبَ وَالسَّائِقَ؟

١- في «ن»: «المؤمنون»، وما أثبتناه هو الموافق لرواية الحدائق الوردية.

٢- في «ن»: «النضير».

٣- زَمَدُ الْعَيْنِ: هاجت وانتفخت و رمد فلان فهو أرمد (المعجم الوسيط: ٣٧١)

٤- هناك إشكالية تاريخية اكتنفت هذه الفقرة وقد تعرّض لها العلامة المجلسي وأوضحها قائلاً: «قوله ﷺ: «قريظة و بني النضير...» هذا إشارة إلى غزوة خيبر وفيه إشكالان: أحدهما: أن قريظة والنضير كانا من يهود المدينة، إلا أن يقال: لعل بعضهم لحقوا خيبراً، والثاني: أن سعد بن معاذ جرح يوم الأحزاب ومات بعد الحكم في بني قريظة و لم يبق إلى غزوة خيبر، والظاهر أنه ﷺ كان أشار إلى ما ظهر منه (أي الإمام علي) ﷺ في تلك الوقائع جميعاً فاشتبهه على الراوي «بحار الأنوار ٤٤: ٤٤، ٨٧). ويشار إلى أن إجماع النبي ﷺ لبني النضير وقع سنة أربع من الهجرة (تاريخ الأمم والملوك ٢: ٥٥١-٥٥٠) أو قبلها (الصحيح من سيرة النبي الأعظم ٨: ٣٧) كما أن غزوة النبي ﷺ لبني قريظة وحصارهم وقعت سنة خمس من الهجرة (الطبقات الكبرى لابن سعد ٢: ٥٧ والمصادر المذكورة فيها) ولكن قول النبي ﷺ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ...» ثم فتح الله على يدي الإمام علي ﷺ كانا في غزوة خيبر والتي وقعت سنة سبع من الهجرة (تاريخ الأمم والملوك ٣: ٩ وما بعدها؛ حكم النبي الأعظم ﷺ، ج ٦، ٢٢٣) وإن كانت للإمام علي ﷺ في غزوة بني النضير أيضاً مواقف بطولية (الصحيح من سيرة النبي الأعظم ٨: ٨٨ وما بعدها). كما أن سعد بن معاذ كان قد جرح في غزوة الخندق سنة خمس من الهجرة و توفي بعد ذلك بشهر (الإصابة في تمييز الصحابة ٣: ٧٠) فلم يكن حياً يوم خيبر وعلى كل فمن الواضح - كما أشار إليه العلامة المجلسي - وقوع السهو من الراوي في نقل هذا الحديث.

٥- المائة: ٨٧، وتماها: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعَدُّوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾**.

٦- قوله: «بعد ما عمى أبو سفيان» كذا في «ن» ولكنه لا يلائم واقع التاريخ، فإن أبا سفيان لم يكن أعمى يوم الأحزاب. وصفوة القول في هذا المجال: أن المصادر الرواية للجنة النبي ﷺ على معاوية وأبيه وأخيه - يزيد أو عتبة - على ثلاثة أقسام بالنسبة للإشارة إلى زمان اللعنة وعمى أبي سفيان: قسم صرح بأن اللعن صدر يوم الأحزاب ولكن ليس فيه الإشارة إلى «عمى أبي سفيان» (راجع على سبيل المثال: الاحتجاج للطبرسي ١: ٢٧٤؛ تذكرة الخواص: ١٨٢)، وقسم صرح فيه بعمى أبي سفيان ولكن لم يذكر فيه يوم

ونشدتك بالله!، أتعلم أنك كنت تكتب لرسول الله و كان يعجبه حسن خطك، فأرسل إليك يوماً، فقال الرسول: هُوَ يَأْكُلُ، فَأَعَادَ مَراراً، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: هُوَ يَأْكُلُ، فَقَالَ ﷺ: اللَّهُمَّ لَا تُشْبِعْ بَطْنَهُ (١)

فنشدتُك الله! ألسنت تعرفُ ذلك في تهمتك (٢) وأكلك و رغبة بطنك؟

ونشدتك بالله! أتعلم أن رسول الله ﷺ لعنَ أبا سُفْيَانَ فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ (٣): لعنه يوم لقيه خارجاً من مكة مهاجراً إلى المدينة و أبو سُفْيَانَ جَاءَ مِنَ الشَّامِ، فَوَقَعَ فِيهِ وَكَذَّبَهُ وَسَبَّهُ وَأَوْعَدَهُ وَهَمَّ أَنْ يَبْطِشَ بِهِ، فَصَدَّهُ اللَّهُ عَنْهُ (٤).

(ولعنه يوم أحد، قال أبو سفيان: اعلُ هُبَل!، فقال ﷺ: الله أعلى و أجل، فقال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي ﷺ: الله مولانا و لا مولى لكم) (٥)، و لعنة الله وملائكته ورسله

الأحزاب (راجع كنموذج: مقتل الحسين ﷺ للخوارزمي ١: ١٧٢)، وقسم لم يذكر أياً من الأمرين (راجع كنماذج: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢٨٩ نقلاً عن الزبير بن بكار (٢٥٦م) في كتاب المفارحات؛ شرح الأخبار للقاضي نعمان ٢: ١٤٧؛ الخصال للصدوق ١: ١٩١)

١- للمزيد عن مصادر قول النبي هذا، راجع: موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب ﷺ ٥: ٢٩٤-٢٩٦.

٢- حيم في الشيء: أفرط الشهوة أو الرغبة فيه (المعجم الوسيط: ٩٥٩).

٣- هناك اختلافات ملحوظة بين رواية الجشمي وغيره في بعض هذه المواطن سنشير إلى قسم منها في الهوامش الآتية.

٤- كذا ورد ذكر الموطن الأول في هذه الرواية، وفي بعض المصادر الأخرى. ثم إن هذه المواطن السبعة نقلها الصدوق في الخصال ٢: ٣٩٧ في رواية مستقلة بإسناده عن عامر بن وائلة (من الصحابة الموالين لأمير المؤمنين ﷺ؛ توفي سنة ١١٠هـ) - دون إسناد إلى معصوم - وألفاظ روايته قريبة جداً مما نقله الجشمي؛ ولكن يبدو أن الموطن الأول بالصيغة التي رواها الجشمي هنا - وروى مثله الصدوق عن عامر بن وائلة - لا يلائم واقع التاريخ إذا أخذنا في الاعتبار أن أبا سفيان كان أحد من اجتمع من المشركين في دار الندوة بمكة عند ما خططوا مؤامرة قتل النبي ﷺ (سيرة ابن هشام ١: ٤٨٠) ولم يكن راجعاً من الشام كي يلقي النبي في طريق عودته. هذا وقد ورد الموطن الأول والثاني من هذه المواطن السبعة في رواية ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٦: ٢٩٠ نقلاً عن الزبير بن بكار (٢٥٦م) في كتاب المفارحات - وهو أقدم مصدر وجدناه لهذه المفارقة - هكذا:

«أولها يوم لقي رسول الله خارجاً من مكة إلى الطائف يدعو تقيفاً إلى الدين فوقع به وسبه وسفهه وشتمه وكذبه وتوعده وهم أن يبطش به فلعهن الله ورسوله وصرف عنه، والثانية يوم العير إذ عرض لها رسول الله وهي جاثية من الشام فطردها أبو سفيان وساحل بها فلم يظفر المسلمون بما ولعهن رسول الله»، فيبدو أن مصدر الجشمي قد خلط بين المواطنين، فالموطن الأول يتعلق بهجرة النبي المشهورة إلى الطائف، بينما الثاني - أي يوم العير - يتعلق بيوم غزوة بدر وهي الغزوة التي وقعت عند عودة عير قريش بقيادة أبي سفيان من الشام. ونشير أيضاً إلى أن الموطن الأول عند الخوارزمي في مقتل الحسين ١: ١٧٣ كالتالي: «أولهن: يوم خرج إلى المدينة فلعهن» وليس فيها ذكر رجوع أبي سفيان من الشام. والظاهر وقوع السهو والوهم في المصدر الذي اعتمد عليه الجشمي. والأدق من بين هذه النصوص فيما يبدو هو نص الزبير بن بكار.

٥- ما بين المعقوفتين ساقطة من «ن» وأضفناه من الحدائق الوردية وبدونه لا تكمل مواضع اللعن السبعة



عليه^(١) ولعنه^(٢) يَوْمَ بَدْرٍ^(٣) إذ جاء أبو سفيان بجميع^(٤) قريش، فردّهم بغيظهم، فأنزل الله فيهم آيتين: سُمِّيَ أبابك في كليتهما وأصحابه كافرين، و أنت يا معاوية يومئذ مع أبيك.

ولعنه يوم الهدي معكوفاً أن يبلغ محله^(٥)، فرجع رسول الله ﷺ ولم يطف بالبيت، ولم يقض نسكه. ولعنه يوم الأحزاب: يوم جاء أبو سفيان بجمع قريش، يَوْمَ جَاءَ أَبُو سُفْيَانَ بِجَمْعِ قُرَيْشٍ وَ جَاءَ عُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرِ^(٦) بِعِطْفَانَ وَوَأَعَدَّكُمْ قَرْظَةَ وَالنُّضِيرَ^(٧)، فَكَرَعَ اللَّهُ الْفَادَةَ وَالْأَتْبَاعَ فَأَمَّا الْأَتْبَاعُ فَلَا تُصِيبُ اللَّعْنَةُ مُؤْمِناً وَأَمَّا الْفَادَةُ فَلَيْسَ فِيهِمْ مُؤْمِنٌ وَ لَا نَاجٍ.

ولعنه يوم حملوا على رسول الله ﷺ في العقبة، وهم اثنا عشر رجلاً: سبعة من بني أمية، وأبو سفيان فيهم، وخمسة من سائر قريش، لعن الله من على الثَّيْبَةَ^(٨) غير النبي ﷺ وناقته وسائقها وقائدها، فهل تردّوا عليّ مما قلت شيئاً؟

(ومنها: لعنك يوم أبوك همّ أن يسلم، فبعثت إليه بشعر معروف تنهاه عن الإسلام فهذه مواطن لعنت فيها أنت وأبوك)^(٩) ومنها: وَلَاكَ عُمَرُ الشَّامَ فَحُنْتَهُ وَ وَلَاكَ عُنْمَانُ فَتَرَبَّصْتَ بِهِ وَقَاتَلْتَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَمْرٍ كَانَ أَوْلَى بِهِ مِنْكَ عِنْدَ اللَّهِ، فلما بلغ الكتاب أجله، صار إلى خير منقلب، وصرت إلى شرّ متوى، وقد خفقت

١- في «ن»: «+ لعنه الله».

٢- في «ن» بدل «ولعنه»: «وبعث» والمثبت من الحدائق الوردية.

٣- في الاحتجاج ١: ٢٧٤: «يَوْمَ حُنَيْنٍ يَوْمَ جَاءَ أَبُو سُفْيَانَ يَجْمَعُ (بِجَمْعِ) قُرَيْشٍ وَهَوَازِنَ وَجَاءَ عُيَيْنَةُ بِعِطْفَانَ وَالْيَهُودَ فَرَدَّهُمُ اللَّهُ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا هَذَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَتَزَلُّ فِي سُورَتَيْنِ فِي كَلِمَتَيْهِمَا يُسَمِّي أَبَا سُفْيَانَ وَأَصْحَابَهُ كُفَّارًا»، ولكن الآية التي أشير إليها هي الآية ٢٥ من سورة الأحزاب، وهو قوله تعالى: ﴿رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ وهو مما نزل بشأن غزوة الأحزاب لا يوم حنين (راجع: التبيان في تفسير القرآن: ٨: ٣٣١؛ البرهان في تفسير القرآن: ٤: ٤٣٢-٤٣٤)، وفي رواية الصدوق عن عامر بن واثلة والتي أشرنا إليه آنفاً: «وَالرَّابِعَةُ يَوْمَ الحُنْدَقِ يَوْمَ جَاءَ أَبُو سُفْيَانَ فِي جَمْعِ قُرَيْشٍ فَرَدَّهُمُ اللَّهُ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَأَتَزَلُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ آيَتَيْنِ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ فَسَمَّى أَبَا سُفْيَانَ وَأَصْحَابَهُ كُفَّارًا وَمُعَاوِيَةَ مُشْرِكًا عَدُوًّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ»، وهو الصحيح. وعليه فالظاهر وقوع السهو في مصدر الجشمي ورواية الاحتجاج

٤- في «ن»: «بجمع»، والمثبت من الحدائق الوردية.

٥- إشارة إلى قوله تعالى في سورة الفتح، الآية: ٢٥: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ الْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ وَ لَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَ نِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فُتْصِيبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ يَغْيِرُ عِلْمَ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَرَيُوا لَعَذْبُنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وهو يتعلق بعمرة الحديبية الواقعة سنة ست من الهجرة حيث منع المشركون النبي ﷺ من إكمال عمرته فانتهى الأمر بالصلح

٦- في «ن»: «عتبة بن زيد»، وهو تصحيف، وهو «عينة بن حصين بن حذيفة بن بدر» الفزاري كان قائد قبيلة غطفان في حركهم ضد النبي ﷺ يوم الأحزاب». (مجمع البيان في تفسير القرآن: ٨: ٥٣٣)

٧- في «ن»: «النظير».

٨- الثَّيْبَةُ: الطريقة في الجبل كالنَّجْب، و قيل: هي العَقْبَةُ، و قيل: هي الجبل نفسه». (لسان العرب ١٤: ١٢٣)

٩- أضفناه من الحدائق الوردية، وورد مكانه في «ن»: «ومنها لعنك أنت وأبوك».

عنك^(١) من عيوبك^(٢) .

وأما أنت يا عمرو، فإن أول لؤمك^(٣) أنك وُلِدْتَ عَلَى فِرَاشٍ مُشْتَرِكٍ^(٤)، وقد احتجّ فيك خمسة من قريش: أبو سفيان بن حرب، والوليد بن المغيرة، وعثمان بن الحويرث، والنضر^(٥) بن الحارث^(٦)، والعاص بن وائل، كل واحد منهم يدّعي أنّك أبوه، فغلب عليك جزّار قريش: الأُمّهةُ حَسَباً وَأَحَبُّهَا مَنْصَباً وَأَعْظَمُهَا لَعْنَةً، ثمّ قمت خطيئاً في نادي قريش، فقلت: إني شاني محمد، فأنزل الله تعالى فيك^(٧): ﴿إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، ثمّ كُنْتُ فِي كُلِّ يَوْمٍ قَاتِلٍ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ أَشَدَّهُمْ لَهُ عَدَاوَةً وَتَكْذِيباً، ثمّ كنت من الفسقة الذين ركبوا إلى النجاشي في جعفر، فكذبك الله وردك بغيطك، فلما أخطأك ما رجوت أجلبت^(٨) على صاحبك عمارة بن الوليد فقتلته^(٩). وَأَنْتَ عَدُوٌّ بَنِي هَاشِمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَ الْإِسْلَامِ، ولسنا نلومك على حسبك، ولا نستعيبك على

١- في «ن»: «منك»، والمثبت من الحدائق الوردية.

٢- جاء في «ن» هنا نصّ قد روته المصادر في ضمن مفاخرة الإمام بصيغة ملائمة لما ذكرته قبله و بعده، ولكنّه لا يناسب مساق كلام الإمام وفق رواية الجشمي المذكورة أعلاه، ومن تمّ فضلنا أن ننقله في الهامش بنصّه:

«وشعر معاوية إلى أبيه يردّه عن الإسلام:

يا صخر! لا تُسَلِّمَن طَوْعاً فَتَفْضَحْنَا	بعد الذين بيدر أصبحوا مزقاً
جدي وخالي وعمّ الأمّ يا لهُم	قوماً وحنظلة المهدي لنا الأرقا
لا تركننّ إلى أمر يقلدنا	والراقصات به في مكة الحرقا
والموت أهون من قول السفاه لقد	خلى ابن حرب لنا العزى لنا فرقا
فإن أتيت أبنينا ما تريد ولا	نثني عن اللآت و العزى لنا عنقاً»

وبين رواية المصادر - التي سنشير إليها - لهذه الأبيات ورواية الجشمي اختلافات لم نخض غمارها ويمكن القارئ التعرف عليها بالمقارنة بينهما.

٣- «ن»: «يومك»، والمثبت من الحدائق الوردية.

٤- «مشترك» في «ن» غير واضح وقد يقرأ: «مشرك»، والمثبت من الحدائق الوردية.

٥- في «ن»: «النظير»، والمثبت من الحدائق الوردية.

٦- في «ن» والحدائق الوردية: «حارثة»، والصحيح ما أثبتناه. وهو التضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة القرشي. راجع ترجمته في الإصابة في تمييز الصحابة ٦: ٣٣٨-٣٣٩.

٧- إن المعروف بين المحدثين أنّ القائل: «إني شاني محمد ﷺ» هو العاص بن وائل السهمي أبو عمرو (راجع: أسباب النزول للواحدي: ٤٩٤-٤٩٥؛ البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٣٠٧) ولكن روى القاضي النعمان في المناقب والمناقب: ٢٠٢ أنّ عمرواً أيضاً كان يقول: «إني لأشأنه»، يعني النبي ﷺ فنزلت الآية. ومن الشواهد على تطبيق الآية على عمرو قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته إليه: «من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى الأبتَر ابن الأبتَر عمرو بن العاص شاني محمد وآل محمد في الجاهلية والإسلام» (بحار الأنوار ٣٣: ٢٢٥).

٨- الكوثر: ١ - ٣

٩- في «ن»: «احلته»، والمثبت من الحدائق الوردية.

١٠- راجع تفصيل الواقعة في العديد من المصادر، منها: سيرة ابن اسحاق: ١٦٧-١٦٩؛ تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٠؛ و..



حَبِّ^(١)، وَقَدْ هَجَوْتَ النَّبِيَّ ﷺ سَبْعِينَ بَيْتًا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَحْسِنُ الشُّعْرَ، وَلَكِنِّي أَلْعَنُهُ بِكُلِّ بَيْتٍ لَعْنَةً؛

فأما قولك في عثمان، فإنك ألهبتها عليه شائناً^(٢)، ثم هربت إلى فلسطين، فلما بلغك قتله حبست نفسك على معاوية فبعته دينك بدثيابه، ولسنا نلومك على بغضنا، وأنت القائل حيث قلت:

تقول ابنتي: أين أيسر الرحيل؟	وما السير مني ^(٣) بمستكر
فقلت: دعي مني فإني امرؤ	أريد النجاشي في جعفر
لا كويبه من عنده كية ^(٤)	أقيم بما صغر الأصغر ^(٥)
ولا أنثني عن بني هاشم	بما اسطعت في الغيب والمحضر
وعن عائب اللات في قوله	ولولا رضى اللات لم تُطِر
وإني لأشنى قريش لهم	وأقوهم فيهم بالمنكر
وأجراً قريش على عيبه	وإن كان كالدَّهَبِ الأحمَرِ
فإن بزني ^(٦) الأمر تابعته	والأ لويست له مشفري ^(٧)

وأما أنت يا عتبة، فوالله ما أنت بحصيف^(٨) فأجيبك، ولا عاقل فأعيبك، ولا فيك خير يُرثي،

١- كذا في «ن» والحدائق الوردية والعبارة مضطربة المعنى إلى حد ما، وفي الاحتجاج للطبرسي ١: ٢٧٦: «وَلَسْنَا تَلُوْمُكَ عَلَيَّ بَعْضُنَا وَ لَمْ نَعْتَابِكَ عَلَيَّ حُبْنًا وَ أَنْتَ عَدُوٌّ لِي نِي هَاشِمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَ الْإِسْلَامِ» وهو أنسب. وعلى كل ففي رواية الجشمي هنا وفي العديد من مواضع هذه المفاخرة اضطراب في اللفظ أو التواء في المعنى، مما يوحي بوقوع السقط تارة أو التقديم أو التأخير أخرى أو التصحيف أو غيرها ثالثة في المصدر الذي اعتمد عليه الجشمي.

٢- «شائناً» كذا في الحدائق الوردية، واللفظة في «ن» غير منقوطة ولا واضحة، وفي الاحتجاج للطبرسي: «أَلْهَبْتُ عَلَيْهِ نَارًا»، وهو أنسب.

٣- في «ن»: «منك»، والمنتب من الحدائق الوردية.

٤- كوي فلاناً كية: أحرق جلده بحديدة محماة ونحوها (المعجم الوسيط: ٨٠٦).

٥- صغر فلاناً صغراً: أعرض بوجهه كبراً فهو أصغر. (المعجم الوسيط: ٥١٥) وفي إيمان أبي طالب للإمام السيد فخار الموسوي: «نحو الأصغر».

٦- بز فلاناً قريته: غلبه (المعجم الوسيط: ٥٤). كذا في الحدائق الوردية واللفظة، في «ن» غير واضحة، وفي شرح نوح البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢٩٢: «فإن قبل العتب متي له» وهو أوضح وأنسب.

٧- المشفر: شفة البعير الغليظة (المعجم الوسيط: ٤٨٧).

٨- حصف فلاناً: استحکم عقله وجاد رأيه فهو حصيف. (المعجم الوسيط: ١٧٩)

ولا شرٌّ يَتَّقِي، وأما وعيدك إِيَّايَ بالقتل فَهَلَّا قَتَلْتَ الَّذِي وَجَدْتَ عَلَيَّ فَرَّجَهَا وَشَرَكْتَ فِي وَلَدِهَا، ولو كنت تستحيي من شيءٍ، أو تَقْتُلُ أحداً، لما أَمَسَكْتَهَا^(٦) بعد إذ بَعَثَ عَلَيْكَ، ولم تَعْرِ^(٧) عليها ولا عليه، فكيف يخافُك أحدٌ؟! أم كيف تُوعِدُ الناسَ بالقتل وقد تركته! ولا أَلُومُكَ عَلَيَّ سَبَّ عَلَيَّ ﷺ، وقد قَتَلَ خَالَكَ مبارزةً، واشترك هو وحمزة في جدك فقتلاه.

وأما قولك في رجائي الخلافة، فلعمري إنَّ لي لَمُلْتَمَساً^(٨)، ولكنك والله ما أنا بنظير أخيك، ولا خليفة أبيك^(٩)، وكان حقاً لك أن تستحيي من قول نصر^(١٠) بن الحجاج حيث يقول:

يا لَلرِّجَالِ لِحَادِثِ الأَزمَانِ^(١١) ولسوءِ سَاءتِ أبَا سفيانِ
تُبِيتُ عِبْدَةَ قَدَّرْتَهُ عرْشُهُ بصداقة الهدلي من لحيانِ
ألفاه معها في الفراش فلم يكن حرّاً وأمسك شرة التَّسوانِ
لله درك خَلَّ عنها إثمها ليست وعندك علمها بحصانِ
واطلب سواها حرة مأمونة أَلقتِ عليك بشقلة الديثانِ^(١٢)
لله درك إثمها مكروهة قالوا الزنى ونكاحها سيانِ
لا تَلزِمَنَّ يا عُمُيْ بِنفسِكَ حُسْنَهَا^(١٣) إن التَّسَاءَ حَبائِلُ الشَّيْطَانِ

وَأَمَّا أَنْتَ يَا وَلِيدِي، فَلَا أَلُومُكَ أَنْ تُسَبَّ عَلَيَّ وَقَدْ جَلَدَكَ فِي الحُجْرِ، وَقَتَلَ أَبَاكَ فِي الحَرْبِ صَبْرًا عَنْ أَمْرِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَيْفَ تُسَبُّهُ وَقَدْ سَمَّاهُ اللهُ تَعَالَى فِي عَشْرِ آيَاتٍ مُؤْمِنًا وَسَمَّاكَ فَاسِقًا؟! وَكَيْفَ تُسَبُّهُ وَأَنْتَ عِلْجٌ^(١٤) مِنْ أَهْلِ صَفْوَريَّة^(١٥)؟!.

١- أي فراش امرأتك. وفي الاحتجاج: «فَهَلَّا قَتَلْتَ الَّذِي وَجَدْتَهُ عَلَيَّ فَرَّجَهَا مَعَ حَلِيلَتِكَ وَقَدْ عَلَبْتَكَ عَلَيَّ فَرَّجَهَا وَشَرَكْتَ فِي وَلَدِهَا».

٢- «ن»: «أمسكتها»، وهو تصحيف، والمثبت من الحدائق الوردية.

٣- في «ن»: «لم تعد»، وهو تصحيف.

٤- في «ن» والحدائق الوردية: «إنَّ لي للملسأ»، والظاهر أنه تصحيف، وفي الاحتجاج: «فإنَّ لي فيها لمُلْتَمَساً».

٥- كذا في «ن» والحدائق الوردية، وفي الاحتجاج: «وما أنت بنظير أخيك ولا بحليفة أهلك».

٦- في «ن»: «بطر» وهو غير منقوط، والمثبت من الحدائق الوردية.

٧- في الحدائق الوردية: «لحارث الأزمان»، وهو تصحيف.

٨- «ن»: «ينقله الديان»

٩- الحدائق الوردية: «حبها».

١٠- «العلج»: الكافر؛ ويقال للرجل القوي الضخم من الكفار: «علج» (لسان العرب ٢: ٣٢٦)

١١- «صَفْوَريَّة»: ... كورة وبلدة من نواحي الأردن بالشام وهي قرب طبرية. (معجم البلدان ٣: ٤١٤) وكان الوليد بن عُقبَةَ بن أبي مُعَيطِ بن أبي عَمْرٍو بن أمية، قال المقرئ: «قال ابن الكلبي: كان أمية بن عبد شمس خرج إلى الشام فأقام بها عشر سنين،

وَأَمَّا رَعْمُكَ أَنَا فَمَتَلْنَا عُثْمَانَ، فَوَ اللَّهُ مَا اسْتَطَاعَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَنْ يَقُولَا لِعَلِيِّ ذَلِكَ، وَلَوْ اسْتَطَاعَا لِقَالَا،
وَكَأَنَّكَ قَدْ نَسِيتَ قَوْلَ شَاعِرِكَ حَيْثُ يَقُولُ:

انزل الله في كتاب عزيز في عليّ وفي الوليد قـرانا

القصيدة. (١)

وأما أنت يا مغيرة^(٢)، فو الله ما كنت حقيقاً أن تقع في هذا الكلام، إنّما مثلك مثل البعوضة حيث وقعت على النحلة فقالت لها: استمسكي فإني نازلة عنك، قالت النحلة: والله ما شعرت بوقوعك فيشوق عليّ نزلوك، ونحن والله ما شعرنا بعداوتك ولا عمّتنا إذ عرفناها، ولكن أخبرني! بأيّ الخصال تسبّ عليّاً؟ انتقاصاً في نسبه، أم بعداً من رسول الله، أم سوء بلاء في الإسلام أو جور (في) (٣) حكمه، أو رغبة في الدنيا؟ فلمن قلت واحدة

فوقع على أمة للخم يهودية من أهل صفورية يقال لها: ترنا، وكان لها زوج من أهل صفورية يهودي، فولدت له ذكوان فادّعاها أمية واستخلفه (كذا والظاهر: استلحقه) وكانه أبا عمرو، ثم قدم به مكة، فلذلك قال النبي ﷺ لعقبة يوم أمر بقتله: إنّما أنت يهودي من أهل صفورية» (إمتاع الأسماع ١٠: ٦؛ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ٩: ١٠٤-١٠٥ والمصادر المذكورة هناك)
١- روى ابن شهر آشوب عن الإمام الباقر ﷺ وكثير من المفسرين والمحدثين أنّه: «قال الوليد بن عُقبة لعليّ ﷺ أنا أخذ منك سناناً، وأبسط لسناناً، وأمألاً خشواً للكبيبة. فقال أمير المؤمنين: ليس كما قلت يا فاسق، وفي روايات كثيرة: أسكت فإمّا أنت فاسق، فنزلت الآيات (سورة السجدة: الآيات ١٨-٢٠): ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا ﴿عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ﴾ كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا ﴿الْوَلِيدُ﴾ لَا يَسْتَوِينَ ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الْآيَةَ أَنْزَلْتُ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ أَنْزَلْتُ فِي الْوَلِيدِ، وقد نسب الكثيرون إلى حسان بن ثابت نظم هذه القصّة في قصيدة نذكر منها هذه الأبيات:

أَنْزَلَ اللَّهُ وَالْكِتَابَ عَزِيزٌ فِي عَلِيٍّ وَفِي الْوَلِيدِ قُرْآنَا
فَتَبَّوْا الْوَلِيدُ مِنْ ذَاكَ فَسَقَا وَعَلِيٌّ مُبَوِّأَ إِيْمَانَا
لَيْسَ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا عَرَفَ اللَّهُ كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا حَوَانَا
سَوْفَ يُجْزَى الْوَلِيدُ حَزْبًا وَنَارًا وَعَلِيٌّ لَا شَكَّ يُجْزَى حِنَانَا

راجع: المناقب لابن شهر آشوب ٢: ١٠ وانظر أيضاً: شرح الأخبار للقاضي النعمان ٢: ٣٤٢؛ الأمالي للصدوق: ٤٩٠-٤٩١؛ الفتوح لابن أعمش ٢: ٤٩٥-٤٩٦؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢٩٣-٢٩٢ نقلاً عن الزبير بن بكار في كتاب المفارجات؛ الغدير للعلامة الأميني ٦: ٨١-٨٤ والمصادر المذكورة فيه. وبين المصادر هذه الأبيات اختلاف لم تتعرض له فراجع. ولم ترد القصيدة في ديوان حسان بن ثابت

٢- ذكر الطبرسي في الاحتجاج «عمرو بن عثمان بن عفان» في ضمن من تناول الإمام ﷺ بلسانه في هذا المجلس، وفي نقله أنّ الإمام ردّ عليه قائلاً: «وَأَمَّا أَنْتَ يَا عَمْرُو بْنَ عُثْمَانَ فَلَمْ تُكُنْ لِلْجَوَابِ حَقِيقًا بِحُجْمِكَ أَنْ تَتَّبِعَ هَذِهِ الْأُمُورَ، فَإِنَّمَا مَثَلُكَ مَثَلُ الْبُعُوضَةِ». إلى آخر ما ورد هنا في ردّ الإمام ﷺ على المغيرة
٣- ليس في «ن» ولا الحدائق الوردية. وأبنتناه من الاحتجاج لأنه أنسب.

مِنْهَا فَقَدْ كَذَّبَتْ وَخَبَتْ^(١)؛ تزعم أنّ عليّاً قتل عثمان، ولعمري لو قتله ما كنت من ذلك في شيء^(٢)،
فأما فيلكم في الأمر والملك الذي أعطيتهم فإن الله تعالى قال لحمد ﷺ ﴿وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ
وَمَتَّعَ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(٣) ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾^(٤)، والله ما نصرت عثمان حياً، ولا غضبت له ميتاً،
وما زالت الطائف دارك حتى كان أمس^(٥)، وأما اغتراضك في بني هاشم أو بني أمية فهو دعائك إلى معاوية
ونفض ثيابه وخرج.

فقال معاوية: ذوقوا، قد تهيتكم^(٦)، والله ما قام حتى أظلم عليّ البيت^(٧)، وقال معاوية شعراً:

أمرتكم أمراً فلم تسمعوا له وقلت لكم: لا تبعثن إلى الحسن
وإني ورب الراقصات عشية بركبانهما يهويان من سرّة اليمن
أخاف عليكم منه طول لسانه ويُعد مداه عند تجريره الرسن^(٨)
فلما أبيتكم كنت فيه كبعضكم وكان خطابي فيه غيباً من الغبن
فأجمعنكم بغياً عليه وغيرة وقد يعثر^(٩) العير^(١٠) المدل من اليممن
فكيف رأيتم غب^(١١) رأيي ورايكم على أنه دار السلاح على الحن
فحسبكم ما كان من نضج كفيه وحسبي وحسب المرء في القبر والكفن

وقال قثم بن العباس^(١٢):

- ١- في الحدائق الوردية: «فقد كذبت، أو جئت تزعم...».
- ٢- أشار إلى هذه المفاخرة حتى هنا الفخر الرازي (٦٠٦هـ) في المحصول في علم الأصول ٤: ٣٤٠-٣٤٢ بشكل إجمالي.
- ٣- الأنبياء: ١١١.
- ٤- الإسراء: ١٦، وتماها: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُنْرَفَهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾.
- ٥- في الاحتجاج: «وَمَا زَالَتِ الطَّائِفُ دَارَكَ تَتَّبِعُ الْبَغَايَا، وَتُحْبِي أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتُمِيتُ الْإِسْلَامَ، حَتَّىٰ كَانَ مَا كَانَ فِي أَمْسٍ وَهُوَ أَوْضَحُ، وَلَا نَسْتَبْعِدُ أَنَّ الْجَشْمِيَّ أَوْ مَصْدَرَهُ أَوْ أَحَدَ رَوَاتِهِ أَسْقَطَ جِزْءًا مِنَ الْحَدِيثِ صَوْنًا لِمَكَانَةِ الصَّحَابَةِ عِنْدَ أَهْلِ السَّنَةِ!»
- ٦- في الحدائق الوردية: «قد تبأتكم».
- ٧- إلى هنا تنتهي رواية الطبرسي في الاحتجاج ١: ٢٦٩-٢٧٨ وابن أبي الحديد في شرح نوح البلاغة نقلاً عن كتاب المفاخر للزبير بن بكار ٦: ٢٨٥-٤٩٢. وليس فيهما ما أنشده معاوية من الأبيات. ولكن روى المفاخرة إلى نهاية هذه الأبيات سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ١٨٢-١٨٤.
- ٨- جَزْرَةٌ وَجَزْرٌ به: سحبه وجذبه، والرسن: ما كان من الأزقة على أنف الدابة (المعجم الوسيط: ١١٦ و٣٤٥).
- ٩- «ن»: تحت «يعثر»: كلمة غير منقوطة، والمثبت من الحدائق الوردية.
- ١٠- في «ن» فوق العير كلمة غير واضحة ومن المحتمل أنها: «بعير».
- ١١- الغب من كل شيء: عاقبه وآخره (المعجم الوسيط: ٦٤٢).
- ١٢- هو قثم بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم: ابن عم النبي ﷺ، وأخو: عبد الله. راجع ترجمته في سير أعلام النبلاء ٤٤٠: ٣.



والله لو جننا لما قال قائلٌ
 وأنصرتُهُ منكم وأنتم عصابة
 دلفتم^(٢) بعمرو واتقوا بفحشه
 وليس يساوي عمروكم شسع نعله
 وقد كان للمرء المعطي^(٣) شاغلٌ
 وقل لأبي سفيان عتبة زفها:
 وما الأحمق الزنأ^(٤) إلا بعوضة
 ورأس خطاياهم معاوية الذي
 فلما أتاه الصقر أبصر صيده^(٥)
 أتوذي رسول الله في أهل بيته
 على غير ذنبٍ كان منا علمته

مع ابن رسول الله حرفاً مدى^(١) الدهر
 أذلَّ بحمد الله من عازب الوبر
 إلى ابن رسول الله خُزْقاً ولا ندر
 إلا لا وشسع التعلل أفضل من عمرو
 عن ابن رسول الله في العُهر والخمر
 إليك عروساً واترك الفخر في فهِر
 هوت في ذناب^(٦) الريح في جثة البحر
 يرد بطير المماء عادية الصقر
 فظلت دماء الصيد في نحره تجري
 وتوصل أرواثاً جمع من الحُمُر؟
 سوى ما قتلنا من قريش على الكفر

١- «ن»: «بدا»، وهو تصحيف، والمثبت من الحدائق الوردية.

٢- دَلَفَ إليه: أقبل عليه (المعجم الوسيط: ٢٩٣)

٣- يريد به الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

٤- الزنأ: الكثير الزنا (المعجم الوسيط: ٤٠٣)، يشير بهذا اللقب إلى المغيرة بن شعبة، وحديث زناه بأم جميل - عند ما كان والياً على البصرة من قبل عمر - مشهوراً بين أصحاب التاريخ، ولكن أسقط عمر الحد عنه ولقن الشاهد الرابع - وهو زياد بن أبيه - الامتناع عن الشهادة شكراً لأبيدي المغيرة عنده حيث وازره يوم هجموا على بيت أمير المؤمنين ﷺ، وضربوا قرة عين الرسول فاطمة الشهيذة ﷺ، فاستشهدت جزاء ذلك. و نقل ابن أبي الحديد عن المدائني أنه روى: «أَنَّ الْمَغِيرَةَ كَانَ أَرْزَى النَّاسَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ قَيْدَهُ الْإِسْلَامُ، وَبَقِيَتْ عِنْدَهُ مِنْهُ بَقِيَّةٌ ظَهَرَتْ فِي أَيَّامٍ وَلَا يَتَبَّهُ الْبَصْرَةَ» (راجع تفصيل ذلك في شرح نوح البلاغة لابن أبي الحديد ١٢: ٢٣١ - ٢٤١)

٥- في «ن»: كلمة غير منقوطة، والمثبت من الحدائق الوردية.

٦- «ن»: «صدره»، والمثبت من الحدائق الوردية.

من قصيدة طويلة^(١)، (وكانوا يهابون الحسن عليه السلام بعد ذلك حتى قبض)^(٢)، وقال غيلان بن سلمة^(٣) من قصيدة^(٤):

ألا! أبلغنا عتبي المغيرة مألگنا
وغرّك عمرو والوليد سفاهة
دعوك وأغراض الختوف^(٥) ككيرة
إلى خيبر من يمشي على الأرض حافياً
إلى حسن من غير ذنب أتى به
فسمّاك فيما كنت فيه بعوضة
فو الله ما أخطأ الذي أنت أهله
وعبت عليّاً والحوادث جمّة
عجلت إلى أمرٍ وفي عجلك الزلن
وعتبة ممّن كان فيه عسى وعلن^(٥)
إلى الحيطة الصمّة الصمّة والقائل الفعل
ومتعلّاً في الهدي والقول والعمل
إليك ولا عارٍ تجر له^(٧) العلن
وكان بهما فيما مضى يُضرب المثل
ألا ربّ حادٍ قد حدا غير ذي جمل^(٨)
فما لك في التقوى رجاء ولا أمل^(٩)

١- هذه القصيدة الغراء مما ضنّ بها الزمان علينا فلم نجد - على الرغم من البحث عنها في آلاف من المصادر - من ذكرها ولا بيتاً منها سوى الجشمي وقد نقل عنه المحلّي في الحدايق الوردية.

٢- ليس في «ن»، وأثبتناه من الحدايق الوردية.

٣- كذا «ن»، وفي الحدايق الوردية: «غيلان بن مسلمة»، ونسب القصيدة الديلمي إلى «غيلان بن سلمة» كما نسبها ابن شدقم إلى «غيلان بن علقمة الثقفي»، وما أثبتناه هو الصحيح. وهو غيلان بن سلمة بن مَعْتَب الثقفي، أسلم يوم الطائف، وكان شاعراً مقلداً (راجع ترجمته وأخباره في الأغاني ١٣: ١٤٢-١٣٧؛ معجم الصحابة لابن قانع ١٢: ٤٢٣٦-٤٢٣٨ والمصادر المذكورة في هامشه)، وهناك إشكالية حول نسبة هذه القصيدة إليه، وهي أنّ ابن عبد البرّ صرح بوفاة غيلان في آخر خلافة عمر (الاستيعاب ٣: ١٢٥٦) كما لا نجد ذكر غيلان في أحداث زمن أمير المؤمنين عليه السلام ولا قبله، فيبدو أنّه كان قد مات قبل وقوع هذه المفاخرة بسنين كثيرة فكيف نسبت القصيدة إليه؟ ولم نجد في التاريخ شاعراً آخر بهذا الاسم كي يكون هو القائل لها؟ ومن المحتمل أن يكون بعض الشيعة في العصور المتأخّرة وجد هذا الاحتجاج فنظمه ثمّ نسبت القصيدة خطأً إلى غيلان بن سلمة.

٤- لم نجد من روى هذه القصيدة قبل الجشمي؛ أمّا بعده فقد أخذ عنه المحلّي (م ٦٥٢هـ) في الحدايق الوردية وإن لم يصرح باسم كتاب السفينة؛ ورواه أيضاً الحسن بن أبي الحسن الديلمي في غرر الأخبار: ٢٥٠؛ وضامن بن شدقم الحسيني في تحفة الأزهار ١: ١٣٧ ولم يذكرنا مأخذهما. وبين هذه المصادر في العديد من ألفاظ الأبيات اختلاف لم نتعرّض له، فراجع.

٥- «عل» لغة في «لعل». (تهديب اللغة ١: ٨٠)

٦- الغرض: الهدف الذي يُرمى إليه والجمع: أغراض؛ والحنف: الهلاك والجمع حنُوف (المعجم الوسيط: ١٥٤ و ٦٥٠) وفي الحدايق الوردية: «أغراض الختوف»، وهو تصحيف.

٧- «تجر له» غير منقوطة ولا مقروءة في «ن»، والمثبت من الحدايق الوردية، وفي هامشها عن نسخة أخرى: «تحرّكه»، وفي غرر الأخبار: «ولا عذر في تجويز ذلك في العلل»، وفي تحفة الأزهار: «إليك ولا عذر تجرّيت للعمل».

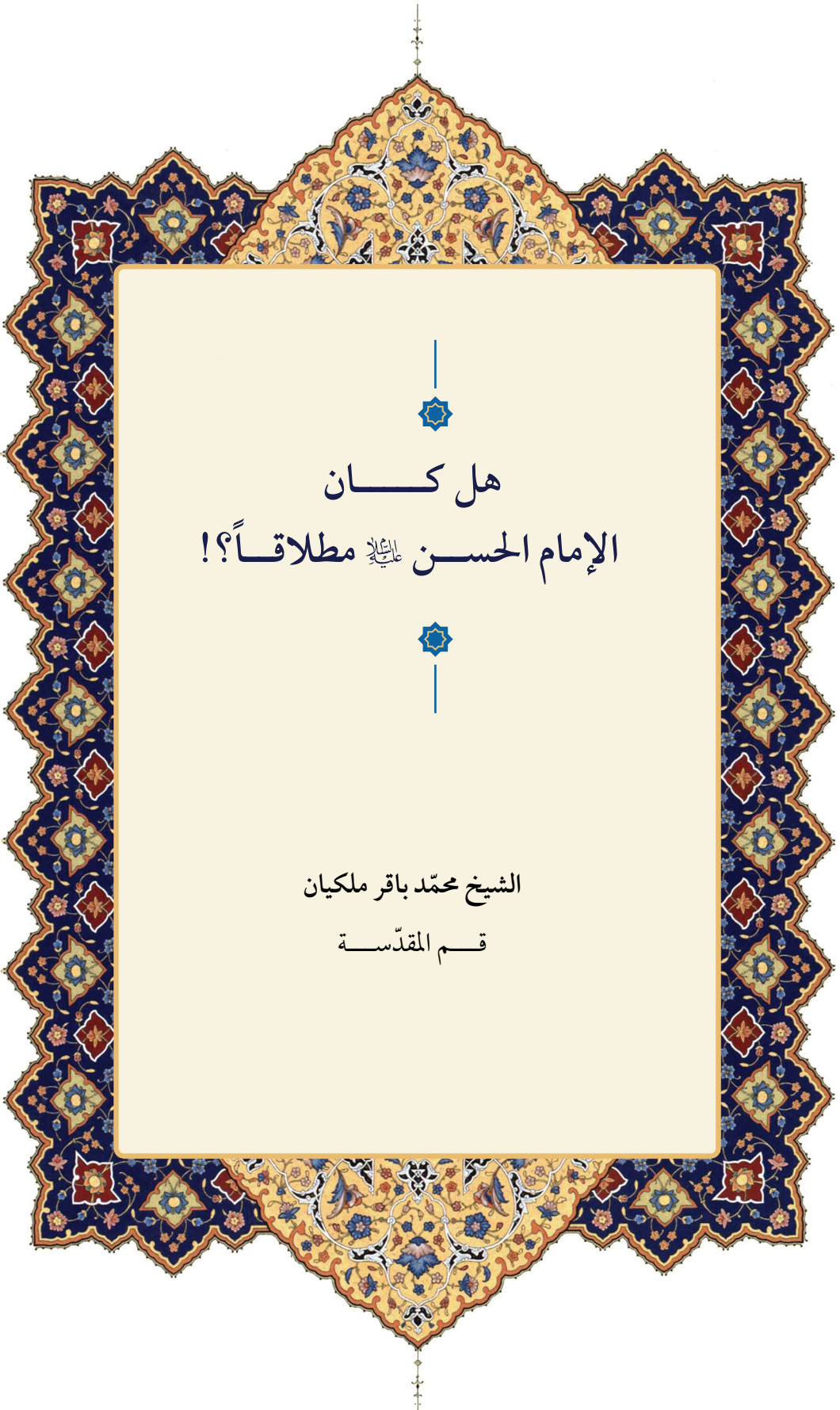
٨- «ن»: «حمل» أو «جمل»، والمثبت من الحدايق الوردية و«غرر الأخبار».

٩- روى هذه المفاخرة بكاملها إلى هنا حميد المحلّي في الحدايق الوردية ١: ١٦٥-١٥٦ ولم يصرح باسم المصدر، ولكن من المقطوع به أنّه أخذه من هذا الكتاب ونصّه يوافق نصّ الجشمي حدو القدّة بالقدّة ولا تجد بينهما إلا اختلافات يسيرة جداً. هذا وقد أشرنا إلى غالبية مصادر هذا الاحتجاج في الهوامش السابقة، وجدير بالذكر أنّ هذه المصادر تختلف فيما بينها بالزيادة والنقصان والتقديم والتأخير في بعض الفقرات، كما أنّها ليست بطبيعة الحال بمنأى عن التصحيف والتحريف، ولكن طوبينا كمشحاً عن ذكر هذه الاختلافات حيث كان الهدف الرئيس لنا تقديم نصّ محقق لهذا الاحتجاج برواية الجشمي.





مجلة الزكي العلمية
AL-ZAKI - QUARTERLY AUTHORIZED JOURNAL



هل كان
الإمام الحسن عليه السلام مطلقاً؟!

الشيخ محمد باقر ملكيان
قم المقدّسة

ملخص المقالة

قد ورد في بعض نصوص الفريقين أنّ الإمام الحسن عليه السلام كان مطلقاً. وبناء عليه فإنّ علماء الإمامية حاولوا البحث حول هذه النصوص سنداً ودلالة، فهم بين من قبل هذه النصوص ولكن حاولوا توجيهها وتفسيرها بحيث تناسب شأن الإمام الحسن عليه السلام، وبين من ردّ هذه الروايات وذهب إلى أنّها من موضوعات الأخبار.

وهذه الدراسة أيضاً من المحاولات حول هذا الموضوع.

الألفاظ الأساسية: الإمام الحسن عليه السلام، مطلق، الأخبار الموضوعية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

هل كان الإمام الحسن عليه السلام مطلقاً؟!

ورد في أخبار العامة والخاصة أنّ الإمام الحسن عليه السلام كان كثير الأزواج، وكان رجلاً مطلقاً للنساء، وقد حاول علماءنا^(١) البحث حول هذا الموضوع، ونحن أيضاً نقتفي أثرهم في هذه الدراسة، فنقول - ومن الله نستمدّ التوفيق - :

لا بدّ قبل الكلام حول هذه الروايات . سنداً ودلالة . من ذكرها سنداً ومتناً، فإليك نصّ هذه الروايات:

١- البرقي، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: أتى رجل أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام فقال له: جنتك مستشيراً؛ إنّ الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام وعبد الله بن جعفر خطبوا إليّ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «المستشار مؤتمن، أما الحسن فإنّه مطلق للنساء، ولكن زوجها الحسين فإنّه خير لابنتك»^(٢).

والرواية صحيحة سنداً نعم البرقي يروي عن الضعفاء ويعتمد المجاهيل - كما قال النجاشي^(٣) والشيخ الطوسي^(٤) - إلا أنّه ثقة.

٢- الكليني، عن حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن محمد بن زياد بن عيسى، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّ عليّاً قال وهو على المنبر: لا تزوجوا الحسن فإنّه رجل مطلق، فقام رجل من همدان فقال: بلى والله لنزوجته، وهو ابن رسول الله ﷺ وابن أمير المؤمنين عليه السلام، فإن شاء أمسك، وإن شاء طلق»^(٥). والرواية موثقة، فإنّ حميد بن زياد^(٦) والحسن بن محمد بن سماعة^(٧) واقفيان إلا أنّهما ثقتان.

٣- الكليني، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن جعفر بن

١- انظر على سبيل المثال: حياة الإمام الحسن عليه السلام لشريف القرشي ٢: ٤٥٧-٤٧٢، نظام حقوق المرأة في الإسلام للشهيد المطهري: ٣٠٦-٣٠٩، الإمام المجتبي عليه السلام للمصطفوي: ٢٢٨-٢٣٤.

٢- المحاسن ٢: ٦٠١/ ح ٢٠.

٣- رجال النجاشي: ٧٦/ الرقم ١٨٢.

٤- الفهرست: ٦٢/ الرقم ٦٥.

٥- الكافي ٦: ٥٦/ ح ٤ باب تطليق المرأة غير الموافقة.

٦- رجال النجاشي: ١٣٢/ الرقم ٣٣٩، الفهرست: ١١٤/ الرقم ٢٣٨.

٧- رجال النجاشي: ٤٠/ الرقم ٨٤، الفهرست: ١٠٣/ الرقم ١٩٣.



بشير، عن يحيى بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنَّ الحسن بن عليٍّ عليه السلام طَلَّقَ خمسين امرأة، فقام عليٌّ بالكوفة فقال: يا معاشر أهل الكوفة، لا تنكحوا الحسن فإنَّه رجل مطلق، فقام إليه رجل فقال: بلى والله لننكحنه فإنَّه ابن رسول الله ﷺ وابن فاطمة عليه السلام، فإن أعجبته أمسك، وإن كرهه طلق»^(١). والرواية ضعيفة سنداً، فإنَّ يحيى بن أبي العلاء لم يوثق^(٢).

٤- قال أبو جعفر محمد بن عليٍّ: «قال عليٌّ عليه السلام لأهل الكوفة: لا تزوجوا حسناً فإنَّه رجل مطلق»^(٣). والخبر مرسل، ثمَّ الظاهر أنَّ هذا الخبر هو الخبر الثالث نفسه. هذه روايات الإمامية في الباب.

وأما روايات العامة فهي:

١- حدَّثنا أبو بكر، قال: نا حاتم بن إسماعيل، عن جعفر، عن أبيه، قال: «قال عليٌّ عليه السلام: يا أهل العراق - أو يا أهل الكوفة - لا تزوجوا حسناً فإنَّه رجل مطلق»^(٤). ونقله ابن عساکر بهذا الإسناد، وزاد: «فقال رجل من همدان: والله لنزوجه فما رضي أمسك وما كرهه طلق»^(٥).

٢- حدَّثنا أبو بكر، قال: نا حاتم بن جعفر، عن أبيه، قال: «قال عليٌّ عليه السلام: ما زال الحسن يتزوّج ويطلق حتى حسبت أن يكون عداوة في القبائل»^(٦). ورواه البلاذري عن عباس بن هشام الكلبي، عن أبيه، عن جدّه، عن أبي صالح^(٧).

٣- ابن عساکر، قال: أنبأنا أبو سعد المطرز، انا أبو نعيم، نا سليمان بن أحمد، نا سهل بن موسى شيران الراهمزمزي، نا محمد بن عثمان بن أبي صفوان الثقفي، نا قريش بن أنس، نا ابن عون، عن محمد، «قال: خطب الحسن بن عليٍّ إلى منظور بن سيار بن زيان الفزاري ابنته، فقال: والله إنِّي لأنكحك وإنِّي لأعلم أنك طلق ملق، غير أنك أكرم العرب بيتاً وأكرمه نسباً»^(٨).

٤- وروى ابن عساکر أيضاً مسنداً عن محمد بن عمر: حدَّثني علي بن عمر، عن أبيه، عن علي بن



١- الكافي ٦: ٥٦٦ / ح ٥ باب تطليق المرأة غير الموافقة.
 ٢- الفهرست: ٢٦٣ / الرقم ٨٠٠، رجال الطوسي: ١٤٩ / الرقم ١٦٥٣.
 ٣- دعائم الإسلام ٢: ٢٥٨.
 ٤- المصنّف لابن أبي شيبة الكوفي ٤: ١٧٢.
 ٥- تاريخ مدينة دمشق ١٣: ٢٤٩.
 ٦- المصنّف لابن أبي شيبة الكوفي ٤: ١٧٢.
 ٧- أنساب الأشراف ٣: ٢٥.
 ٨- تاريخ مدينة دمشق ١٣: ٢٥١.

حسين، قال: «كان حسن بن علي مطلقاً للنساء، وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبه»^(١).

فإنك كما ترى أنّ هذه الأخبار لم تصل الى حد التواتر، كما أنّ متونها مضطربة، فورد في المحاسن: أنه أتى رجل أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام فقال له: جئتك مستشيراً؛ إنّ الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام وعبد الله بن جعفر خطبوا إليّ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «المستشار مؤتمن، أما الحسن فإنه مطلق للنساء، ولكن زوجها الحسين فإنه خير لابنتك»^(٢).

ولكن هذا الخبر قد نقله ابن عساكر هكذا: ابن عياش، عن أبيه، قال: خطب الحسن والحسين عليه السلام وعبد الله بن جعفر إلى المسيب بن نجبة ابنته الحسان، فقال لهم: إنّ لي فيها أميراً لن أعد، وأمره، فأتى علي بن أبي طالب عليه السلام فأخبره خبرهم واستشاره، فقال له عليّ: «أما الحسن فإنه رجل مطلق وليس تحظين عنده، وأما الحسين فإنما هي حاجة الرجل إلى أهله، وأما عبد الله بن جعفر فقد رضيتك لك»، فزوجه المسيب ابنته^(٣).

فهذه الروايات طائفتان:

ورد في طائفة منها أنّ أمير المؤمنين عليه السلام نهي أن يزوّج أهل العراق الإمام الحسن عليه السلام لأنه مطلق.

وورد في طائفة أخرى أنّ الإمام الحسن عليه السلام طلق خمسين امرأة.

وكيفما كان، فإنّ هنا اتجاهين حول هذه الأخبار:

الاتجاه الأول: ثبوت هذه الأخبار، وحملها على محمل يليق بشأن الإمام الحسن عليه السلام؛ فإنّ كثرة زواجه وطلاقه عليه السلام ليس لإجابة داعي الشهوة وإشباعها؛ فعوذ بالله من التفوّه بأمثال هذا فيمن أذهب الله عنه الرجس.

قال المجلسي الأول: الظاهر أنّ كثرة طلاق سيّد شباب أهل الجنّة أجمعين كانت لعدم ملائمة أخلاقهنّ، ووصل إليه عليه السلام ما وصل بسبب امرأته لعنها الله وأباها الأشعث^(٤).

وهذا يظهر من الشيخ الكليني عليه السلام أيضاً حيث أورد بعض هذه الروايات في باب بهذا العنوان: باب تطبيق المرأة غير الموافقة^(٥).

١- تاريخ مدينة دمشق ١٣: ٢٥١.

٢- المحاسن ٢: ٦٠١/ح ٢٠.

٣- تاريخ مدينة دمشق ٢٧: ٢٦١. وانظر: أنساب الأشراف ١٣: ١٨١.

٤- روضة المتّقين ٩: ٥٠.

٥- الكافي ٦: ٥٦/ح ٤-٥.

وأورد عليه المحقق البحراني عليه السلام بقوله: ولا يخفى بعده، لأنه لو كان كذلك لكان عذراً شرعياً، فكيف ينهى أمير المؤمنين عليه السلام عن تزويجه والحال كذلك؟! وبالجملة: فالمقام محل إشكال، ولا يحضرنى الآن الجواب عنه، وحبس القلم عن ذلك أولى بالأدب^(١).

والأتجاه الثاني، ولعله الصواب: القول بافتعال تلك الأحاديث من قبل خصوم الإمام عليه السلام ليشوهوا بذلك سيرته.

ويشهد لذلك - أو يؤيده - أمور:

الأول: ضعف أسانيد أكثر النصوص الواردة في المقام، فأصح ما ورد في الباب ما ورد عن البرقي، مع أنه يروي عن الضعفاء ويعتمد المراسيل^(٢).

الثاني: تعارضها في عدد الزوجات

فما ورد في عدد أزواجه عليه السلام هكذا:

١. إنه تزوج خمسين امرأة^(٣).

٢. تزوج سبعين حرة^(٤).

٣. أحصن تسعين امرأة^(٥).

٤. إنه تزوج مائتين وخمسين امرأة^(٦).

٥. قيل: إنه تزوج ثلاثمائة^(٧).

والاضطراب في هذا - مضافاً إلى ضعف سند أكثر هذه الأقوال، سيما القول الأخير، فإنه منقول بصيغة التمرير عن أبي طالب المكي وهو صوفي منحرف، وهكذا القول الرابع - يوجب التردد في ما ورد في النصوص.



١- الحدائق الناضرة ٢٥: ١٤٨.

٢- رجال النجاشي: ٧٦ / الرقم ٨٢.

٣- الكافي ٦: ٥٦٦ / ح ٥ باب تطليق المرأة غير الموافقة.

٤- دلائل الإمامة: ١٦٣، الدر النظيم: ٥١٥، العدد القوية: ٣٥٢، الوافي بالوفيات ١٢: ٦٨.

ثم إنه احتمال مادونع أن السبعين محرّف التسعين. انظر (جانشيني محمد): ٥٣٣.

٥- تاريخ مدينة دمشق ١٣: ٢٤٩، سير أعلام النبلاء ٣: ٢٦١.

٦- قوت القلوب ٢: ٢٤٦، وعنه في مناقب آل أبي طالب ٤: ٣٠٠.

٧- قوت القلوب ٢: ٢٤٦، وعنه في مناقب آل أبي طالب ٤: ٣٠٠.

أضف إلى ذلك أنّ ما ورد في تسمية أزواجه لم يصل إلى هذه الأعداد، بل أقلّ عنها كثيراً؛ فإنّه قد ذكر المؤرّخون أنّ من زوجاته: خولة الفزارية، وجعدة بنت الأشعث، وعائشة الخنعمية، وأمّ اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي، وأمّ بشير بنت أبي مسعود الأنصاري، وهند بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، وأمّ عبد الله وهي بنت الشليل بن عبد الله أخو جرير البجلي، وامرأة من بني ثقيف، وامرأة من بني عمرو بن أهيم المنقري، وامرأة من بني شيبان من آل همام بن مرة.

قال المحقّق التستري رحمته الله: المسّميات من أزواجه عليها السلام: خولة بنت منظور بن زياد الفزارية؛ وأمّ إسحاق بنت طلحة؛ وأمّ بشر بنت أبي مسعود الأنصاري؛ وهند بنت سهيل بن عمرو؛ وحفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر؛ وامرأة من كلب؛ وامرأة من ثقيف؛ وامرأة من بنات علقمة بن زرارة؛ وامرأة من بني شيبان من آل همام بن مرة؛ وجعدة بنت الأشعث؛ وبنت الشليل أخو جرير بن عبد الله البجلي؛ نقلهنّ ابن أبي الحديد عن المدائني ^(١).
وامرأة من بنات عمرو بن أهتم المنقري يقال لها: «أمّ حبيب»، واسم أهتم جدّها سنان، وإمّا سمّي أهتم لأنّ قيس بن عاصم ضرب فمه بقوس فهتمّ أسنانه؛ ذكرها ابن قتيبة ^(٢).

وأسماء بنت عطار بن حاجب التميمي، بعد قتل عبيد الله بن عمر عنها، ذكرها الطبري ^(٣).

وبنت عمير بن مأمون، وهي عنوان «تحفة الصائم شيطان» من الخصال من باب اثني عشر ... عن عمير بن مأمون - وكانت ابنته تحت الحسن - عن الحسن بن عليّ عليه السلام ^(٤).

وأمّ كلثوم بنت الفضل بن عباس، ذكرها الزبير في نسب قريش ^(٥) ^(٦).

والدكتور مادلونغ أيضاً لم يذكر أكثر من إحدى عشر امرأة في أزواجه ^(٧).

وربّما تجاوز هذا العدد بقليل، وهو كما ترى لا يمت إلى الكثرة المزعومة.

الثالث: أنّ ما ورد في عدد أولاده ذكوراً وأناتاً لا ينسجم مع ما ورد في عدد أزواجه:

تمّ لو سلّمنا أنّه عليه السلام كثير الزواج والطلاق، فعليه لا بدّ أن ينسجم عدد أولاده وأصهاره مع عدد الأزواج، مع

١- شرح نهج البلاغة ١٦: ٢١.

٢- المعارف: ٦٩.

٣- تاريخ الطبري ٥: ٣٧.

٤- الخصال: ٦١.

٥- نسب قريش: ٢٨.

٦- رسالة في تواريخ النبي والآل عليهم السلام: ٧٢.

٧- انظر تفصيل كلامه في (جانشيني محمد): ٥٢٣ - ٥٢٨.



أن أكبر عدد ذكره لأولاده هو ٢٢ وأقله ١٢، ولم يذكر أيضاً في كتب التاريخ أن له أكثر من ثلاثة أصهار. وإليك بعض كلمات أرباب التواريخ والسير في عدد أولاده:

قال الشيخ المفيد عليه السلام: أولاد الحسن بن علي عليه السلام خمسة عشر ولداً ذكراً وأنثى:

زيد بن الحسن، وأختاه أم الحسن وأم الحسين، أمهم أم بشير بنت أبي مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية.

والحسن بن الحسن؛ أمه خولة بنت منظور الفزارية.

وعمر بن الحسن، وأخوه القاسم وعبد الله ابنا الحسن؛ أمهم أم ولد.

وعبد الرحمن بن الحسن أمه أم ولد.

والحسين بن الحسن الملقب بالأثرم وأخوه طلحة بن الحسن وأختهما فاطمة بنت الحسن أمهم أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي.

وأم عبد الله وفاطمة وأم سلمة ورقية بنات الحسن عليه السلام لأمهات أولاد شتى^(١).

وقال الطبرسي: له من الأولاد ستة عشر ولداً ذكراً وأنثى:

زيد بن الحسن، وأختاه أم الحسن، وأم الحسين، أمهم أم بشير بنت أبي مسعود الخزرجية.

والحسن بن الحسن أمه خولة بنت منظور الفزارية.

وعمر بن الحسن وأخوه: عبد الله، والقاسم ابنا الحسن قتلاً مع الحسين عليه السلام بكريلاء، أمهم أم ولد.

وعبد الرحمن بن الحسن أمه أم ولد.

والحسين بن الحسن الملقب بالأثرم، وأخوه طلحة، وأختهما فاطمة بنت الحسن، أمهم أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي.

وأبوبكر قتل مع الحسين عليه السلام.

وأم عبد الله، وفاطمة، وأم سلمة، ورقية؛ لأمهات أولاد شتى^(٢).

١- الإرشاد ٢: ٢٠٠.

٢- إعلام الوري بأعلام الهدى ١: ٤١٦.

وقال ابن شهر آشوب: وأولاده ثلاثة عشر ذكراً وابنة واحدة:

عبد الله، وعمر، والقاسم؛ أمهم أم ولد.

والحسين الأثرم، والحسن؛ أمهما خولة بنت منظور الفزارية.

وعقيل، والحسن؛ أمهما أم بشير بنت أبي مسعود الخزرجية.

وزيد، وعمر من الثقفية، وعبد الرحمن من أم ولد.

وطلحة، وأبوبكر؛ أمهما أم إسحاق بنت طلحة التيمي.

وأحمد، وإسماعيل، والحسن الأصغر.

ابنته: أم الحسن فقط عند عبد الله، ويقال: وأمّ الحسين، وكانت من أم بشير الخزاعية.

وفاطمة؛ من أم إسحاق بنت طلحة.

وأمّ عبد الله وأم سلمة ورقية؛ لأمهات أولاد^(١).

ونقل الإربلي عن ابن خشاب أنه قال: ولد له أحد عشر ولداً وبنثاً.

أسماء بنية: عبد الله، والقاسم، والحسن، وزيد، وعمرو، وعبد الله، وعبد الرحمن، وأحمد، وإسماعيل، والحسين، وعقيل.

وأمّ الحسن فاطمة، وهي أم محمد بن علي الباقر^(٢).

قال المحقق التستري: ونقل سبط ابن الجوزي عن الواقدي وهشام في ولده عليه السلام اثني عشر ذكراً: عليّين

أكبر وأصغر، وحسنًا، وحسينًا، وعقيلًا، وإسماعيل، وأحمد، وزيدًا، وقاسمًا، وعبد الله، وجعفرًا، وعبد الرحمن،

وثلاث بنات: فاطمة، وسكينة، وأمّ الحسن^(٣).

وعن كاتب الواقدي: ستة عشر ذكراً وخمس بنات، أسقط «سكينة»، وزاد أم الخير، وأمّ سلمة، وأمّ عبد

الله، كما زاد في البنين: محمد بن أكبر وأصغر، ويعقوب، وأبا بكر، وحمزة^(٤).

١- مناقب آل أبي طالب ٤: ٣٠.

٢- كشف الغمة ١: ٥٧٦.

٣- تذكرة الخواص: ٢١٤.

٤- تذكرة الخواص: ٢١٤.



وفي (نسب قريش) لمصعب الزبيري: ولدت أم كلثوم بنت الفضل بن عباس للحسن عليه السلام محمداً، وجعفرأ، وحمزة، وفاطمة، درجوا^(١).

فكما ترى أنّ ما ذكروا في أولاده لا ينسجم مع تعداد أزواجه.

وقال بعض المعاصرين في هامش (بحار الأنوار): إنّ ما ذكّر في كثرة أزواجه لا يصحّ في العقول بوجه من الوجوه:

وذلك لأنّ أولاده المذكورين بأسمائهم على اختلاف في عددهم بين ١٥ - ٢١ إنّما هم من عشرة من أزواجه عليه السلام، قد ستاهن أهل السير، وهذه النسبة بين عدد الأزواج والأولاد، هي المتعارف المعتاد، فلونزوح مائتين وخمسين امرأة أو ثلاث مائة امرأة، كان لا بدّ أن يتولّد منهنّ أكثر من مائتي ولد ذكر وأنثى على الأقلّ بعد فرض العقم في جمع منهنّ.

ولا يحتمل العزل منهن، لأنّه عليه السلام إنّما كان يتزوّد الشابّة من النساء والأبكار رغبة في مباضعتهنّ، والالتذاذ من المباذعة لا يتحقّق مع العزل؛ كما لا يخفى.

على أنّ الرجل إنّما يعزل عن المرأة مخافة أن يولدها، وذلك إمّا لنقص في حسنها أو مخافة العيلة، أمّا ناقصة الحسب فلم يكن ليرغب فيها مثل الحسن السبط عليه السلام مع شرفه الباذخ، ولم يذكر في شيء من كتب السير أنّه رغب في خضراء الدمن، وإنّما كان يخطب الأشراف من النساء أباً وأمّاً.

وأما خوف العيلة، فهو الذي كان يباري بجوده وفضله السحاب، وقد روي عن ابن سيرين - كما في (الحلية) للحافظ أبي نعيم - أنّه قال: تزوج الحسن بن عليّ عليه السلام امرأة فأرسل إليها بمائة جارية مع كلّ جارية ألف درهم.

وعن الحسن بن سعيد، عن أبيه، قال: متع الحسن بن عليّ عليه السلام امرأتين - يعني حين طلّقهما - بعشرين ألفاً وزقاق من غسل، فقالت إحدهما: متاع قليل من حبيب مفارق. ونقل ابن شهرآشوب أنّه تزوّج جعدة بنت الأشعث وأرسل إليها ألف دينار.

فهذا الرجل الذي ينفق كيف يشاء لا يخاف العيلة وكثرة الأولاد، كيف؟! وقد قال جدّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «تناكحوا تناسلوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة ولوبالسقط؟!»، أو كيف يعزل وإِنَّه يعلم بشرى القرآن المجيد بكوثر من نسل رسول الله منه ومن أخيه الحسين؟! أكان يعزل نطفته رغباً لتلك البشارة؟ كلا وكلا.

والحاصل: أنه لا يصحّ في حكم العقول أن يتزوَّج ثلاثمائة امرأة ولا يولد منهن إلا عشرة^(١).

الرابع: أن ما ذكر من كون الإمام المجتبي عليه السلام مطلقاً ينافي ما ذكر في فضائله، فقد ورد فيه: «أنت سيّد شباب أهل الجنّة»^(٢)، وأنّ النبي ﷺ قال فيه: «اللهم إني أحبّه فأحبّه وأحبّ من يحبّه»^(٣).

وأما الطلاق في نفسه ومن أيّ رجل مسلم، فهو أبغض الحلال عند الله^(٤) ويهتّر منه العرش^(٥)، بل إن الله عليه السلام يبغض كلّ مطلق^(٦) وذوّاق^(٧)، فهل يمكن إثبات ذلك لمسلم معتقد بالمعارف الدينية والأحكام الشرعية فضلاً عن كونه إماماً معصوماً؟! فكيف يمكن أن نجتمع بين ما ورد من كونه عليه السلام سيّد شباب أهل الجنّة مع أنه يفعل ما يهتّر منه العرش ويبغضه الله عليه السلام؟! وكيف نجتمع بين حبّ النبي ﷺ وإيّاه عليه السلام مع أنه مبغوض عند الله عليه السلام لكونه مطلقاً وذوّاقاً؟!.

الخامس: قد ورد فيه عليه السلام: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٨) إلا أنه مع ذلك مبغوض عند الله عليه السلام لكونه مطلقاً! بل كيف يمكن القول بتطهيره مع أنه عليه السلام لم يراع ما يراعي كلّ مسلم معتقد بالمعارف الدينية والأحكام الشرعية!.

السادس: أن ما ورد فيه عليه السلام من كونه مطلقاً منافٍ لما ورد في أحواله المعنوية، فلاحظ جملة منها:

١. كان إذا توضّأ ارتعدت مفاصله واصفرّ لونه، فقليل له في ذلك، فقال: «حقّ على كلّ من وقف بين يدي ربّ العرش أن يصفرّ لونه وترتعد مفاصله»^(٩).

١- بحار الأنوار ٤٤: ١٦٩ / الهامش (١).

٢- مسند أحمد بن حنبل ٣: ٣، ٣٩١: ٥، سنن ابن ماجه ١: ٤٤٠ / ح ١١٧، سنن الترمذي ٥: ٣٢١ / ح ٣٨٥٦، ٣٢٦: ٥ / ح ٣٨٧٠، المستدرک ٣: ١٦٧، ٣: ٣٨١، صحيح ابن حبان ٥: ٤١٢.

٣- مسند أحمد بن حنبل ٢: ٢٤٩، ٢: ٣٣١، صحيح البخاري ٣: ٢٠، ٧: ٥٥، سنن ابن ماجه ١: ٥١ / ح ١٤٢، صحيح ابن حبان ٥: ٤١٧.

٤- الكافي ٦: ٥٤ / ح ٢.

٥- مكارم الأخلاق: ١٩٧.

٦- الكافي ٦: ٥٥ / ح ٤.

٧- الكافي ٦: ٥٤ / ح ١، ٦: ٥٥ / ح ٤.

٨- الأحزاب: ٣٣.

٩- مناقب آل أبي طالب ٤: ١٤.

٢. وبسند صحيح عن الصادق عليه السلام: «أنت حجّ عشرين حجة ماشياً على قدميه»^(١).

٣. وعن الصادق عليه السلام، قال: «حدّثني أبي، عن أبيه عليه السلام: أنّ الحسن بن عليّ عليه السلام كان أعبد الناس في زمانه وأزهدهم وأفضلهم، وكان إذا حجّ ماشياً، وربما مشى حافياً، وكان إذا ذكر الموت بكى، وإذا ذكر البعث والنشور بكى، وإذا ذكر المرور على الصراط بكى، وإذا ذكر العرض على الله شهق شهقة يُعشى عليه منها، وكان إذا قام في صلاته ترتعد فرائضه بين يدي ربّه عز وجل، وكان إذا ذكر الجنة والنار اضطرب اضطرب السليم، وسأل الله الجنة، وتعوّذ بالله من النار»^(٢).

فهل يمكن الجمع بين هذه النصوص مع ما ورد من كونه مطلقاً، أعني يفعل ما يبغضه الله مراراً؟!!

السابع: أنّ ما ورد فيه عليه السلام من كونه مطلقاً مناف لما ورد في أحواله الاجتماعية، فروى البلاذري، عن المدائني، عن محمد بن فراء العبدي، عن أبي سعيد: أنّ معاوية قال لرجل من أهل المدينة من قريش: أخبرني عن الحسن، فقال: يا أمير المؤمنين، إذا صلى الغداة جلس في مصلاه حتّى تطلع الشمس، ثمّ يساند ظهره فلا يبقى في مسجد رسول الله ﷺ أحد له شرف إلاّ أتاه، فيتحدّثون عنده، حتّى إذا ارتفع النهار صلى ركعتين، ثمّ ينهض فيأتي أمّهات المؤمنين فيسلم عليهنّ فرمّا أتحفنه، ثمّ ينصرف إلى منزله، ثمّ يروح إلى المسجد فيصلّي ويتحدّث الناس إليه، فقال معاوية: ما نحن معه في شيء^(٣).

فهذه سيرته اليومية، فكيف يمكنه عليه السلام أن يتزوّج السبعين أو التسعين أو ...؟!!

أضف إلى ذلك أنّ الإمام المجتبي عليه السلام كان عمره ٤٦ أو ٤٧ سنة لا أكثر، فإن كان زواجه الأول في العشرين من عمره الشريف فيجب أن يكون هذا العدد من الزواج والطلاق قد وقع في مدة ٢٦ سنة^(٤)، مع أنّه عليه السلام كان في فترة الخمس سنوات من حكومة أمير المؤمنين عليه السلام قد اشترك في جميع حروبه عليه السلام النهروان والجمل وصفين، وأتته عليه السلام قد حجّ ماشياً مرّة من المدينة، فمع كلّ هذا كيف يمكن أن تكون له الفرصة لكثرة الطلاق والزواج!!

الثامن: أنّ بعض ما ورد في طلاقه عليه السلام بعض أزواجه ينافي ما هو المقرّر في فقه أهل البيت عليه السلام، أي لا بدّ من

١- تهذيب الأحكام ١٢:٥ / ح ٢٩.

٢- عدة الداعي ونجاح الساعي: ١٣٩.

٣- أنساب الأشراف ٣: ٢١.

٤- بل ظاهر بعض النصوص أنّ كثيراً من زواجه عليه السلام والطلاق قد وقع في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة، فورد في الكافي أنّه: قام عليّ عليه السلام بالكوفة فقال: «يا معاشر أهل الكوفة، لا تنكحوا الحسن فإنّه رجل مطلق».. الحديث. (الكافي ٥: ٥٦٥ / ح ٥).

الحكم بكونه مجموعاً.

منها ما رواه ابن عساکر مسنداً عن سويد بن غفلة، قال: كانت الخنعمية تحت الحسن بن علي عليه السلام، فلما أن قتل علي عليه السلام وبويع الحسن بن علي عليه السلام دخل عليها الحسن بن علي عليه السلام، فقالت له: ليهنتك الخلافة، فقال الحسن: «أظهرت الشماتة بقتل علي عليه السلام؟! أنت طالق ثلاثاً»، فتلقت في ثوبها وقالت: والله ما أردت هذا، فمكث حتى انقضت عدتها وتحولت، فبعث إليها الحسن بن علي عليه السلام ببقية من صداقها، ومتمعة عشرين ألف درهم، فلما جاءها الرسول ورأت المال قالت: متاع قليل من حبيب مفارقي ^(١).

مع أنّ المقرّر عن أهل البيت عليهم السلام أنّ من طلق مرتين أو ثلاثاً أو أكثر مرسله من غير رجعة وقعت واحدة ^(٢). ومع ذلك كلّ لا تظمن النفس بصحة هذه النصوص، بل الظاهر أنّها من مجموعلات أعدائهم عليهم السلام.

ويشهد للقول باختلاق هذه الأخبار أنّ الروايات الواردة في هذا الباب مروية عن الصادق عليه السلام، فلماذا لم يتعرّض لها الإمام السجّاد أو الباقر عليهم السلام؟! فماذا قصد الإمام الصادق عليه السلام من بيان ذلك بعد مضي قرن من استشهاد الإمام المجتبي عليه السلام؟ لعلّ ذلك يرتبط بما جرى من مثله على لسان المنصور الدوانيقي، فإنّه قال لأهل خراسان - على ما نقل عنه الطبري - : يا أهل خراسان، أنتم شيعتنا وأنصارنا، وأهل دولتنا، ولوبايعتم غيرنا لم تبايعوا من هو خير منا، وإنّ أهل بيتي هؤلاء من ولد علي عليه السلام بن أبي طالب تركناهم - والله الذي لا إله إلا هو - والخلافة فلم نعرض لهم فيها بقليل ولا كثير، فقام فيها علي عليه السلام بن أبي طالب فتلطخ وحكّم عليه الحكّمين، فافتقرت عنه الأمة واختلفت عليه الكلمة، ثمّ وثبت عليه شيعته وأنصاره وأصحابه وبطانته وثقاته فقتلوه، ثمّ قام من بعده الحسن بن علي عليه السلام، فوالله ما كان فيها برجل، قد عرضت عليه الأموال فقبلها، فدرّس إليه معاوية: إيّ أجعلك وليّ عهدي من بعدي، فخدعه فانسلك له ممّا كان فيه وسلّمه إليه، فأقبل على النساء يتزوّج في كلّ يوم واحدة فيطلقها غد، فلم يزل على ذلك حتى مات على فراشه ^(٣).

والجدير بالذكر أنّ هذه المقالة كانت حينما أخذ المنصور عبد الله بن حسن وإخوته والنفر الذين كانوا معه من أهل بيته.

١- تاريخ مدينة دمشق ١٣: ٢٥٠.

٢- الكافي ٦: ٧٠ - ٧١ باب من طلق ثلاثاً على طهر بشهود في مجلس أو أكثر إنّها واحدة؛ تحذيب الأحكام ٨: ٥٢ - ٥٤ باب أحكام الطلاق؛ الاستبصار ٣: ٢٨٥ - ٢٩١ باب أنّ من طلق امرأته ثلاث تطليقات مع تكامل الشرائط في مجلس واحد وقعت واحدة؛ وسائل الشريعة ٢٢: ٦١ - ٧٢ باب أنّ من طلق مرتين أو ثلاثاً أو أكثر مرسله من غير رجعة وقعت واحدة مع الشرائط، وبطل لا معها.

٣- تاريخ الطبري ٦: ٣٣٣ - ٣٣٤. وقريب منه في مروج الذهب ومعادن الجوهر ٣: ٣٠.

ويشهد لذلك أنّ أحد الأخبار في هذا الباب^(١) روي عن يحيى بن أبي العلاء، وهو - كما قال النجاشي^(٢) - كان قاضياً بالري في عهد المنصور.

نعم، من الممكن - كما قال بعض المعاصرين - أنّه تزوّج ما بين ١٠ إلى ١٥ امرأة غير ما ملكت يمينه عليه السلام، وحيثما لا تكون تحته أكثر من أربعة حرائر كان عليه أن يطلق زوجة وينكح أخرى. ولذلك اشتهر بكونه مطلقاً، لما لم يكن يعهد ذلك من غيره، فزاد العامة من الناس على سيرتهم في سرد القضايا فقالوا: إنّه تزوّج كذا وكذا، من غير روية ولا دراية^(٣).



مجلة الزكي العلمية
AL-ZAKI - QUARTERLY AUTHORIZED JOURNAL

١- الكافي ٦: ٥٦ / ح ٥ باب تطليق المرأة غير الموافقة.

٢- رجال النجاشي، الرقم ٣٢٧

٣- بحار الأنوار ٤٤: ١٦٩ / لهامش (١).

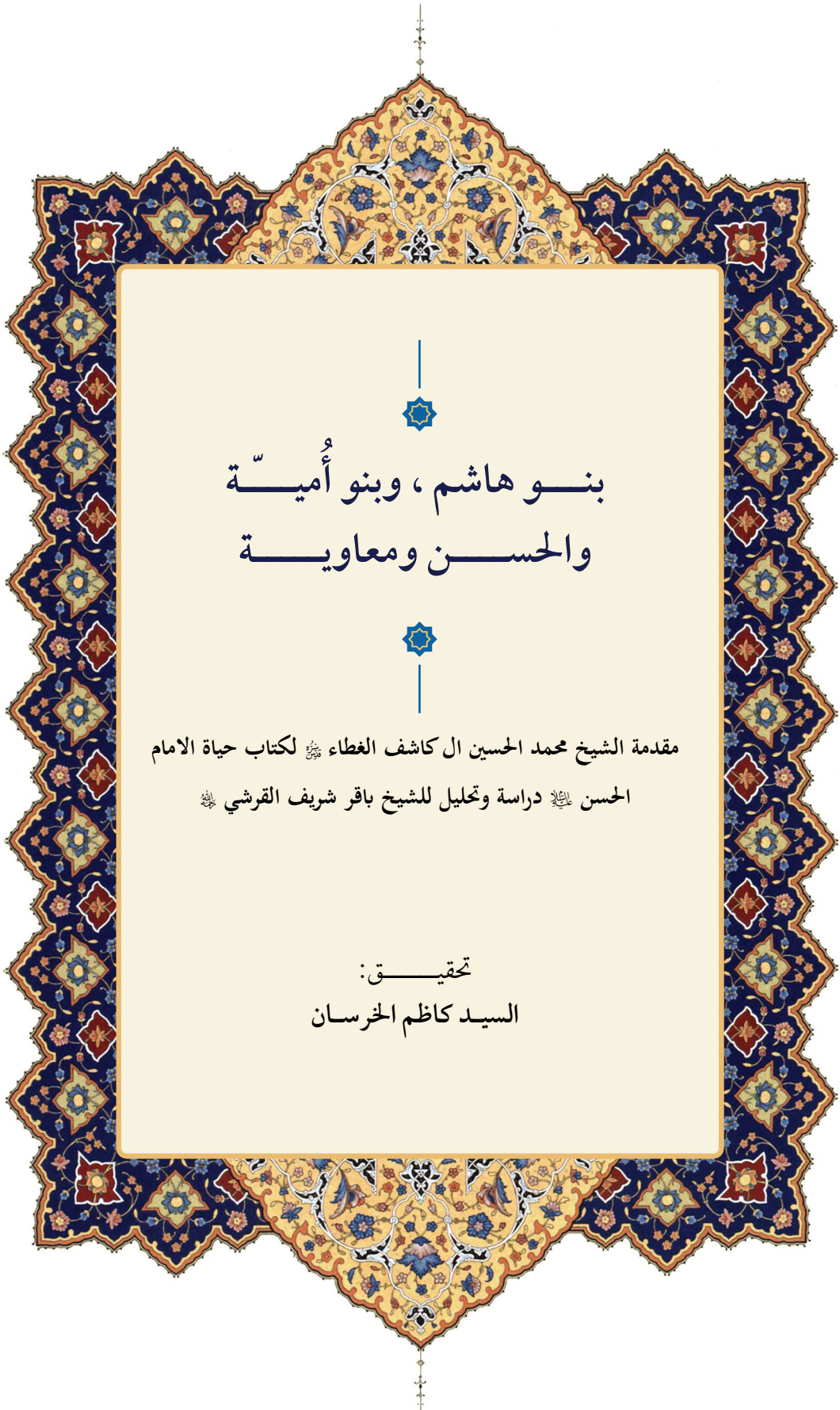
المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم
- ٢- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد بن نعمان (الشيخ المفيد)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت: دار المفيد، ١٤١٤ هـ: الثانية.
- ٣- الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق السيّد حسن الموسوي الخرساني، طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٣ ش: الرابعة.
- ٤- إعلام الوري بأعلام الهدى، الطبرسي، قم: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ربيع الأول ١٤١٧ هـ: الأولى.
- ٥- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، تحقيق الدكتور محمد حميد الله، القاهرة: مطابع دار المعارف، ١٩٥٩ م: الأولى.
- ٦- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣ هـ: الثالثة.
- ٧- تاريخ الطبري، الطبري، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٣ هـ: الرابعة.
- ٨- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تحقيق علي شيري، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥ هـ.
- ٩- تهذيب الأحكام، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، طهران، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٥ هـ: الرابعة.
- ١٠- جانشيني محمد، ويلفرد مادلونغ، ترجمة أحمد نمائي وحواد قاسمي و...، مشهد: مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٠ ش: الخامسة.
- ١١- الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، يوسف بن أحمد بن إبراهيم البحراني، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٥ هـ: الأولى.
- ١٢- الخصال، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، تصحيح علي أكبر الغفاري، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٣ هـ.
- ١٣- الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم، جمال الدين يوسف بن حاتم بن فوز بن مهند الشامي المشغري العاملي، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٤٢ هـ: الأولى.



- ١٤- دعائم الإسلام، أبوحنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي، قم: مؤسسة آل البيت % لإحياء التراث، ١٣٨٥ هـ: الثانية.
- ١٥- دلائل الامامة، محمد بن جرير الطبري، قم: مؤسسة البعثة، ١٤١٣ هـ: الأولى.
- ١٦- رجال الطوسي، محمد بن الحسن الطوسي، تصحيح جواد القيومي الإصفهاني، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، رمضان المبارك ١٤١٥ هـ: الأولى.
- ١٧- رجال النجاشي، أحمد بن علي بن أحمد النجاشي، تصحيح السيد موسى الشبيري الزنجاني، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٦ هـ: الخامسة.
- ١٨- رسالة في تواريخ النبي والآل عليهم السلام (مطبوع في المجلد الثاني عشر من قاموس الرجال)، محمد تقي التستري، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٩ هـ: الأولى.
- ١٩- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي، طهران: مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤٠٦ هـ: الثانية.
- ٢٠- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الفكر.
- ٢١- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣ هـ: الثانية.
- ٢٢- سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق حسين الأسد، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣ هـ: التاسعة.
- ٢٣- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٨ هـ: الأولى.
- ٢٤- صحيح ابن حبان، ابن حبان، تصحيح شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤ هـ: الثانية.
- ٢٥- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن البخاري الجعفي، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ٢٦- العدد القوية لدفع المخاوف اليومية، رضي الدين علي بن يوسف بن المطهر الحلبي، قم: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٨ هـ: الأولى.
- ٢٧- عدة الداعي ونجاح الساعي، ابن فهد الحلبي، تصحيح أحمد الموحد القمي، قم: مكتبة وجداني.

- ٢٨- الفهرست، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق جواد القيومي، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، شعبان المعظم ١٤١٧هـ: الأولى.
- ٢٩- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، محمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي، تصحيح باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ: الأولى.
- ٣٠- الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، تصحيح علي أكبر الغفاري، طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٥ هـ: الرابعة.
- ٣١- كشف الغمة في معرفة الأئمة، ابن أبي الفتح الإربلي، بيروت: دار الأضواء، ١٤٠٥هـ: الثانية.
- ٣٢- المحاسن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تصحيح السيد جلال الدين الحسيني المحدث، قم: دار الكتب الإسلامية، ١٣٧١هـ: الثانية.
- ٣٣- المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، بيروت: دار المعرفة.
- ٣٤- مسند أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ٣٥- المصنّف، ابن أبي شيبة الكوفي، تحقيق سعيد اللحام، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٩هـ: الأولى.
- ٣٦- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، النجف الأشرف: المكتبة الحيدرية، ١٣٧٦هـ.
- ٣٧- الوافي بالوفيات، الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠ هـ: الأولى.
- ٣٨- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي، قم: مؤسسة آل البيت % لإحياء التراث، ١٤٠٩ هـ.



بنو هاشم ، وبنو أمية
والحسن ومعاوية

مقدمة الشيخ محمد الحسين ال كاشف الغطاء ؓ لكتاب حياة الامام
الحسن ؓ دراسة وتحليل للشيخ باقر شريف القرشي ؓ

تحقيق:
السيد كاظم الخراسان

ملخص المقالة

إنَّ التَّضادَّ بين بني هاشم وبنو أمية تضادُّ ذاتيٌّ، وليس تضادُّاً عرضيًّا يمكن رفعه أو ارتفاعه، وقد امتدَّ الصراع بين نحجي النور والظلمة على مدى العصور، فلمحمَّد ﷺ أبو سفيان، ولأمير المؤمنين والحسن ﷺ معاوية بن أبي سفيان، وللحسين ﷺ يزيد.

ومن أمعن النظر، وَجَدَ أنَّ مسيرة الحسن والحسين ﷺ مسيرة واحدة تختلف أدوارها، بل ربَّما نجد ما عاناه الإمام الحسن ﷺ أفسى ممَّا عاناه أخوه الإمام الحسين ﷺ، فكان بصره وحنكته أنَّ فضح الكيد الأموي، وكشَفَ الوجه الحقيقي القبيح لمعاوية، وحفظ بما تلقَّاه من آلام كيان الإسلام.

الكلمات الأساسية: بنو هاشم، بنو أمية، الحسن، معاوية، العداوة، الضدِّيَّة الذاتية.



المقدمة

الشيخ كاشف الغطاء

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين؛ أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين الى قيام يوم الدين، آمين رب العالمين.

إنّ الحديث عن الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمته الله يحتاج الى جهد جهيد، ووقت مديد، وإطلاع واسع بوسع تعدد مهامه الكثيرة في حياته القصيرة، وهو مما تتوق له نفسي، وتحديثي به دائماً ومنذ سنوات لأداء بعض من حقوقه عليّ، ولكنّ قلّة البضاعة وكثرة المشاغل تحول بين أمنيّتي وتحقيقها، وبما أنّ ما لا يُدرِكُ كُله لا يترك مجلّه فقد شرعت بهذه الصفحات المتواضعة، والتي آمل أن تفي بشيء من حقه رحمته الله إذ كل حقه لا يفي به ألف مجلد.

ولادته ونشأته:

هو الشيخ محمد حسين ابن شيخ العراقيين الشيخ علي ابن الحجة الشيخ محمد رضا ابن المصلح بين الدولتين الشيخ موسى ابن الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء المالكي الجناحي النجفي.

ولد سنة ١٢٩٤ هـ في النجف الأشرف، في محلّة العمارة، حيث مثوى جده الأكبر الشيخ جعفر الكبير آل كاشف الغطاء رحمته الله.

نشأ وترعرع في كنف والده آية الله الشيخ علي كاشف الغطاء، وما أن أبصرت عيناه نور الحقيقة حتى شرع في دراسة وتدرّيس علوم آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وبعد أن أكمل المقدمات و السطوح بتفوّق وامتيار، حضر عند ثلة من الأعلام، منهم:

● الشيخ محمد كاظم الخراساني، المعروف بالشيخ الآخوند

● السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي

● الشيخ محمد باقر الإصطهباناتي

● الشيخ محمد رضا النجف آبادي

- الشيخ محمد حسن المامقاني
- الشيخ محمد تقي الشيرازي
- الشيخ أحمد الشيرازي
- الشيخ أغا رضا الهمداني

تلامذته:

لقد قضى الشيخ كاشف الغطاء شطراً كبيراً من عمره الشريف مكباً على التدريس، مواظباً على تخرير كوكبة من العلماء الأعلام، وبما أنّ استقصاء أسمائهم ليس من مهمّة هذه المقدمة، لذا نذكر هنا أهم تلامذته وأشهرهم، وهم:

- السيّد محمد علي القاضي الطباطبائي
- السيّد محسن الطباطبائي الحكيم
- الشيخ عبد الحسين الأميني
- الشيخ محمد جواد مغنية
- السيّد إسماعيل الحسيني المرعشي
- السيّد مسلم الحلّي
- السيّد أمير محمد القزويني
- الشيخ علي الخاقاني
- وأمثالهم من النجوم الالامعة في سماء العلم والمعرفة.

مؤلفاته:

أغنى شيخنا الراحل المكتبة الإسلامية بأكثر من ثمانين مؤلفاً في مختلف ميادين المعرفة، طبع بعضها في



حياته، وبعضها الآخر مازالت تصدره أسرته تبعاً حتى يومنا الحاضر، بتحقيق وسعي من حفيده البار سماحة المحقق الشيخ أمير كاشف الغطاء.

مؤلفاته:

في الحكمة والكلام والأخلاق: لقد برع شيخنا الراحل بكتابات في هذه الأبواب، فقلمه السيال وأسلوبه الممتع جعلنا من كتاباته محطاً للاهتمام، بل وللبحث والدراسة، ومنها:

- الدين والإسلام (أربعة أجزاء)
- أصل الشيعة وأصولها
- التوضيح في بيان ما هو الإنجيل ومن هو المسيح
- الفردوس الأعلى
- الأرض والتربة الحسينية
- المراجعات الريحانية (جزءان)
- الآيات البينات (تشمل أربع رسائل في نقد آراء الوهابية والبابية)
- نبذة من السياسة الحسينية
- المواكب الحسينية
- الدروس الدينية
- حاشية على كتاب الأسفار الأربعة لملا صدرا
- حاشية على العرشية ورسالة الوجود لملا صدرا

في السياسة: لشيخنا الراحل نظرة مختلفة في السياسة، فقد خبط أنامله صفحات مشرقة من السياسة الإسلامية وما يحتاجه الوطن العربي من فكر وتطبيق فألف:

● المحاورة بين السفيرين الامريكى والبريطاني

● الميثاق العربي الوطني

● المثل العليا في الإسلام لا في بجمدون

● ميثاق الوطن العربي

في الخطب: لخطبه فصل خاص في حياته، فأغلبها خطب ارتجالية تمز المشاعر، وتلهب الأرواح، وتوقد الحمية في النفوس، كان منها:

● الخطبة التاريخية في القدس

● خطبة الباكستان

● الخطب الأربع

● خطبة الاتحاد والاقتصاد

في الفقه والأصول: برع شيخنا كاشف الغطاء في هذين العلمين الذين تُدار عليهما رُحى الدراسة العلمية في الحوزات العلمية، ومن هذه المؤلفات التي برع فيها في هذين المجالين:

● حاشية على التبصرة

● سؤال وجواب

● وجيزة الأحكام

● حاشية على سفينة النجاة لأخيه الفقيه الشيخ أحمد آل كاشف الغطاء

● حاشية على عين الحياة (فارسي)

● زاد المقلدين (فارسي)

● مناسك الحج (عربي، فارسي)



● حاشية على العروة الوثقى

● تحرير المجلة (أربع مجلدات في الفقه القانوني)

● حاشية على مجمع الرسائل (فارسي)

● شرح العروة الوثقى للسيد كاظم اليزدي

● حاشية على مكاسب الشيخ مرتضى الأنصاري

● دائرة المعارف العليا (مجموعة فتاوى)

● تنقيح الأصول

● حاشية على كتاب الرسائل

● رسالة في الجمع بين الأحكام الظاهرية والواقعية

● حاشية على كتاب الكفاية

● حاشية على كتاب القوانين

● حاشية على كتاب الفصول

في الأدب: وإذ وصل بنا الحديث عن الأدب فإننا نقف طويلاً هنا؛ حيث كان الشيخ يضع لمسأته السحرية الخاصة، فنراه متذوّقاً للكاتب والأشعار تارة، ونلحظه ناقداً لمواضيع وأفكار تارة أخرى، يشمّر عن سواعد الجد فيشرح بعضها، ومما كتب في هذا الباب:

● تعليقات على ديوان السيد جعفر الحلبي، المعروف بسحر بابل وسجع البلابل

● تعليقات على ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي

● مختارات من شعراء الأغاني

● مُعْنِي الغواني عن الأغاني (مختصر الأغاني) في ألف صفحة

● ديوان شعره

- هزة السفر ونزهة السمر (رحلته الأولى إلى سوريا ومصر)
- تعليق على أمالي السيد المرتضى
- تعليق على أدب الكاتب
- تعليق على كتاب الوجيز في تفسير القرآن العزيز
- مجموعتان من المنتخبات الشعرية
- ترجمة حياته مفصلةً بقلمه، بعنوان (عقود حياتي)
- ترجمة كتاب فارسي (هيئة)
- ترجمة كتاب حجة السعادة في حجة الشهادة
- تعليقات على الفتنة الكبرى لطف حسين
- العبقات العنبرية في طبقات الجعفرية، في ترجمة أسرته

محطات في سيرته:

المحطة العلمية:

للشيخ كاشف الغطاء قدس سره الكثير من الملفات العلمية التي تفرّد بها تارة، وتميز بها أخرى، فهو صاحب النظريات الفقهية والأصولية التي أسهمت في بلورة الفقه المقارن، ويكاد يكون هو أول عالم دين شيعي ألف في الفقه المقارن من خلال موسوعته الرائدة والرائعة (تحرير المجلة)، والتي هي عبارة عن تصحيح وتنقيح وتحرير فقهي مقارن لمجلة الأحكام العدلية التي تُعدُّ القانون المدني للدولة العثمانية، ففي سنة ١٨٦٩ تم إقرارها كقانون مدني للدولة العثمانية من قبل لجنة متخصصة في الفقه والقانون، واحتوت على ١٨٥١ مادة قانونية، وصارت تُدرّس في الجامعات القانونية حتى بعد انهيار الدولة العثمانية.

بعد اعتمادها باشر الشيخ قدس سره بالمقارنة بين الآراء الفقهية للمذاهب الإسلامية من خلال موضوعات المجلة، والتي منها: البيع والعقود، الشرط، الخيارات، الدَّيْن، الرهن، الضمان، الإقرار، الكفالة، الحوالة، الأمانة، الهبة، الغصب، الإلتلاف، الحجر، الإكراه، الشفعة، الشراكة، الوكالة، الصلح، الإقرار، الدعوى، اليمين والبيّنة،



القضاء، النكاح والطلاق، الوقف، الوصية، وغيرها.

وقد كانت هذه الموسوعة ومازالت مدار البحث العلمي لسنوات طويلة وهي تكشف عن براعة يراع شيخنا الراحل رحمه الله.

وفي مجال العقيدة برع شيخنا الراحل في بيان المذهب الحق لأهل البيت عليهم السلام، وذلك من خلال مجموعة من مؤلفاته ومقالاته القيّمة، ولعل من أبرزها كتابه الرائع (أصل الشيعة وأصولها) والذي طبع أكثر من ثلاثين مرة في مختلف دول العالم، وتُرجم الى أكثر من لغة، وفي شتاء ٢٠١٦ كنت في القاهرة ورأيت طبعة مصرية له واقتنيتها، ودار بيني وبين صاحب الدار نقاش حول (أصل الشيعة وإصولها)، وفي خلال الكلام قال: إنّ هذا الكتاب طُبع أكثر من مرة في مصر، وعليه إقبال جيد، خصوصاً وأنه كتاب شيعي لمؤلف شيعي، حيث إنّ العديد من الكتب الشيعة محظورة في مصر إلا ما ندر.

وإذا انتقلنا الى الحديث عن كتابه (الدين والإسلام)، فإننا نجد من أهم الكتب التي مثلت التوجه الفكري للحركة الاسلامية في العراق، حيث ألفه الشيخ رحمه الله لمواجهة سياسات الغرب وخططه تجاه الإسلام والمسلمين، ويُعدُّ هذا الكتاب كتاباً تجديدياً لعلم الكلام والعقائد، حيث تطرق لمواضيع لم تكن تُطرق من قبل بالصورة التي نقلها رحمه الله، وانتقد فيه المسلمين نقداً لاذعاً على تخلفهم وتشتتهم وتفرقهم، ورغم كل تلك الحِدّة في كلامه قدس سره إلا أنك تجد في مطلع الجزء الثاني قصيدته الرائعة بعنوان (شعري وشعوري وعواظمي ولطائفي) وتقرأ في مطلعها هذا البيت الرائع الذي يكشف عن شعور عال بالمسؤولية، ودعوة صادقة لجمع الصف في مواجهة المخططات الاستعمارية:

[من الطويل]

بنبي آدم إنّا جميعاً بنو أبٍ لحفظ التأخّي بيننا وبئوأم

وليس بعيداً عليه هذا المعنى، فهو القائل: «بُني الإسلام على دعامين: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة»، والتي غدت شعاراً للتوحيد بين المذاهب الإسلامية.

وإذا أردنا ذكر كافة كتبه رحمه الله وبيان ما تحتويه من جواهر، فقد نخرج عن موضوع المقدمة، فنكتفي بذكر هذين الكتابين من كتب شيخنا الراحل لننتقل الى محطة أخرى من محطات حياته.

أما كتابه الرائع (نبذة من السياسة الحسينية) فهو بحق لجم للأفواه التي أخذت بالتمادي - في وقتها - على ثورة سيد الشهداء عليه السلام وقيامه المبارك، فمنهم من قال عنه عليه السلام: إِنَّهُ خَارَجَ عَلَيَّ إِمَامَ زَمَانِهِ، وليت شعري أي إمام هذا الذي يلعب القرود والفهود وينتهك التُّرُمَاتِ؟! ومنهم من جعل القيام إلقاءً للنفس بالتهلكة، أو أنه صراع على السلطة، أو غيرها من الاشكالات التي لا تصدر إلا من المشككين برسول الله صلى الله عليه وآله وبأهل بيته عليهم السلام، فما كان من شيخنا البعقريِّ إلا أن قام بالرد على هذه التخريصات بكلام علمي رصين، وبأسلوب سلس، ولا غرابة في ذلك فهو القائل: «الإسلامُ محمَّديُّ الحدوث (الوجود) حسينيُّ البقاء».

المحطة الجهادية:

ولعلّ من أبرز محطّات حياته المليئة بالعطاء هي محطة جهده وجهاده في حله وترحاله، فشيخنا الراحل كلما سنحت له فرصة جهاد البدن شمر لها عن سواعد الجِدِّ، وكلّما سنحت له فرصة جهاد الكلمة قالها، فهو المقاتل في صفوف ثورة العشرين ضد الاحتلال الانجليزي استجابة لفتوى المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد كاظم اليزدي رحمته الله، حيث التحق في ساحات القتال مقاتلاً بقلمه وسيفه؛ حيث قاتل وعاصر أحداث المعركة وكيفية انسحاب الجيش التركي من المعركة وانكسار المجاهدين، كما شاهد وعاش ثورة النجف الاشرف ومقتل المارشال الانكليزي، ومحاصرة المدينة، واعتقال بعض الثوار، وإعدام بعضهم، ونجاة آخرين، وغيرها من الأحداث المهمة التي عاشها العراق إبّان تلك الصفحة الدامية من صفحات تاريخه، وما أكثر الصفحات الدامية في بلدنا، وما أكثر العبر وأقلّ المعتر!

وأما جهاده في كلماته المدوية، فخذ على سبيل المثال حضوره في المؤتمر الاسلامي العام في القدس في سنة ١٣٥٠ هـ الموافق ١٩٣١ م؛ حيث دعي من قبل لجنة المؤتمر مراراً، فأجاب الدعوة، وذهب إلى القدس، وألقى خطبة ارتحالية كشفت عن فضله وعلمه، فقدّمه علماء المسلمين لصلاة الجماعة - وكان فيهم محمد رشيد رضا صاحب (مجلة المنار)، والشيخ محمد زيارة، والشيخ نعمان الأعظمي، ومفتي فلسطين أمين الحسيني وغيرهم - فأهمهم في الصلاة بإجماعٍ منهم على تقديمه، وهي أول مرة يؤم فيها عالم شيعيٍّ جميع المسلمين في القدس.

وله في مواجهة الأنظمة الحاكمة في العراق وإيران وباقي البلدان العديد من المواقف، فحينما ذهب إلى إيران خطب عدّة خطب حتّمهم فيها على التمسك بالتعاليم الدينية وعدم التفرقة.

وله في باكستان في مؤتمر لمعالجة الشؤون الاجتماعية والسياسية في الدول الإسلامية صولةً وجولةً في فضح



دسائس الاستعمار التي أرادوا إدخالها في فقرات المؤتمر.

من أقوال العلماء فيه:

١. قال الشيخ آقا بزرك الطهراني رحمته الله: هو من كبار رجال الإسلام المعاصرين، ومن أشهر مشاهير علماء الشيعة، والحقيقة أنه من مجتهدى الشيعة الذين غاصوا بحار علوم أهل البيت عليهم السلام، فاستخرجوا من تلك الأماكن والمعادن جواهر المعاني، ودراري الكلم، فنشروها بين الجمهور.

٢. قال الشيخ محمد حرز الدين رحمته الله في (معارف الرجال): وكان عالماً أصولياً فقيهاً، وكاتباً بارعاً، لا يُدانيه أحد في عصره بقلمه وخطابه ومجالسته، صرع الكتاب بقلمه، وأفحم المتكلمين بمنطقه، أرحف ممثلي الدول والسياسة بحديثه وشخصيته، إضافة إلى أنه كان بحائثاً منقّباً مؤرخاً أديباً شاعراً.

٣. قال السيد محمد مهدي الخونساري رحمته الله صاحب (أحسن الوديعه): كان الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء علامةً كبيراً، ومصلحاً شهيراً، وعالماً مقتدرًا، له بيان ساحر، وكتابات جذابة، كانت مؤلفاته مكتوبة بلغة سلسلة تناسب لغة العصر، منسجمة مع التطور.

٤. قال الشيخ جواد الشببي في ترجمته: أما صاحب الترجمة فحدّث عن البحر ولا حرج، آية في العلم والفضائل كبرى، ومعجزة يقصر الفكر أن يحيط بما حُبر، ركب جادة الجد... وخاض لجة الفضل قبل أن يشتد ساعده، فأدرك ما أمّلته فيه مدارك العقول، وأصبح والمعقول عنه منقول، والمنقول بحمى إفادته معقول.

مكتبته ومدرسته العلمية:

أسس الشيخ علي كاشف الغطاء رحمته الله مكتبته التي ما تزال شاهجة في سنة ١٣٥٠هـ كإحدى المكتبات الخاصة في النجف الأشرف، ثم أوقفها شيخنا الراحل رحمته الله بعد أن بنى لها جناحاً كبيراً في مدرسته العامرة، وحوث في وقتها ما يقرب من عشرة آلاف كتاب، وفيها خزانة تحتوي أنفس المخطوطات، منها:

● سلوة العارفين وأنس المشتاقين، لمحمد بن عبد الملك الطبري، يرجع تاريخها إلى سنة ٤٥٩هـ.

● الأنوار النبوية في صحاح الأخبار المصطفوية، للحسن بن محمد الصاغاني، يرجع تاريخها إلى سنة

- المعرفة في أصول الحديث، للحاكم النيسابوري صاحب المستدرک، يرجع تأريخها إلى سنة ٤٢٥هـ.
- أنوار اليقين في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، للمنصور بالله الحسن بن محمد بن أحمد بن يحيى، أحد أمراء اليمن، فرغ من تأليفه سنة ١١٠٨هـ.
- الإيمان من كتاب الكافي، للشيخ الكليني، تاريخ المخطوطة ٧٠٨هـ.
- الأخلاق، للسيد عبد الله شبر، وهو بخط المؤلف، فرغ منه سنة ١١٧٨هـ.
- حق اليقين، للسيد خلف المشعشي أمير الحوزة، كتب في عصر المؤلف.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري، كتب في عصر المؤلف وعليه إجازته بخطه.
- مختار الصحاح، للرازي.
- كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ، للطرابلسي.
- المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده.
- الفائق في تفسير الحديث، للزنجشيري.
- الانتخاب الجيد من تنبيهات السيد، للدّمستاني.
- الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية، للإمام حميد الدين اليماني.
- رجال ابن داود، كتب سنة ١٠٣٦هـ.
- فهرست علماء البحرين، للشيخ سليمان الماحوزي.
- معراج الكمال إلى معرفة أحوال الرجال، للماحوزي أيضا.
- أسماء الأضداد، لابن قتيبة، كتب سنة ١٢٥٣هـ.
- أسماء الأضداد، للنعالي.
- تعليقة على شعر امرئ القيس، للسيد المرتضى.
- ديوان السيد المرتضى.



● ديوان عفيف الدمشقي، كتب سنة ١١٠١هـ.

● ديوان الحسين بن الحجاج النيلي.

● شرح ديوان المتنبي، لابن جني.

● شرح المعلقات السبع، لابن جني.

● المقصور والممدود، لابن دريد.

● التعليقة على كتاب طبقات الأمم، لابن أبي جرادة، كتبت على نسخة تأريخها سنة ٦٥٠هـ.

● حاشية على مطالع الأنوار، كتب في عصر المؤلف سنة ٦٨٠هـ.

● شرح المطالع، لقطب الدين الشيرازي، كتب سنة ٧٧٢هـ.

● عيون الأثر، لابن سيد الناس، كتب سنة ١٠٣١هـ.

● طبقات الأمم، للأندلسي.

● المغني عن الأغاني، للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، وهو بخطه.

● الحصون المنيعة في طبقات رجال الشيعة، للشيخ علي كاشف الغطاء مؤسس المكتبة، وهو بخط المؤلف.

● الدرّة البهية والروضة المضية في تاريخ الروضة الحسينية، للسيد حسون البراقي المتوفى سنة ١٣٣٢هـ، وهو بخط المؤلف.

وفاته ومدفنه:

وسط هذه الاعمال الجسام التي قام بها شيخنا الراحل من تأليف وتدرّيس وحضور في المؤتمرات الدولية والعالمية، دبّت في جسده مجموعة من الأسقام، ولكنها لم تؤثر في نشاطه، ولم يتوان لحظة واحدة في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين، ولمّا كانت أيامه الأخيرة واشتدّ عليه المرض سافر إلى بغداد، ورقد في المستشفى شهراً، ثم اقتُرح عليه ان يذهب إلى (كرند)^(١) لطلب الصحة، فذهب إليها في ١٥ ذي القعدة ١٣٧٣هـ، وهناك

١ - قرية من توابع كرمانشاه.

وفاه الأجل في ١٨ ذي القعدة ١٣٧٣هـ، ونقل جثمانه الشريف الى النجف الأشرف، ودفن في مقبرة أعدها لنفسه وعائلته في وادي السلام، وأقيمت له مجالس الفاتحة في أكثر من محافظة، وأبنته عدد من العلماء والأدباء، وقيلت في حقه القصائد والكلمات، وكان ممن رثاه الشيخ علي البازي؛ حيث أنخ وفاته بهذين البيتين الرائعين:

[من الرجز]

قضى الحسينُ نَحْبَهُ وأَسْفَاً والشريعةُ الفِرّاً بكت مختارها
اللهُ لَنَا للجنجنانِ اختارُهُ لَبَّاهُ أَنْخُ «والحسينُ اختارها»

رحل كاشف الغطاء رحمه الله عن الدنيا بجسده ولم يتركها بروحه، فهو الذي تملأ الدنيا بصوته وقلمه، ناصر المظلومين، ودافع عن شرعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، ولم يأل جهداً في بيان الحق والدفاع عنه، رحل كاشف الغطاء ومدرسته ومكتبته ما تزالان تواصلان ما ضحى من أجله، وها هي كتبه تملأ الدنيا، تهدي الضال، وترشد المتعلم، وتنير الطريق لسالكه، فسلام عليه يوم ولد، ويوم التحق بالرفيق الأعلى، ويوم يبعث حياً^(١).

١- مصادر ترجمة شيخنا الراحل:

اعلام الأدب في العراق الحديث

هكذا عرفتهم، تأليف جعفر الخليلي

هكذا قرأهم، الجزء الثاني - للشيخ عبد الهادي الفضلي

ماضي النجف وحاضرها ج ٣

معجم رجال الفكر والادب ج ٢

شعراء الغري أو النجفيات

معجم مؤرخي الشيعة ج ٢

ترجمة الامام كاشف الغطاء بقلم- الشيخ اغا بزرك الطهراني

أساطين المرجعية العليا في النجف الاشرف

معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء

أحسن الوديعه في تراجم أشهر مشاهير مجتهدي الشيعة: تأليف محمد مهدي الموسوي الأصفهاني

تحرير المجلة ج ٥



العداوات والتباغض بين الأفراد والقبائل والجماعات غريزةٌ بعيدة المدى في طبيعة البشر من أول عهده، وبدء وجوده على هذه الكرة من عهد هابيل وقابيل، مستمرة في جميع الأجيال إلى هذا الجيل، ومُنشأُ العداوة وبواعثها غالباً هو التنافس والتعالي والأنانية التي تدفع إلى حب الأثرة والغلبة والسيطرة والاستيلاء على مالٍ أو جاه، أو ولاية وإمرة.

وأنكى العداوات، العداوات التي ثَبَعْتُ عن تِرةٍ ^(١) وطلبِ ثارٍ، وغسلِ عارٍ، وللتشقي والانتقام.

ولكن أسوأ العداة أثاراً، وأبعده مدىً، والذي يستحيل تحويله ولا يمكن زواله، هو عداوة الضدية الذاتية، والمباينة الجوهرية، كعداوة الظلام للنور، والرذيلة للفضيلة، والقبح للحسن، والشر للخير وأمثال ذاء، فإن هذا العداة والتنافر يستحيل أن يزول إلا بزوال أحدهما؛ إذ كلُّ بضادٍ الآخر في أصل وجوده وطباع ذاته، وكلُّ واحدٍ يمتنع على الآخر، فلا يجتمعان ولا يرتفعان ^(٢).

فالدوات الشريفة بذاتها وفي جوهرها تضادُّ الذوات الحيرة وتعاديها، وكلُّ واحدٍ من هذين المتضادين المتعاندین يجد ويجتهد في إزالة الآخر ومحوه من الوجود، كالنور والظلام لا يجتمعان في محلٍّ واحد أبداً، وكلُّ منهما بطباعه يتنافى مع الآخر ويعاديه، وكالفضيلة والرذيلة في الإنسان.

وعلى هذا الطراز، ومن هذا النوع، عداوة بني هاشم وبنو أمية، عداوةٌ جوهريةٌ ذاتيةٌ، يستحيل تحويلها، ويمتنع زوالها، عداوةٌ الظلام للنور، والشر للخير، والخبث للطيب، ويُعرف كلُّ واحدٍ منهما بثماره وآثاره، وقديماً قيل: «من ثمارهم تعرفوهم» ^(٣)، الشجرة لا تُعرف إلا من ثمرها أمّا خبيثة أم طيبة، والإنسان لا يُعرف خبثه وطيبه إلا من أعماله وملكاته وخصاله.

أولد عبد مناف هاشماً، وعبد شمس ^(٤)، ونشب العداة بينهما - منذ نشأ وشباً - لا لشيء سوى اختلاف الجوهرين، وتباين الذاتين، ثم استشرى الشر واتسعت عدوى العداة بين القبيلين بحكم الوراثة.

وكان لكل واحدٍ من هذا القبيل ضدُّ له من القبيل الآخر، فعدوُّه بالنسب، هاشم وعبد شمس، وعبد المطلب

١ - الترة: الثأر والدخل وترة يتره وتراً وتيرةً. انظر: لسان العرب ٥: ٢٧٤ مادة «وتر».

٢ - بحث في علم المنطق.

٣ - إنجيل متى / الاصحاح السابع: ١٦.

٤ - اختلف العلماء في هل كان لعبد شمس ولد اسمه معاوية أو لا، فذهب بعضهم الى كونه عبداً رومياً تبناه عبد شمس، وما يشير الى هذا المعنى مراسلة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع معاوية حيث قال: «وليس الصريح كاللصيق»، وللتفصيل في هذا الموضوع راجع: شرح نوح البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢١٩، النزاع والتخاصم للمقرئزي، جواهر التاريخ للشيخ علي الكوراني ج ٢، أبو القاسم الكوفي في كتابه الاستغاثة ١: ١٢٣، وغيرها من المصادر التي تبحث في هذا الباب.

وأُميَّة، وأبو طالب وحرَب، ومحمَّد ﷺ وأبو سفيان، ما أشرقت أول بارقةٍ من أشعة الإسلام، وما أعلن البشر النذير بدعوة التوحيد إلَّا واثرت نعة الشرك والوثنيَّة، لطمس أنوار الأُحدِيَّة، وقام بحمل معاول المعارضة والهدم لما بينيه وبيننا منقذ البشريَّة من مخالب الوحشيَّة، قام بها ثالث الجيت والطاغوت: أبو جهل، وأبو هُب، وأبو سفيان.

وكان الثالث زعيم الحزب الأموي أشدهم مُناوأةً للإسلام ومحاربةً له، نصبوا كُلَّ الحبائل، وتوسَّلوا بجميع الوسائل؛ لإخفات صوته وإخماد ضوئه، وأعملوا كلَّ بأسٍ وسطوةٍ في مقاومة تلك الدعوة، حتَّى أَلجأت جماعةً ممَّن تدين بها، فهاجروا إلى الحبشة، وتحمَّل النبيُّ وأصحابه من الاضطهاد والأذى أكثر من عشر سنين، حتَّى اضطرَّ إلى الجلاء من وطنه ووطن آبائه، ومركز عِزِّه، فهاجر إلى يثرب.

فطارده أبو سفيان ولاحقه إلى دار هجرته، وما رُفِعَت راية حرب على الإسلام إلَّا وبنو أميَّة، وزعيمهم أبو سفيان، قائدها ورافعها، يُلهب نارها، ويُيزرُ غبارها، ويتربَّصُ بإخماد ذلك النور الدوائر، ويُهيئُ نعة القبائل. إلى أن فتح الله الفتح المبين، وأمكن الله نبيِّه ﷺ من جبابرة قريش، ومَلَكَهُمْ عنوةً، فصاروا عبيداً ومَلِكاً بحكم قوانين الحرب، والاستيلاء على المحاربين بالقوة والسلاح.

ولكنه - سلام الله عليه - أطلقهم وعفا عنهم، وقال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(١)، واكتفى منهم بظاهر الإسلام، وإطلاق لسانهم بالشهادتين، وقلوبهم مملوءة بالكفر والحقد على الإسلام، يتربَّصون الفرص لمحو سطره، وقلع جذوره «ما أسلموا بل استسلموا، ولمَّا وجدوا أعواناً على الإسلام وثبوا»^(٢)، ما تغيَّر شيءٌ من نفسيَّات أبي سفيان وبنو أميَّة بعد دخولهم في حظيرة الإسلام فلامَّة ظُفْر، إمَّا تغيَّر وضع المحاربة، وكيفيَّة الكفاح والمقاومة.

دخل أبو سفيان ومعاوية في الإسلام، ليفتكوا في الإسلام ويكيدوا له، والعدوُّ الداخلُ أقدرُ على الكيد والفتك من العدوِّ الخارج.

وهذه العداوة ذاتيَّة متأصلة، والذائيُّ لا يزول، وليست هي من تنافسٍ على مال، أو تراحمٍ على منصب أو جاه، بل هي عداوة المبادئ، عداوة التضادِّ الطبيعي، والتنافر الفطري، عداوة الظلام للنور، والضلال للهدى،

١ - سير أعلام النبلاء للذهبي ٤: ٤٩٥، الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري، تحقيق الزيني ١: ٨٩، تاريخ الطبري ٢: ٣٣٧، البداية والنهاية لابن كثير ٤: ٣٤٤، تاريخ ابن خلدون ٢: ٤٥٠.
٢ - إشارة إلى قول أمير المؤمنين ﷺ في نوح البلاغة: ٣٧٤/ «فو الذي فلقَ الحَبَّةَ وبرَّأ النَّسَمَةَ، ما أسلموا ولكن استسلموا، وأسروا الكفر فلما وجدوا أعواناً عليه أظهره».

والباطل للحق، والجور للعدل؛ ولذا بقي بنو أمية على كفرهم الداخلي، ومكرهم الباطني، مع عدادهم في المسلمين وتمتعهم بنعم الإسلام وبركاته.

لكن لم يمسّ الإسلام شعرةً من شعورهم، ولا بلّ ريشةً من أجنحتهم، كالبطّ يعيش طول عمره في الماء، ولا يبيل الماء ريشةً منه (فيما يقولون).

نعم، أقرّوا بإسلامهم حقناً لدمائهم، وترئصاً لسنوح الفرصة لهدم عروش الإسلام وقواعده، حتى إذا أدلى من كانت له السلطة بالخلافة^(١)، إلى أول خليفةٍ منهم، طاروا فرحاً، وأعلنوا بيعض ما كانت تُكِنُّه صدورهم، فجمعهم أبو سفيان، وقال: «تلقّفوها يا بني أمية تلقّف الكرة، فو الذي يلحف به أبو سفيان ما من جنةٍ ولا نارٍ»^(٢).

ثم أخذوا زمام الخليفة الأمويّ بأيديهم، وصاروا يقودونه «كالجمل الذلول» حيث شاءوا، فاتخذوا مال المسلمين دُولاً، وعباداً لله حَوْلًا^(٣)، فثارت بلاد المسلمين من جميع أقطارها عليه وعليهم، إلى أن حاصروه في داره، وضابقوه على أن يخلع نفسه من الخلافة، ويجعلها شوري بين المسلمين، فتقاعس وتصلّب أولاً.

ثم لما اشتدّ الحصار عليه - وحبسوا عنه حتى الماء والطعام - تراخت أعصابه، ووهنت أطنابه، وحاول أن يخمد نار الفتنة بخلع نفسه؛ إجابةً للثائرين الذين شدّدوا الحصار، فأحسن بنو أمية - وقيادتهم يومئذ بيد مروان في المدينة، ومعاوية في الشام - بأنّ صاحبهم إذا خلع نفسه فسوف يفلت الجبل من أيديهم، وقد غلظ الدهر أو غلظ المسلمون غلظةً يستحيل أن يعودوا لمثلها أبداً.

وبأيّ سابقةٍ أو مكرمةٍ لبني أمية أو جهاد في الإسلام يستحقّون أن تكون خلافة المسلمين في واحد منهم، وهم أعداء الإسلام وخصومه في كلّ موقفٍ من مواقفه، وفي كلّ يومٍ من أيامه؟! أدرك كلّ ذلك مروان ومن معه من حزبه، فتواطئوا مع زعيمهم بالشام أن يُجْهَرُوا على صاحبهم، فيقتلوه قبل أن يخلع نفسه، وقبل أن يفلت جبل الحيلة من أيديهم.

نعم، يقتلونه ويتخذون قتله ذريعةً إلى مطالبة فئةٍ من المسلمين بدمه، ويتظاهرون لسائر المسلمين بأنّه قتل

١ - إشارة إلى مؤامرة عمر بن الخطاب في الشورى وجعل الأمور بيد عبد الرحمن بن عوف في حادثة اختيار الخليفة الثالث عثمان، وهو أول أمويّ استلم السلطة. راجع: شرح النهج لابن أبي الحديد ٤١٠:٢ - ٤١١.

٢ - الاستيعاب: القسم الرابع ١٦٧٨ - ١٦٧٩ / الترجمة ٣٠٠٥، تاريخ الأمم والملوك ١٠:٥٨ حوادث سنة ٢٨٤هـ، مروج الذهب ٣٦٠:٢، وراجع كتاب النزاع والتخاصم: ٥٦.

٣ - مستدرك الحاكم ٤:٤٨٠، العمدة لابن بطريق: ٤٧١ / ح ٩٩٢، مسند أحمد بن حنبل ٣:٨٠، البداية والنهاية ٤:٢١٧، الكامل في التاريخ ٣:٦٠٠ - ٦١، تاريخ الطبري ٤:٣٧٦.



مظلوماً ولا بد من الأخذ بثأره، فيكون أقوى وسيلةً إلى استرجاع الخلافة إليهم.

ولولا قتل عثمان وقميص عثمان، لما صارت الخلافة إلى معاوية ومروان وأبناء مروان، ولكان من المستحيل أن يجلموا بها في يقظة أو منام، ولكن جاءت صاحبهم الأول^(١)، من غير ثمن، وقد دفعها إليه من قبله دفعاً. نعم، أراد السابق أن يحولها عن بني هاشم إلى خصومهم الألداء بني أمية، فقتلَ حبلَ الشورى وأبرمه، بحيث تصير الخلافة لا محالة إلى عثمان، وما اكتفى بذلك حتى نفخ روح الطموح إليها في نفس معاوية، الطليق ابن الطليق، وهو وأبوه أكبر الأعداء الألداء للإسلام، كان كل سنة يجاسب عماله، ويصادر أموالهم، ويعاملهم بأشد الأحوال إلا معاوية، تتواتر الأخبار لديه بأن معاوية يُسرف في صرف أموال المسلمين، ويلبس الحرير والديباج، فيتغاضى عنه، بل يعتذر له، ويقول: «ذاك كسرى العرب»^(٢).

كان عمر يُضفي على معاوية ثوب البطولات، ويخلع عليه النعوت والألقاب، ويبالغ في تسديده، ولا يسمح بانتقاصه، فقد جاء في الاستيعاب المطبوع على هامش الإصابة: أن قوماً ذموا معاوية عند عمر، فقال: دعونا من ذم فتى قريش، من يضحك في الغضب، ولا يُنال ما عنده إلا على الرضا، ولا يؤخذ ما فوق رأسه إلا من تحت قدميه^(٣).

ولا ندري لما هذا الإطراء على هذا الطليق الذي نظر إليه الرسول ﷺ نظرة ربيّة وشكّ في إسلامه؟! مع أن معاوية كان من الضعة والفقر والهوان بأقصى مكان، كان من الصعاليك الساقطين في نظر المجتمع، حتى أن أحد أشراف العرب^(٤)، وفد على النبي ﷺ.

ولما أراد الخروج أمر النبي ﷺ معاوية أن يشيعه إلى خارج المدينة، وكان الحُرّ شديداً والأرض يغلي رملها ويفور، ومعاوية حافي القدمين، فقال للوفد الذي خرج في تشييعه:

- أُرِدني خلفك.

- أنت لا تصلح أن تكون رديف الأشراف والملوك!.

- ألا فاعطني نعليك أتقي بهما حرارة الشمس.

- أنت أحقر من أن تلبس نعلي.

١- عمر بن الخطاب.

٢- تاريخ مدينة دمشق ٥٩: ١١٤.

٣- الاستيعاب (بهامش الإصابة) ٣: ٣٩٧، و(ط دار الجيل) ٣: ١٤١٨، قاموس الرجال للتستري ١٠: ١١٧، إحقاق الحق (الأصل): ٢٦٣، تاريخ مدينة دمشق ٥٩: ١١٢.

٤- هو علقمة بن وائل الحضرمي - انظر: المحاسن والمساوي: ٢٦٨.



- ما أصنع وقد احترقت رجلاي؟

- امش في ظلّ ناقتي، ولا تصلح لأكثر من هذا!!.

تعباً لك يا زمان، وأفّ لك يا دهر، هذا الصعلوك النذل صار أو صبروه كسرى العرب!!!

نعم. معاوية ومروان هما اللذان دبّرا الحيلة في قتل عثمان، ومكّنوا الثائرين من قتله، وقضيتُ الجيش الذي أرسله معاوية من الشام إلى المدينة، ووصيئُهُ له بأن لا يدخل المدينة حتّى يُقتل^(١)، تشهد لذلك وهي مشهورة. نعم، وقد أعانهم على قتله أيضاً إحدى زوجات النبيّ التي كانت تُهرج على عثمان وتصرخ في النوادي: «اقتلوا نعتلاً، قتل الله نعتلاً»^(٢)، ثم بعد أن امتثلوا أمرها وقتلوه ثارت - أو أثاروها - إلى الطلب بدمه، وكانت من جزاء ذلك واقعة الجمل^(٣)، التي ذهب ضحيّتها عشرون ألفاً من المسلمين، وفتحت باب الحروب بين أهل القبلة، وقال أحد شعراء ذلك العصر يخاطبها ويؤثّبها:

[من المتقارب]

وأنتِ البلاءُ وأنتِ الشقاءُ وأنتِ السحابُ وأنتِ المطرُ
وأنتِ أمّرتِ بقتلِ الامامِ وقلتِ لنا: إنّه قد كفر^(٤)

١- أرسل عثمان إلى معاوية يستمدّه، فبعث معاوية يزيد بن أسد جدّ خالد القسري، وقال له: إذا أتيت ذا خشب فأقم بها ولا تتجاوزها، ولا تقل: الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فأنا الشاهد وأنت الغائب، فأقام بذئ خشب حتّى قتل عثمان، فاستقدمه حينئذ معاوية فعاد إلى الشام بالجيش الذي كان أرسل معه، وإنما صنع ذلك معاوية ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه. انظر: شرح النهج الحديدي ١٦:١٥٤ عن البلاذري، وتاريخ المدينة ٤:١٢٨٩.

٢- انظر: لسان العرب لابن منظور ١١:٦٧٠، تاج العروس للزبيدي ١٥:٧٤٥.

راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦:٢١٥، و١٧:٢٠، و٢٢، وتاريخ الطبري ٣:٤٧٧، والنهية لابن الأثير ٥:٨٠٠، وتاج العروس ٨:١٤١، والكامل في التاريخ ٣:٢٠٦.

وقال الجوهري في الصحاح ٥:١٨٣٢ مادة «نعتل»: «النعتل: الذكر من الضباع، ونعتل اسم رجل كان طويل اللحية، وكان عثمان إذا نبيل منه وعيب شئ به بذلك الرجل»، انتهى.

وقال ابن الأثير في النهاية ٥:٧٩-٨٠ في مقتل عثمان: «لا يمنعك مكان ابن سلام أن تسب نعتلاً» كان أعداء عثمان يسمونه نعتلاً تشبيهاً بـرجل من مصر كان طويل اللحية اسمه نعتل، وقيل: النعتل: الشيخ الأحق، وذكر الضباع، قال: ومنه حديث عائشة: «اقتلوا نعتلاً، قتل الله نعتلاً»، تعني عثمان»، انتهى.

وقال الفيروزآبادي في القاموس ٤:٥٩: «النعتل - كجعفر -: الذكر من الضباع، والشيخ الأحق، ويهودي كان بالمدينة، ورجل لحباني - أي طويل اللحية -

كان يُشَبّه به عثمان إذا نبيل منه». انتهى.

وانظر: تاريخ الطبري ٣:٤٠٠، والإمامة والسياسة: ٤٣ في مخاطبتهم عثمان نعتلاً، فمن شطط الألويسي ما ذكره في ١١:٢٢ من روح المعاني في هذا المقام، فراجع واحكم بالحق ولا تشطط.

٣- تاريخ الطبري ٤:٥٠١، مروج الذهب ٣:١١٣، الجمل للمفيد: ٣٠٤، نهج البلاغة: ٢٤٧، أسد الغابة في معرفة الصحابة ٢٤٩:٢-٢٥٠، و٢٤٢:٣-٢٤٣.

٤- الكامل في التاريخ ٣:٢٠٦-٢٠٧، تاريخ الطبري ٣:٤٧٧، الإمامة والسياسة ١:٧٢.

وقال الآخر:

[من السريع]

جاءت مع الأشقين في هودج تزجني إلى البصرة أجنادها
كأما في فعلها هرة من جوعها تأكل أولادها^(١)

وهذه النكات التي رشح القلمُ بها هنا - وهي من أسرار دقائق التأريخ، والتي قلّ من تنبّه لها - إنّما جاءت عفواً، وما كانت من القصد في شيء، إنّما المقصود بالبيان أنّ معاوية وأبا سفيان لَمَّا بهرهما الإسلام، وقهرهما على الدخول فيه، حفظاً لحوائثهما^(٢) من التلف، أظهرها الإسلام صورةً، وأضمرها الكيد والفتك به سريرةً، وبقيا يتربّصان، فكلّما سنحت فرصة لذلك ظهرت ركيزتكم في أقوالهم وفي أعمالهم.

وكان معاوية أدهى من أبيه الذي كبر وخرف في آخر عمره، ومن دهائه وعزمه أنّه كان يحتفظ بصورة الإسلام مدّة إمرته بالشام عشرين سنة، فلا يصطدم بشعيرة من شعائره، ولا يتناول إلى اعتراض قاعدة من قواعده، فلا يتجاهر بشرب الخمر والأغاني، ولا يقتل النفس المحرّمة، ولا يلعب بالفهود، ولا يضرب على المزمار والعود.

نعم، قد يلبس الحرير والديباج، وطيلسان الذهب، ولا بأس بذلك فإنّه «كسرى العرب»! وما احتفظ بشعائر الإسلام إلاّ لحاجة في نفس يعقوب، ومن باب الهدوء قبل العاصفة، والمشى رويداً لأخذ الصيد. بقي على ظاهر الإيمان المبطن بالكفر مدّة مخالفته ومحاربتة لأمير المؤمنين في صفين، فلمّا استشهد - سلام الله عليه - تنفّس الصّعداء، وغمرته المسرة، وأمكنته الفرصة من اللعب على الحبل وتدبير الحيل.

ولكن بعد أن بويع الحسن عليه السلام^(٣) والتفّ عليه الأبطال من أصحاب أبيه، وشيعته ومواليه، ومنهم الرؤوس، والضُّرُوس، والأنياب، والعديد، والعدّة، والسلاح، والكراع، فوجد أنّه وقع في هُوّة أضيق وأعمق من الأولى... فإنّ الحسن سبط رسول الله، وابن بنته، وريحانته^(٤)، وهو لوداعته وسلامة ذاته محبوب للنفس؛ لم يؤذ أحداً مدّة عمره، بل كان كلّه خيراً وبركة، ولم تعلق به تهمّة الاشتراك بقتل عثمان، بل قد يقال:

١- كتاب الحيوان ٥: ١٧٠.

٢- حوائثهما: تثنية حواء، وهي النفس، تجمع على حوباوات.

٣- في يوم ٢١ من شهر رمضان المبارك سنة ٤٠ للهجرة بعد شهادة الامام امير المؤمنين عليه السلام.

٤- تذكرة الحفاظ للذهبي ٢: ١٦٧، إسعاف الراغبين لابن الصبان: ١٩٧، الاستيعاب لابن عبد البر ١: ١٣٩.

إنّه كان من الذابّين عنه^(١)، فكيف يقاس معاوية به؟! وكيف يعدل الناس عن ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى ابن هند آكلة الأكباد؟!

أقلق معاوية، وأقضّ مضجعه، التفكيرُ بهذه النقاط المركّزة التي لا مجال فيها للنقاش والجدال، ولكن سرعان ما اهتدى بدهائه ومكره إلى حلّ عقدهما، وكشف كربتها، فلجأ إلى عاملين قويّين:

أولهما: المال الذي يلوي أعناق الرجال، ويسيل في لعبه لُعاب الأبطال، فبعث إلى أعظم قائد من قادة جيش الحسن عليه السلام الذين بايعوه على الموت دونه، وأمّسهم رحماً به، وهو عبيد الله بن العباس^(٢)، الذي جعله أميراً حتى على قيس بن سعد بن عبادة، ذلك الزعيم العظيم، الفارس المغوار، المتفاني إخلاصاً في حبّ الحسن وأبيه. نعم، بعث إليه معاوية بأكثر من خمسين ألفاً، ووعدّه عند مجيئه إليه بمثلها، فانسلّ إلى معاوية في جُنح الظلام، وأصبح الناس ولا أمير لهم، فصلّى بهم قيس، وهوّن عليهم هذه الفادحة التي أوهت عزيمة الجيش، وهيأتهم للهزيمة قبل النضال.

وقل: ساعد الله قلبك يا أبا محمّد، كيف تحمّلت هذه الرزايا التي أقبلت عليك متتابعةً كقطع الليل؟! وصار معاوية يعمل بهذه الخطة مع كل بارزٍ من الشيعة ورجالهم وأبطالهم، فاستمالهم إليه جميعاً، ولم يستعص عليه ويسلم من مكره وحبائله إلا عدد قليل لا يتجاوز العشرة؛ كقيس بن سعد، وحجر بن عدي، وأمثالهما ممن ناطحوا صخرة الظلم والضلال براسخ إيمانهم، وما اختلجهم الشكّ في كفر معاوية وأبيه وبنيه، طرفة عين.

وكان قيس «أقسم بالله أن لا يلقى معاوية إلا وبينهما الرمح أو السيف»^(٣)، في قضيةٍ معروفة، هذا أول تدبير اتخذّه معاوية للغلبة على الحسن، واستبداده بالأمر، واغتصاب الخلافة منه.

الثاني: وهي حيلةٌ تأثيرها أشدّ من الأولى، استطابها السواد الأعظم، وانجرف إليها الرأي العام، تلك دعوى معاوية الحسن إلى الصلح، وهي تُضاربُ خديعته في رفع المصاحف^(٤)، التي استطابها الجيش العراقي، فلم يقرّر حقّ مصدره بعد ما أشرف على الفتح والظفر.

نعم، أشدّ ما فتّ في عضد الحسن طلبُ معاوية الصلح، فقد كانت أفتك غيلةٍ، وأهلك حيلةٍ، لأنّ المال

١- مسألة الدفاع عن عثمان بن عفان من موضوعات الأمويين، وقد أفاض الشيخ الأمين عليه السلام بإبطالها في موسوعة الغدير ٢١٨:٩ وما بعدها من أبحاث.

٢- هناك قولان في هذه المسألة أحدهما أن الموضوع من مفتريات بني أمية، والآخر أنه وقع فعلاً.

٣- تاريخ يعقوبي ١٩٢:٢، الكامل في التاريخ ٢٠٧:٣، تاريخ الطبري ١٢٥:٤.

٤- تاريخ يعقوبي ١٨٨:٢، أنساب الأشراف ٩٨:٣، العقد الفريد ٣٤٠:٣، مروج الذهب ٤٠٠:٢، الفتوح ١٨١:٣.

كان يستميل به معاوية عيون الرجال، والخواصّ منهم.

أما العائمة فلا يناههم منه شيء، ولكنّ الناس كانوا قد عصّتهم أنياب الحروب، حتّى أبادت خيارهم، وأخربت ديارهم، في أقلّ من خمس سنين ثلاثة حروب ضروس: الجمل، وصقّين، والنهروان.

فأصبحت الدعوة إلى الحرب ثقيلة وبيلة، والدعوة إلى الصلح والراحة لذيدة مقبولة، وهنا تأزمت ظروفه -سلام الله عليه- وحاسب الموقف حساباً دقيقاً، حساب الناظر المتدبّر في العواقب، فوضع الرفض والقبول في كفتي الميزان ليرى لأيهما الرجحان، فوجد أنّه لو رفض الصلح، وأصرّ على الحرب، فلا يخلو إمّا أن يكون هو الغالب، ومعاوية المغلوب... وهذا وإن كانت تلك الأوضاع والظروف تجعله شبه المستحيل، ولكن فليكن بالفرض هو الواقع.

ولكن هل معبّة ذلك إلا تظلم الناس لبني أمية، وظهورهم بأوجع مظاهر المظلوميّة، بالأمس قتلوا عثمان عين الأمويّين، وأمير المؤمنين - كما يقولون - واليوم يقتلون معاوية عين الأمويّين، وخال المؤمنين (يا لها من رزية)!! ويتهيأ لبني أمية قميص ثانٍ، فيرفعون قميص عثمان مع قميص معاوية، والناس «رعاع يعقون مع كل ناعق»^(١)، لا تفكير ولا تدبّر، فماذا يكون موقف الحسن إذاً لو افترضناه هو الغالب؟

أمّا لو كان هو المغلوب فأول كلمة تُقال من كلّ متكلم: إنّ الحسن هو الذي ألقى نفسه بالتهلكة، فإنّ معاوية طلب منه الصلح الذي فيه حقن الدماء فأبى وبغى، وعلى الباغي تدور الدوائر^(٢).

وحينئذ يتمّ لمعاوية وأبي سفيان ما أرادا من الكيد للإسلام، وإرجاع الناس إلى جاهليّتهم الأولى، وعبادة اللآلئ والعزى، ولا يتّقي معاويةً من أهل البيت نافخ ضربة^(٣)، بل كان نظر الحسن ﷺ في قبول الصلح أدقّ من هذا وذاك، أراد أن يفتك به ويظهر خبيثة حاله، وما ستّرهُ في قرارة نفسه قبل أن يكون غالباً أو مغلوباً، وبدون أن يزيح الناس في حرب، ويحملهم على ما يكرهون من إراقة الدماء.

فقد ذكرنا أنّ معاوية - المسلم ظاهراً، العدو للإسلام حقيقةً وواقعاً - كان لوجود المزاحم يحدّ الناس بغشاء رقيق من التزمّت في ارتكاب الكبائر والموبقات، وما ينطوي عليه من معاداة الإسلام، وتصميم العزيمة على قلع

١ - إشارة إلى قول أمير المؤمنين ﷺ في نوح البلاغة: ٤٩٦ / خ ١٤٧ «وهجّ رعاغ أتباع كل ناعق».

٢ - هو من قول الشاعر:

قضى الله أنّ البغي يصرغ أهله وأنّ على الباغي تدور الدوائر

انظر: صبح الأعشى ١٣: ٣٤٨.

٣ - من أمثال العرب: «ما بها نافخ ضربة»، أي ليس فيها أحد، وفي حديث لأمر المؤمنين ﷺ: «لوذّ معاوية أنه ما بقي من بني هاشم نافخ ضربة إلا طعن في نيطة». ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ٥٨٨.

جذوره وإطفاء نوره، يتكتم بكل ذلك خوفاً من رغبة الناس إلى الحسن وأبيه من قبل.

فأراد الحسن أن يُجَلِّيَ له الميدان، ويسلّم له الأمر، ويرفع الخصومة، حتى يُظهِرَ ما يبطن، ويبوّخ بكفره، ويعلن ويرفع عن وجهه ذلك الغشاء الصفيق، ويعرف الناس حقيقة أمره، وكامن سرّه، وهكذا فعل، وفور إبرام الصلح صعد المنبر في جمعٍ غفير من المسلمين، وقال:

«إني ما قاتلتكم، لتصوموا ولا لتصلّوا وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطيت الحسن شروطاً كلّها تحت قدمي»^(١).

انظر إلى القحّة^(٢)، والصِّلْف، وعدم الحياء، وضيق الوعاء، وصفاقة الوجه^(٣)، أما وإيم الله إنه لو لم يكن لقبول الصلح إلا ظهور هذه الكلمات من معاوية لكفى بما دليلاً على افتضاح معاوية، ومعرفة الناس بكفره، فما ظنك به وقد استمرّ على هذه الخطّة الكافرة، والخطيئة السافرة، والتحدّي للإسلام، وهدم قواعده جهاراً؟! لولا صلح الحسن لما استلحق.. معاوية زياداً بأبي سفيان، وهو ولده من الزنا، فضرب قول رسول الله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»^(٤)، ضربه بالحجر وبعرض الجدار، بلا خيفة ولا حذر.

لولا الصلح... لما قتل حُجْرَ بن عدي سيّد الأوابين، وعشرة من أعلام خيار الصحابة والتابعين، قتلهم بمّرح عذراء صبراً، من دون أيّ سبب مبرّر.

لولا الصلح... لما قتل معاوية الصحابيّ الجليل عمرو بن الحَمِق، وحمل رأسه إلى الشام، وهو أول رأس مُحمّل في الإسلام.

لولا الصلح... لما سقى معاوية الحسنَ السّمّ على يد جعيدة بنت الأشعث

لولا الصلح... لما أُجْبِرَ معاوية البقية الصالحة من أولاد المهاجرين والأنصار على أخذ البيعة ليزيد، وحاله في الفسق والفجور مشهورٌ، إلى كثير من أمثال هذه المخازي، والفظائع التي لا يبلغها الإحصاء. ولكن تأمل ملياً وانظر من الغالب ومن المغلوب.

انظر ما صنع الحسن بمعاوية في صلحه، وكيف هدّ جميع مساعيه، وهدم كلّ مبانيه، حتى ظهر الحقّ، وزهق

١ - مقاتل الطالبين: ٤٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٤٦.

٢ - القحّة: الوقاحة. انظر: لسان العرب ٢: ٦٣٧.

٣ - وجهٌ صَفِيقٌ بَيِّنُ الصَّفَاقَةِ، أي وَقِحٌ. تاج العروس ١٣: ٢٧٣.

٤ - المقنع للشيخ الصدوق: ٤٠١، رسائل الشريف المرتضى ٣: ١٢٤.

الباطل، ﴿وَحَسِبَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾^(١)، فكان الصلح في تلك الظروف هو الواجب والمتعين على الحسن، كما أنّ المحاربة والثورة على يزيد في تلك الظروف كانت هي الواجب والمتعين على أخيه الحسين... كل ذلك للتفاوت بين الزماتين، والاختلاف بين الرجلين.

ولولا صلح الحسن الذي فضح معاوية، وشهادة الحسين التي قضت على يزيد، وانقرضت بها الدولة السفليانية بأسرع وقت، لولا تضحية هذين السبطين لذهبت جهود جدّهما بطرفة عين، ولصار الدين دين آل أبي سفيان دين الغدر والمكر، دين الفسق والفجور، دين الحانات والخمور، دين العهار، دين الفهود والقروء، دين إبادة الصالحين، واستبقاء الفجرة الفاسقين.

فجزا كما الله يا سيدي شباب الجنة، يا سبطي رسول الله، جزا كما الله عن الإسلام وأهله أفضل الجزاء، فوالله ما عبد الله عابداً ولا وحده موحدًا، وما حقّت فريضة، ولا أُقيمت سنّة، ولا ساغت في الإسلام شريعة، ولا زاغت من الضلال إلى الهدى أمة، إلا ولكما بعد الله ورسوله الفضل والمنّة، والحجّة البالغة والمحبّة.

جاء رسول الله بالهدى والنور والخير والبركة للإنسانية أجمع، من غير لون ولون، وعنصرٍ وآخر، وأمةٍ دون أمة، وقوم سوى آخرين.. جاء بالإسلام والنور المبين، فشيّد قواعده، وأحكمه، وقوّمه، وأكمله، وأتمّه، ولم يترك فيه أيّ نقص وأيّ عوجٍ.

وجاء أبو سفيان والشجرة الملعونة في القرآن^(٢) معاوية ويزيد ومروان، فحملوا معاول الكفر والشرك، وتحاملوا على تلك الأسس والقواعد، يقلعون جذورها، ويخمدون نورها ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّأ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٣)، فوقف السبطان بما لهما من قوّة وسلطان سدّاً منيعاً دون ذلك البنيان، وما تمّ لهما ما أرادا من حفظ شريعة جدّهما إلا بالتضحية العظمى بأنفسهم وأموالهم ورجالهم وأطفالهم، وبكلّ ما في دنيا النعمة والنعيم والعيش الوسيم، بذلوا كل ذلك في سبيل الله، وحفظ دين الله.

ولولا هذه التضحية وتلك المفاداة لأصبح دين الإسلام أسطورة من الأساطير، لا تجده إلا في الكتب والقماطير^(٤)، يذكره التاريخ كما يذكر الحوادث العابرة، والأمم المنقرضة.

١- سورة غافر: ٧٨.
٢- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَادِيثُ النَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوتُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (سورة الاسراء: ٦٠).
٣- سورة التوبة: ٣٢.
٤- القماطير والقماطير: جمع القمطر، وهو ما يصاب فيه الكذب. انظر تاج العروس ١٦٧: ٤.



(سبحان الله، والله أكبر، والله الحمد) من هنا تعرف - ويجب أن تعرف - السرّ في حفاوة المنقذ الأعظم، تلك الحفاوة البليغة، والتعظيم الخارج عن نطاق العرف والمعتاد، بل وعن رواق التعقل في تلك البلاد، ذلك النبي العظيم، والشخصية الحبيبة إلى المبدأ الأعظم، التي ملؤها هيبة وعظمة ووقاراً، والذي لا تهزه العواصف، ولا تستميله العواطف، ولا خامره في لحظة من عمره العبث واللهو واللعب، الذي كانت غريزته التي فطر عليها قوله: «ما أنا من ددٍ، ولا الددُ مني»^(١)، والذي كان من الوقار والهيبة والأتزان بحيث ربّما يدخل عليه الرجل الذي ما رآه من ذي قبل، فترتعد فرائصه من هيئته، فيقول له النبي ﷺ: «لا تفرغ فائي ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد»^(٢)، حذراً من أن يقول المسلمون فيه ما قالت النصراري في المسيح...

هذا الطود العظيم، يحمل الحسن والحسين - وهما طفلان - على كتفيه، ويمشي بهما وهما على متنيه في ملاء من المسلمين رافعاً صوته لسمعوا: «نعم الجمل جملكما، ونعم الراكبان أنتما»^(٣).

ثم يأتي الحسين وهو غلامٌ فيعلو على ظهر النبي، والنبي ساجدٌ، فلا يرفع رأسه حتى ينزل الحسين حسب إرادته^(٤). النبي يخطب، والحسين يدرج في المسجد، فيعثر، فيقطع النبي خطبته، ويدعو إليه ويحتضنه ويقول: «قاتل الله الشيطان، الولد فتنة، لما عثر ولدي هذا أحسست أنّ قلبي قد سقط مني»^(٥)... إلى غيره مما صدر عنه - سلام الله عليه - في ولدته مما لست بصدد إحصائه وجمعه^(٦).

ولكن أقول: إنّ هذا الشغف، والحبّ اللامتناهي، ليس لكونهما ابني بنته فحسب، فإنّ هذه النسبة لا تستوجب كلّ هذا العطف الخارق لسياج العرف والعادة، ولكن لا شك أنّ هناك أسراراً وأسباباً هي أدقّ وأعمق، أسرار روحية هي فوق هذه الوشائج الجسمية.

فهل ترى معي أنّ رسول الله ﷺ لعلّه ارتفع عن أفق الزمان، وأشرف بروحيته المقدسة من نافذة الدهر، وأطلّ على صحيفة التكوين من ألفه إلى يائه، فنظر إلى الماضي والحاضر والآتي نظرة واحدة، رأى الحوادث

١ - تحفة الفقهاء للسمرقندي ٣: ٣٤٥. والدد: اللهو واللعب. القاموس المحيط ١: ٢٩٢، معجم مقاييس اللغة ٢: ٢٦٦.

٢ - المستدرک للحاکم النيسابوري ٢: ٤٦٦، ٤٨: ٤٨٣، الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي ٦: ١١١، الطبقات الكبرى لابن سعد ١: ٢٣.

٣ - ينابيع المودة لذوي القربى للقمي ٢: ٢١٩، وقريب منه شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ٢: ٣٧٤، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ١٥٨، وقد أفاضت كتب الفضائل في ذكر فضائل الإمام الحسن المجتبي ﷺ.

٤ - دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٢: ٢٨٠.

٥ - أنساب الأشراف ٢: ٢٧٠ عن أبي داود في كتاب الصلاة، حديث (١١٠٩)، والترمذي في حديث (٣٧٧٤)، والنسائي في حديث (١٤١٣)، كنز العمال للمتقي الهندي ٨: ١٢٣.

٦ - للمزيد راجع كتب السيرة والفضائل عن أهل البيت ﷺ كدلائل الصدق للشيخ محمد حسن المظفر، وإحقاق الحق وشروحه للقاضي الشهيد نور الله التستري، ومناقب ابن شهر آشوب، وفضائل الخمسة من الصحاح الستة للسيد الفيروزآبادي، وغيرهم.

الآتية ممثلة بعينها في صحيفة الوجود لا بصورها على شاشة التمثيل، رأى ما كابد ولداه من الدفاع عن دينه، والحماية لشريعته، والتضحية بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، وأنهم أركزوا في المفاداة كلّ غال وعزيز.

تجرّع الحسن السّم من معاوية مراراً^(١)، حتى قضى بالمرّة الأخيرة التي تقيّاً بها كبده قطعةً قطعةً، ثمّ ضرب الحسين المثل الأعلى في التضحية والمفاداة لحفظ شريعة جدّه، فاستقبل السيوف والرماح والسهام، وجعل صدره ونحره ورأسه ورتنه، وقايةً عن المعاول التي اتخذها بنو أمية لهدم الإسلام وقطعه من أساسه، ونصّب نفسه وأولاده وأنصاره الغرّ الميامين هدفاً وشبهاً لوقاية الإسلام من أن تنهار دعائمه، وتهدّد قواعده وقوائمه، بهجمات الأمويين عليه، حتى سلم الإسلام، وأشرقت أنواره، وعُلمت أسراره، وهلك الكافرون

﴿وَحَسْبَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾^(٢).

وكلّ مسلم من أوّل إسلام الناس إلى اليوم - بل وإلى يوم القيامة - مدينٌ ورهينٌ بالشكر والمثّة لهذين الإمامين، ولولا تضحيتهما التي ما حدّث التاريخ بمثلها أبداً - نعم، لولا تلك التضحية - لعاد الناس بمساعي الأمويين إلى جاهليّتهم الأولى، بل أنعس.

إذاً، فهل تستغربُ من النبي ﷺ تلك الحفاوة والتعظيم لهما وهما طفلان صغيران، وقد عرفَ - بل رأى بعين بصره - تلك الحوادث الفجيعة، وذلك الكفاح المرير من أجله وفي سبيله؟! وكان يشتمهما ويضتمهما ويقول: «هما ولدائي وريحانائي»^(٣).

وباليقين أنّه كان يتنسّم منهما العبق الربوبي، ويتوسّم بهما الألق الإلهي، وبهذا نعرف - ويجب أن نعرف - أنّ الحسن والحسين نورٌ واحد لا يفضل أحدهما على الآخر قدّر عرّض شعرة، كلٌّ واحدٍ منهما قد قام بواجبه، وأدّى رسالته، وعمل بالمنهاج المقرّر له من جدّه وأبيه، والصكّ الذي تسلّمه في أوّل يوم من إمامته^(٤).

١ - بحار الأنوار ٤٤: ٤٧٧، المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٧٣، دلائل الإمامة: ١٦٠.

٢ - سورة غافر: ٧٨، وكانت كلمة الله العليا، وكلمة أعدائه السفلى إشارة إلى الآية ٤٠ من سورة التوبة: ﴿إِلَّا تَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودِهِ لَمَّا تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

٣ - انظر: الكافي ٦: ٢، الأمالي الشيخ الصدوق: ٢٠٧، شرح الأخبار القاضي النعمان المغربي ٣: ١١٤، الروضة في فضائل أمير المؤمنين ﷺ: ٢١٢، مسند أحمد ٢: ٨٥ و ٩٣ و ١١٤ و ١١٥ و ١٥٣، ٥١: ٥، فضائل الصحابة للنسائي: ٢٠٠، المستدرک علی الصحیحین ٢: ٣٤٨.

٤ - في الكافي ١: ٢٨١ / ح ٢ بسنده عن الصادق ﷺ، قال: «إنّ الله عزّ وجلّ أنزل على نبيّه كتاباً قبل وفاته ... وكان على الكتاب خواتيم من ذهب، فدفعه النبي ﷺ إلى أمير المؤمنين ﷺ، وأمره أن يفكّ خاتماً منه ويعمل بما فيه، فكفّ أمير المؤمنين ﷺ خاتماً وعمل بما فيه، ثمّ دفعه إلى ابنه الحسن فكفّ خاتماً وعمل بما فيه ...».



إذا أردت التوسّع في معرفة عظمة الحسن - سلام الله عليه - وشجاعته، ورسالته، وقوّة قلبه، وشدّة عارضته، وبلغ حجّته، وعدم اكتراثه بزخارف الملك، وأُتْمَة السلطان، فانظر الى كلماته واحتجاجاته في مجلس معاوية مع رؤوس المنافقين^(١)، وضروس الكفرة الملحدين، الَّذِينَ كان معاوية يُحَرِّسُ بينهم وبين الحسن ليضحك على ذقونهم، كابن العاص، وابن شعبة، ومروان، ونظرائهم من زبانية جهنم الذين ما آمنوا بالله طرف عين.

انظرها واعجب بها ما شئت، هناك تتمثّل لك العظمة في أوج رفعتها، وتتصور لك البسالة في موج لجّتها، وإن شئت المزيد فانظر إلى كلماته في ساعة الموت^(٢)، ويوم انطلاقه من هذا السجن^(٣)، في حقّ أخيه الحسين، هنالك تنفتح لك أغلاق أسرار الامامة، ويتّضح لديك إشراق أنوار النبوة والزعامة، وتعرف الرّعوِيّة النبويّة، والولاية الكلّيّة، ﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ﴾^(٤) و ﴿التَّيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^(٥)، و «من كنت مولاه فعليّ مولاه»^(٦)، و ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾^(٧).

وقد زحف القلم، وخرج عن المحدّد، واشتتم عن قصد الجادة وجادة القصد، إمّا القصارى التي أردتها من كلمتي هذه أنّ العداوة بين بني هاشم وبنو أمية ذاتيّة متأصّلة، هي عداوة الهدى للضلال، والنور للظلام. ويشهدُ لذلك أنّك لو استعرضت سيرة بني أمية من أولهم من عبد شمس، إلى آخرهم مروان الحمار، لم تجد في صحيفة الكثير - بل الأكثر - منهم إلا الغدر والمكر، ونكث العهود، والفسق والفجور، والعهر والخنا، وأنباء الزنا، إلى كلّ ما يتحمّله لفظ الرذيلة من المعاني.

وإذا استعرضت سيرة بني هاشم من أولهم ليومنا هذا، لم تجد في صحيفة الكثير - بل الأكثر - منهم إلا كلّ ما يتحمّله لفظ الفضيلة، من الوفاء، والصدق، والشجاعة، والعفة، وطهارة المولد، وشرف النفس، وعلوّ الهمة، والتضحية في سبيل المبدأ، وما إلى ذلك من كرم الأخلاق، وطهارة الأعراق.

وهب أنّ هناك من يعذر بني أمية في عداوتهم لبني هاشم ويقول: إنهم اتخذوها ذريعة ووسيلة الى الملك

١- انظر: الاحتجاج ١: ٤٠٢، ١٣: ٢.

٢- بحار الأنوار ٤٤: ١٣٨.

٣- وهو قوله ﷺ للحسين ﷺ: «إنّ الذي يؤتى إليّ سمّ يُدسُّ إليّ فأقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدعون أنّهم من أمة جدّنا محمد ﷺ ويتحلون الإسلام، فيجتمعون على قتلك، وسفك دمك، وانتهاك حرمتك، وسي ذراريك ونسائك، وانتهاج ثقلك، فعندها تحلّ ببني أمية اللعنة، وتمطر السماء رماداً ودماً، ويكي عليك كلّ شيء حتى الوحوش في الفلوات والحيّتان في البحار». أمالي الصدوق: ١٧٧/ ح ١٧٩.

٤- سورة الكهف: ٤٤.

٥- سورة الاحزاب: ٦.

٦- تواتر حديث الغدير عند الفريقين، وهو أشهر من أن يُنكر، وما ينكره إلا من ران على قلبه.

٧- سورة المائدة: ٥٥.

والسلطان، ولكن ما عذر الموالين لبني أمية في هذا العصر؟! ما عذر الأموية الحديثة التي لا تنال بذلك حظاً من حظوظ الدنيا، ولا نصيباً في الآخرة!؟

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(١)، ﴿خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(٢).

والحمد لله الذي فقأ عيني الكفر والنفاق، وأقر عيني الإسلام والإيمان بالحسن والحسين، والعترة الطاهرة، ونسأله تعالى كما منّ علينا بمعرفتهم وولائتهم أن يحشرنا في زمرة، ويكرمنا بشفاعتهم، والبراءة من أعدائهم وعداوتهم:

[من المتقارب]

أُولَئِكَ مِمَّا دَخَلَتْ مِرْزَاتُهُ وَمَا صَطَبَ الرَّعْدُ أَوْ جَلَبَجَلًا
وَأَبْرَأُ تَمَمًّا مِنْ يَعَادِيكُمْ مِمَّا فَإِنَّ الْبِرَّ رَاءَ شَرْطِ الْوَلَايَةِ^(٣)

وحقاً أنّ الزكيّ أبا محمّد - سلام الله عليه - في المدة القصيرة التي عاشها بعد أبيه تحمّل من الرزايا والمحن ما لم يحتملها نبيٌّ، وما هي بأقلّ من المصائب التي جرت على أخيه أبي عبد الله ﷺ يوم الطف، فإنّ النكبة الأليمة، والضربة الأثيمة في الأخوين واحدة وإن اختلفت الأشكال والأساليب.

وكما أنّ الحسين قابلَ رزاياه بالصبر الذي عجبت منه ملائكة السماوات، فكذلك الحسن قاتل عدوّه، وقابل آلامه وأرزاءه بصبرٍ عجيب، وصدرٍ رحيب، ما هان يوماً ولا لان، ولا تضرّع ولا استكان، وما أخذ من أمواله التي اغتصبها معاوية منه - وصارت العوبة بأيدي بني أمية، ما أخذ - واحداً من آلاف، بل من مئات الآلاف، وكما لا مساغ للتفاضل بين هذين النبرين، كذلك لا يصحّ القول بأنّ صبر الحسن دون صبر الحسين، أو أنّ مصيبتة أهون المصيبتين.

فسلام الله عليكما يا إمامي الهدى، وسليبي عليّ والزهاء، ما أزهرت الفضيلة، واكفهرت الرذيلة.

وأختم كلمتي بأبيات من خاتمة قصيدة رثاءٍ لسيد الشهداء، نظمها منذ مدّة تزيد على خمسين سنة، أستهلّها:

١ - سورة الكهف: ١٠٣ - ١٠٤.

٢ - سورة الحج: ١١.

٣ - من قصيدة لأبي الحسن مهيار الديلمي المتوفى سنة ٤٢٨ هـ في مدح أهل البيت ﷺ، وتجد هذا الشعر وترجمته في الغدير ٣٣٨:٤.

[من الطويل]

تُحَدُّوا المَاءَ من عَيْئٍ والنَّارَ من قَلْبِي ولا تَحْمَلُوا للبرقِ مَنّاً ولا السُّحْبِ

وأخـرها:

لئن عُدَّتْ الأحسابُ للفخرِ أو غَدَّتْ تُطَاوِلُ بالأنسابِ سيارَةَ الشُّهْبِ
فَمَا نَسَبِي إِلَّا انتسابي إِلَيْكُمْ وما حَسْبِي إِلَّا بَأْنُكُمْ حَسْبِي

حرّر هذه الكلمة بأنامله الرقيقة، وأقلامه السقيمة، مرتجلاً مترسلاً في بضع سويعات، آخرها يوم الحادي والعشرين من شهر رمضان، يوم وفاة سيّد الوصيّين، وإمام الصديقين، أمير المؤمنين عليه آلاف السلام والتّحية، سنة ١٣٧٣ هـ.

محمد الحسين آل كاشف الغطاء
بمدرسته العلميّة بالنجف الأشرف



مجلة الزكي العلميّة
AL-ZAKI - QUARTERLY AUTHORIZED JOURNAL

المصادر

- ١- الاحتجاج: للشيخ الطبرسي، تحقيق السيد محمد باقر الخراسان، دار النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.
- ٢- إحقاق الحق: للشهيد نور الله التستري.
- ٣- أدب الطف: للسيد جواد شبر، مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأولى.
- ٤- الاستغاثة: لأبي القاسم الكوفي.
- ٥- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
- ٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة: لعز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٧- إسعاف الراغبين: لابن الصبان، طبعة مصر
- ٨- الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- ٩- الأمالي: للشيخ الصدوق، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، الطبعة الأولى ١٤١٧.
- ١٠- الإمامة والسياسة: لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: علي شيري، منشورات الشريف الرضي، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
- ١١- إنجيل متى، الاصحاح السابع.
- ١٢- أنساب الأشراف: للبلاذري، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٤ هـ.
- ١٣- بحار الأنوار: للعلامة المجلسي، تحقيق محمد الباقر البهبودي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣ م.
- ١٤- البداية والنهاية في التاريخ: لابن كثير الدمشقي، تحقيق علي شيري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.
- ١٥- تاج العروس: للزبيدي، تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- ١٦- تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري): للطبري، تحقيق: نخبة من العلماء الأجلاء، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣ هـ.



- ١٧- تاريخ المدينة المنورة: لابن شبه، تحقيق فهم محمد شلتوت، دار الفكر، قم، ١٤١٠ هـ.
- ١٨- تاريخ يعقوبي: لأبن واضح الكاتب العباسي، دار صادر، بيروت.
- ١٩- تاريخ مدينة دمشق: لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ.
- ٢٠- تحفة الفقهاء: للسمرقندي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣.
- ٢١- تذكرة الحفاظ: للذهبي، طبعة حيدر اباد.
- ٢٢- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: للثعالبي النيسابوري، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف.
- ٢٣- الجمل: للشيخ المفيد، تحقيق: السيّد علي مير شريف، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
- ٢٤- جواهر التاريخ: للشيخ علي الكوراني، نشر الباقيات، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ.
- ٢٥- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: لجلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت.
- ٢٦- دلائل الامامة: لمحمد بن جرير الطبري، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
- ٢٧- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٢٨- رسائل الشريف المرتضى: للشريف المرتضى، مطبعة الخيام، قم، ١٤٠٥ هـ.
- ٢٩- روح المعاني (تفسير الألوسي): للألوسي.
- ٣٠- الروضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: لشاذان بن جرير القمي، تحقيق علي الشكرجي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.
- ٣١- سير أعلام النبلاء: للذهبي، تحقيق حسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣ هـ.
- ٣٢- شرح الأخبار: للقاضي النعمان المغربي، تحقيق السيد محمد الحسيني الجلاي مؤسسة النشر الإسلامي،
- ٣٣- شرح نوح البلاغة: لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٣٤- صبح الأعشى في صناعة الإنشا: لأحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين،

دار الكتب العلمية.

- ٣٥- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): لابن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ.
- ٣٦- الطبقات الكبرى: لابن سعد، دار صادر، بيروت.
- ٣٧- العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي سلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون): لابن خلدون، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٣٩١ هـ.
- ٣٨- العقد الفريد: لابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ.
- ٣٩- عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب امام الأبرار: لابن البطريق الأسدي، مؤسسة النشر الاسلامي، قم.
- ٤٠- العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي، الطبعة الثانية مؤسسة دار الهجرة، ١٤١٠ هـ.
- ٤١- الغدير: للشيخ عبد الحسين الأميني، دار الكتاب العربي، ١٩٧٧ م.
- ٤٢- الفتوح: لابن أعمش الكوفي، تقديم: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.
- ٤٣- فضائل الصحابة: للنسائي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٤٤- قاموس الرجال: للشيخ محمد تقي التستري، تحقيق و نشر: مؤسسة النشر الاسلامي، قم، الطبعة الأولى،
- ٤٥- القاموس المحيط: للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥ م.
- ٤٦- الكافي: للشيخ الكليني، تحقيق علي أكبر الغفاري، الطبعة الثالثة، مطبعة حيدري، ١٣٦٧ ش.
- ٤٧- الكامل في التاريخ: لابن الأثير، بيروت، دار صادر، ١٣٨٥ هـ.
- ٤٨- الكامل في التاريخ: لابن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٤٠٢ هـ.
- ٤٩- كتاب الحيوان: للجاحظ، طبعة دار الكتب العلمية،
- ٥٠- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: للمتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق: الشيخ بكري حياني والشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩ هـ.
- ٥١- لسان العرب: لابن منظور، قم، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥ هـ.

- ٥٢- المحاسن والمساوي: للشيخ إبراهيم بن محمد البيهقي، بيروت، دار بيروت، ١٤٠٤ هـ.
- ٥٣- مروج الذهب ومعادن الجوهر: للمسعودي، ضبط وتدقيق يوسف أسعد داغر، دار الهجرة، قم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ.
- ٥٤- المستدرك على الصحيحين: للحاكم النيسابوري، تحقيق: يوسف عبد الرحمن مرعشلي، دار المعرفة، بيروت.
- ٥٥- مسند أحمد: لأحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت.
- ٥٦- معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، دار احياء التراث العربي.
- ٥٧- مقاتل الطالبين: لأبي الفرج الأصفهاني، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف.
- ٥٨- المقنع: للشيخ الصدوق، مطبعة اعتماد، ١٤١٥ هـ.
- ٥٩- مناقب آل أبي طالب: لابن شهر آشوب، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف، النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، ١٣٧٦ هـ.
- ٦٠- النزاع والتخاصم: للمقرئ، تحقيق السيد علي عاشور.
- ٦١- النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، مؤسسة إسماعيليان، قم، الطبعة الرابعة، ١٣٦٤ ش.
- ٦٢- نهج البلاغة: جمعه الشريف الرضي، ضبط نصه وابتكر فهرسه العلمية: الدكتور صبحي صالح الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م، بيروت.
- ٦٣- ينابيع المودة لذوي القربى: للقندوزي، دار الاسوة، ١٤١٦ هـ.

سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ
الإمام الحسن عليه السلام

رواية

عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغدادي
(٢١٤ - ٣١٧)

استخراج وتحقيق:

الشيخ محمد كاظم المحمودي^(١)
الحوزة العلمية - قم المقدسة

١ - باحث ومحقق في التراث الإسلامي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية بقم المقدسة.

ملخص المقالة

يجمع الكاتب مجموعة من الروايات في سيرة الإمام الحسن المجتنب عليه السلام وفضائله برواية عبدالله ابن محمد بن عبدالعزيز البغوي البغدادي (٢١٤ - ٣١٧ هـ) من علماء أهل السنة في القرن الرابع الهجري.

بلغت هذه الأحاديث واحداً وعشرين حديثاً، مسنداً، اعتمد في تحقيق ١٣ حديثاً منها على كتاب معجم الصحابة للبغوي في ضمن ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، وسبعة أحاديث منها على تاريخ مدينة دمشق، وحديث واحد منها على معجم البغوي.

الكلمات الأساسية: الإمام الحسن عليه السلام، السيرة، الفضائل، عبدالله بن محمد البغوي. صاحب معجم الصحابة.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على هدايته لدينه، والتوفيق لما دعا إليه من سبيله، وعلى ما آتسنا بالقرآن العظيم والعترة النبوية، فهما الثقلان اللذان خلفهما رسول الله ﷺ، لهداية الأمة والنجاة من الضلال.

وبعد، فهذه مجموعة روائية في ترجمة رجحانة النبي ﷺ، الحسن بن علي ؑ، تحتوي على واحدٍ وعشرين حديثاً برواية أبي القاسم البغوي، أخذناها من كتابه (معجم الصحابة) المطبوع بالكويت بتحقيق محمد الأمين الجكني، ويحتوي على الأحاديث ١٣٠١، وأما الأحاديث ١٤٠١ - ٢٠٠١ فاستلناها من تاريخ دمشق (ج ١٣) من ترجمة الإمام الحسن ؑ، بسند الحافظ ابن عساكر إلى البغوي، والحديث ٢١ من الجزء الخامس من معجم البغوي (٥: ١٥٣).

البغوي في سطور:

واليك أولاً خلاصة ترجمة البغوي من سير أعلام النبلاء.

عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهان شاه، الحافظ الإمام الحجّة المُعَمَّر، مسند العصر، أبو القاسم البغوي الأصل، البغدادي الدار والمولد. منسوب إلى مدينة بَغشور من مدائن إقليم خراسان، وهي على مسيرة يوم من هراة. كان أبوه وعمه الحافظ علي بن عبدالعزيز منها.

وهو أبو القاسم بن منيع؛ نسبة إلى جدّه لأمه الحافظ أبي جعفر أحمد بن منيع البغوي الأصم صاحب (المسند). ولد سنة ٢١٤ هـ، حرص عليه جدّه وأسمعه في الصغر سنة ٢٢٥ هـ، وروى يزيد من مائة ألف حديث لم يهَم في شيء منها، ومات سنة ٣١٧ هـ.

ثمّ روى الذهبي من طريق البغوي حديث جابر بن سمرة: أنّ رسول الله ﷺ قال: «يكون بعدي اثنا عشر أميراً... كلّهم من قريش»^(١).

ترجمة الإمام الحسن ؑ من معجم الصحابة

١- قال الحافظ عبد الله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي في أول ترجمة سيّد شباب أهل الجنة الحسن بن علي ؑ: حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، يكتنى أبا محمّد، سكن المدينة والكوفة، وروى عن النبي ﷺ،

ومات بالمدينة^(١).

٢- حدّثني عمي، قال: حدّثنا، الزبير قال: ولد الحسن بن علي - رضي الله عنه - في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة^(٢).

٣- قال الزبير [بن بكار]: حدّثني أبو ضمرة [أنس بن عياض الليثي]، عن جعفر بن محمد [بن علي ابن الحسين]، عن أبيه: أنّ رسول الله ﷺ «سمّى حسناً وحسيناً - رضي الله عنهما - يوم سابعهما، واشتقّ اسم حسين من حسن، وأنّ فاطمة - رضي الله عنها - حلفت حسناً وحسيناً يوم سابعهما، ووزنت شعرهما، وتصدّقت بوزنه فضّة»^(٣).

٤- حدّثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني، حدّثنا عمرو بن حريث، عن بردعة بن عبد الرحمن، عن أبي الخليل، عن سلمان، قال: قال رسول الله ﷺ: «سمّى هارونُ ابنيّه شبراً وشبيراً، وإيّ سمّيّ ابنيّ الحسن والحسين - رضي الله عنهما - بما سمّي به هارون ابنيه شبراً وشبيراً»^(٤).

٥- حدّثنا علي بن الجعد، قال: أخبرني مبارك [بن فضالة]، عن الحسن [البصري]، عن أبي بكر، عن النبي ﷺ، قال: «إنّ ابني هذا سيّد، عسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين».

١- وكان سكنه الكوفة عندما اتخذها أمير المؤمنين عليه السلام مقرّاً لخلافته، وبقي بها بعد مقتل أبيه عدّة أشهر إلى زمن معاهدة الصلح، فرجع بعد المعاهدة إلى المدينة. وتجد بعض رواياته عن جدّه في هذه المجموعة.

٢- ومثله في مصادر متعدّدة فلاحظ: ج ١٣ من تاريخ دمشق، وعليه اليوم مُجْبُوهُ في أرجاء العالم حيث يحتفلون سنوياً بذكرى ميلاده في النصف من شهر رمضان.

٣- ورواه محمد بن سعد، عن أبي ضمرة. طبقات ابن سعد/ الحديث السابع من القسم المتمم. ورواه عن جعفر الصادق:

١. أبوبكر بن عبدالله بن أبي سبرة. طبقات ابن سعد/ ذيل الحديث السابع.

٢. حسين بن علوان. مناقب الكوفي ٢: ١٠٧/ ح ٧٥٧.

٣. سعيد بن محمد. طبقات ابن سعد/ ذيل الحديث السالف ببعضه.

٤. سليمان بن بلال. طبقات ابن سعد/ الحديث السابع من ترجمة الإمام عليه السلام.

ورواه ربيعة بن أبي عبد الرحمن وعمرو بن دينار، عن محمد بن علي بن الحسين الباقر ببعضه. طبقات ابن سعد في ترجمته من القسم المتمم.

ورواه عبدالله بن محمد بن عقيل، عن علي بن الحسين عليه السلام. طبقات ابن سعد كذلك بأسانيد، وفي بعضها رواه عن أبي رافع.

وفي الباب عن حسن بن محمد بن علي بن أبي طالب وعائشة وغيرهما.

٤- رواه أبو أحمد الحاكم في الكنى من طريق البغوي، وابن عساكر في ترجمة الإمام الحسن من تاريخ دمشق بسندين إلى البغوي، الأول باختصار.

ورواه أحمد بن إبراهيم بن شاذان، عن ابن حريث. مناقب ابن المغازلي: ٤٤٣/ ح ٤٣٣.

ومالك بن إسماعيل، عن ابن حريث. طبقات ابن سعد ١: ٢٤٢/ ح ١٧٣، والمعجم الكبير ٣: ٩٧/ ح ٢٧٨، و٦: ٢٦٣/ ح

٦١٦٨، وتاريخ البخاري ٢: ١٤٧/ الرقم ٢٠٠١.

وللحديث طرق ومصادر تجد بعضها في تعليقتنا على مناقب ابن المغازلي.



يعني الحسن رضي الله عنه»^(١).

٦- حدّثنا عبدالله بن عمرو الكوفي، نا أبو أسامة، نا ثابت بن عمارة الحنفي، عن ربيعة الحنفي، قال:

قلت للحسن بن علي عليه السلام: ما تذكر من رسول الله ﷺ? قال: «صعدت معه غرفة الصدقة، فأخذت تمرّة وألقيتها في فمي، فظن بها، فقال: ألقها، فإنّها لا تحلّ لرسول الله ولا لأحدٍ من أهل بيته»، قال: «وأدخل أصبعه في فمي فألقاها»^(٢).

٧- حدّثنا عبدالله بن عمر، نا وكيع، عن ثابت بن عمارة البصري، عن ربيعة بن شيان، قال: قلت للحسين بن علي عليه السلام ... وذكر الحديث^(٣).

قال أبو القاسم: خالف وكيع أبا أسامة، في حديث أبي أسامة: «الحسن بن علي»، وفي حديث وكيع: «الحسين بن علي» رضي الله عنهما.

٨- حدّثنا أحمد بن إبراهيم الدّورقي، قال: سمعت أبا نعيم [فضل بن ذكين] يقول: مات الحسن بن علي عليه السلام سنة ثمان وخمسين^(٤).

١- مسند ابن الجعد: ٤٦٢/ ح ٣٢٩٩.

وحديث مبارك ابن فضالة تجده أيضاً في مسند أحمد ٩٨:٣٤ و١٤٨/ ح ٢٠٤٤٨ و٢٠٥١٦، وتاريخ دمشق ١٣:٢٣٥ بأسانيد، وطبقات ابن سعد ١:٢٥٧/ ح ١٩٠ (التمم)، ودلائل أبي نعيم: ٥٥٤/ ح ٤٩٤، وفضائله: ٢٢٠/ ح ١٢٤، وحثه ٢:٣٥، ودلائل البيهقي ٦:٣٤/ ح ٢٥٩١، والبحر الزخار ٨:٤٩١/ ح ٣٠٨٥ و٣٠٨٦، وعمل اليوم للدينوري ٢:٢٤٠/ ح ٣٨٨، وتذكرة الحفاظ ٢:٦٠٩ عن ابن ديزيل.

ورواه جماعة عن الحسن البصري، وغيره فانظر تحريجاته ذيل الحديث ٣٠٥ من كفاية الطالب.

٢- ورواه ابن أبي شيبة عن أبي أسامة. المصنف ٣:١٠٤/ ح ٢٠.

ورواه عن ثابت أيضاً:

١. أبو عاصم ضحاك بن مخلد. الذرية الطاهرة: ١٣١/ ح ١٢١، ومعاني الآثار ٢:٦، و٣:٢٩٧، والتمهيد ٣:٨٩٠.

٢. عثمان بن عمر. كفاية الخطيب: ٧٥٠.

٣. ابن أبي عدي. صحيح ابن خزيمة ٤:٦٠٠/ ح ٢٣٤٩٠.

٤. علي بن غراب. الذرية الطاهرة: ١١٣/ ح ١٢١.

٥. محمّد بن بكر: مسند أحمد ٣/ ٢٥٠: ح ١٧٢٤، والذرية ١١٣: ح ١٢١.

٦. وكيع كما في التالي.

٣- ورواه أحمد وعبدالله بن أبي شيبة وعثمان بن أبي شيبة عن وكيع. مسند أحمد ٣:٢٥٥/ ١٧٣١ وفيه الحسين أيضاً، ومصنف الكوفي ٣:١٠٤/ ح ٢، والمعجم الكبير ٣:٨٦/ ح ٢٧٤ وفيه الحسن.

ورواه بريد عن ربيعة كما في مصادر متعدّدة.

وفي الباب عن رشيد بن مالك وأبي يعلى الأنصاري وغيرهما.

٤- ورواه عبيد الله العشي، وعثمان بن أبي شيبة، عن أبي نعيم. تاريخ دمشق ١٣:٣٠٥/ ح ٤٠٤ و٤٠٦، إلا أنّ في ٤٠٦ تردد

بين ٥١ و ٥٨. قال البخاري: وغلط أبو نعيم فقال سنة ٥٨.

ورواه ابن شبة، عن أبي نعيم. المعجم الكبير ٣:١٢/ ح ٢٥٥٨.

٩- حدثنا شيبان بن فروخ، نا سلام بن مسكين، نا عمران بن عبدالله، قال:

رأى الحسن بن علي عليه السلام رؤيا كأنه مكتوب بين عينيه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فاستبشر بذلك واستبشر به أهله، فذكر ذلك لسعيد بن المسيّب، فقال: إن صدقت رؤياك فإنه قل ما بقي من أجلك، فما لبث إلا أياماً حتى مات رضي الله عنه^(١).

١٠- حدثني جدّي، نا أبو أحمد الزبيري، نا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن هانئ بن هانئ، عن علي، قال: «الحسن أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الرأس إلى الصدر، والحسين من أسفل ذلك»^(٢).

١١- حدثني محمد بن عباد المكي، نا عبدالله بن معاذ الصنعاني، عن معمر، عن الزهري، عن أنس، قال: كان الحسن بن علي أشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(٣).

١٢- حدثني جدّي أحمد بن منيع، نا يزيد بن هارون، أنا [إسماعيل] بن أبي خالد، قال: سمعت أبا جحيفة يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان أشبه الناس به الحسن بن علي^(٤).

واضطرب المؤرخون في تاريخ وفاته، فقبل ٤٧ و قبل ٤٨ و قبل ٤٩ و قبل ٥٠ ولعله الصحيح، وقيل ٥٩. ولعل بعض وجه الخلاف أنهم خلطوا بين مبلغ عمره وسنة وفاته، وخلطوا أيضاً بين ترجمة الحسنين عليهما السلام.
ورواه عن المستدرک ٣: ١٧٦.

١- ورواه عن سلام أيضاً:

١. أبو سلمة المنقري. تاريخ دمشق ١٣: ٢٨١ / ح ٣٣٣ ب.

٢. عبدالصمد بن عبدالوارث. المستدرک ٣: ١٧٦.

٣. عبدالملك الأصمعي. تاريخ دمشق ١٣: ٢٨١ / ح ٣٣٣.

٤. علي المدائني. أنساب الأشراف ٣: ٢٩٧ / ٧٠.

٥. موسى بن إسماعيل. طبقات ابن سعد ١: ١٥٩ / ٢٩٢ (المتمم).

وهذا الحديث غير صحيح المتن، فلاحظ.

٢- ورواه محمد بن سعد، عن الزبيري محمد بن عبدالله الأسدي طبقات ابن سعد ١: ٢٤٧ / ح ١٨٠.

ورواه عن إسرائيل أيضاً أسود بن عامر، وحجاج بن محمد، وشبابة بن سوار، وعبيدالله بن موسى، ومالك بن إسماعيل. مسند أحمد ٢: ٢١٢ / ح ٨٥٤، ٢: ١٦٤ / ح ٧٧٤، وفضائله: ٢٧٠ / ح ٣١٦، وصحيح ابن حبان ١٥: ٤٣٠ / ح ٦٩٧، وسنن الترمذي ٦: ١٢٠ / ح ٧٩.

وطبقات ابن سعد ١: ٢٤٧ / ح ١٨٠.

ورواه قيس بن ربيع، عن أبي إسحاق. مسند الطيالسي ٢٠: ١٣٠.

ولاحظ التوالي.

٣- ورواه عن معمر:

١. عبدالأعلى. تاريخ دمشق ١٣: ١٧٨ / ح ٤٦ و ٤٧، عن أبي يعلى وغيره.

٢. عبدالرزاق. المصنف ١١: ٤٥٣ / ح ٢٠٩٨٤، وعنه أحمد والترمذي والبخاري وغيرهم.

٣. عبدالله بن مبارك. مسند الموصل ٦: ٢٧٧ / ح ٣٥٨٥، والمستدرک ٣: ١٦٨.

٤. هشام بن يوسف. صحيح البخاري: ٣٧٥٢.

٤- ورواه عن ابن هارون أيضاً:



١٣- نا الحسن بن إسرائيل الأهوازي، نا عيسى بن يونس، عن عمر بن سعيد بن أبي حسين، عن ابن أبي مليكة، عن عقبة بن الحارث، قال: رأيت أبا بكر مَرَّ بحسن بن علي وهو يلعب مع الغلمان، فاحتمله على عنقه وجعل يقول: بأبي شبيهة بالنبي لا شبيهة بعلي، وعلي يضحك^(١).

مرويات أخرى:

١٤- وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة سيد شباب أهل الجنة الحسن عليه السلام من تاريخ دمشق (ج ١٣) بسنده إلى البغوي، قال:

أخبرنا داود بن عمرو، أخبرنا أبو أحوص، عن أبي إسحاق، عن بريد بن أبي مريم، عن أبي حوراء [ربيعة ابن شيبان السعدي]، قال الحسن بن علي: «علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله كلمات أقولهن في قنوت الوتر: رب اهديني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يُقضى عليك، إنّه لا يضلّ من واليت، تباركت ربنا وتعاليت»^(٢).

١٥- حدّثنا علي بن الجعد، حدّثنا شعبة، حدّثنا فضيل بن مرزوق، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن

١. أحمد بن حنبل. المسند ٤٢:٣١ / ح ١٨٧٤٥ و ١٨٧٤٨.

٢. أبو خيثمة زهير بن حرب. مسند الموصلي ١٨٧:٢ / ح ٨٨٥.

ورواه عن إسماعيل جماعة ذكرناهم ذيل الرقم ٤٣٥ من كفاية الكنجي.

١- ورواه عن عمر بن سعيد أيضاً:

١. بشر بن سري. فضائل أبي نعيم ٢٢٣/ ح ١٢٦.

٢. سفیان الثوري. مسند الموصلي ٤٢:١ / ح ٣٩، وتاريخ بغداد ١٣٩:١، وثقات العجلي: ٢٩٧، والمعجم الكبير ٢١:٣ / ح ٢٥٢٧، وطبقات ابن سعد ١:٢٤٦ / ح ١٧٨ (المتمم)، والشرعية ٥:٢١٤٨ / ح ١٦٣٤، والعيال: ٤٣١ / ح ٢٦٢.

٣. أبو عاصم. صحيح البخاري: ٣٥٤٢، وتاريخ دمشق ١٣:١٧٤ / ح ٣٣، والمستدرک ٣:١٦٨، وطبقات ابن سعد ١:٢٤٦ / ح ١٧٩، ومعجم السفر: ٤٦٤ / ح ١٥٨٤.

٤. عبدالله بن مبارك. صحيح البخاري: ٣٧٥٠.

٥. محمد بن عبدالله الزبيري. الآحاد والمثاني ١:٢٩٩ / ح ٤٠٩، ومسند أحمد ١:٢١٣ / ح ٤٠، وفضائله: ٢٥٢ / ح ٤٠١، والبحر الزخار ١:١٢٢ / ح ٥٣، ومسند المروزي: ١٤٤ / ح ١٠٦، والموصلي ١:٤١ / ح ٣٨، والمعجم الكبير ٣:٢١ / ح ٢٥٢٨، وتاريخ دمشق ١٣:١٧٥ / ح ٣٩، وطبقات ابن سعد ١:٢٤٦ / ح ١٧٩ (المتمم)، والشرعية ٥:٢١٤٧ / ح ١٦٣٣.

ورود نحوه في مصادر أخرى، وورد تارة منسوباً إلى فاطمة الزهراء عليها السلام فلاحظ تعليقه الحديث ٤٣٤ من كفاية الطالب للكنجي.

٢- تاريخ دمشق ١٣:١٦٤ / ح ١.

ورود من طريق أبي إسحاق أيضاً في المصنف للصنعاني ٣:١١٨ / ح ٤٩٨٤ و ٤٩٨٥، ومثله عند الدارمي وأبي داود والترمذي

والنسائي وغيرهم.

ورواه عن بريد أيضاً حسن بن عبيد الله، وحسن بن عمارة، وشعبة، ورواه أبو يزيد الزراد، عن أبي حوراء.

عازب، قال: قال رسول الله ﷺ للحسن بن علي: «اللهم إني أحبّه، فأحبّه، وأحبّ من يحبّه»^(١).

١٦- أخبرنا نصر بن علي، انبأنا علي بن جعفر بن محمد، حدّثني أخي موسى بن جعفر، عن آبائه، عن علي عليه السلام: «أنّ النبي ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين فقال: من أحبّ هاذين وأباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة»^(٢).

١٧- أخبرنا داود بن عمرو، أخبرنا إسماعيل بن عياش، حدّثنا عبدالله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن راشد، عن يعلى بن مّرة، قال: جاء الحسن والحسين يسعيان إلى رسول الله ﷺ، فجاء أحدهما قبل الآخر، فجعل يده في رقبته، ثمّ ضمّه إلى إبطه، ثمّ جاء الآخر، فجعل يده الأخرى في رقبته، ثمّ ضمّه إلى إبطه، ثمّ قبل هذا، ثمّ قبل هذا، ثمّ قال: «إني أحبّهما فأحبّهما». ثمّ قال: «أيتها الناس، إنّ الولد مَبْخَلَةٌ مَجْهَلَةٌ»^(٣).

١٨- أخبرنا عبدالله بن عون الخراز، أخبرنا إسماعيل بن عياش، حدّثني عبدالله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن راشد، عن يعلى، قال: جاء الحسن والحسين يسعيان إلى رسول الله ﷺ، فأخذ أحدهما فضمّه إلى إبطه، وأخذ الآخر فضمّه إلى إبطه الآخر، وقال: «هذان ريحانتي من الدنيا، من أحبّني فليحبّهما». ثمّ قال: «الولد مَبْخَلَةٌ مَجْهَلَةٌ»^(٤).

١- تاريخ دمشق ١٣: ١٨٧ / ح ٧٣ بإسناده إلى البغوي، وطبقات المحدثين ١: ١٩٤ عن البغوي مباشرة. ورواه عن فضيل أيضاً:

١. أبو أسامة. سنن الترمذي ٥: ٦٦١ / ح ٣٧٨٢.

٢. إسماعيل بن عمرو. مناقب ابن المغازلي: ٢٠٨ / ح ١٨٦.

٣. علي بن هاشم. تاريخ بغداد ١٢: ٩.

٤. محمّد بن فضيل بن غزوان. مناقب الكوفي ٢: ٦٤ / ح ٧١٨.

ورواه أشعث وشعبة عن عدي.

وفي الباب عن أبي هريرة، وغيره، فلاحظ ما علقناه على الحديث ١٨٦ من مناقب ابن المغازلي.

٢- عنه في تاريخ دمشق ١٣: ١٩٥ / ح ٩٥، ومناقب ابن المغازلي: ٤٣٣ / ح ٤٢٣.

ورواه عن نصر جماعة، ورواه علي بن موسى بن جعفر عليه السلام عن أبيه، وقد ذكرنا تحريجاته ذيل الرقم ٣١ من كفاية الكنجي،

والحديث ٤٢٣ من مناقب ابن المغازلي الواسطي.

وفي تاريخ بغداد، وتهذيب الكمال: أنّ نصر بن علي لما حدّث بهذا أمر المتوكل العباسي بضربه ألف سوط...

٣- تاريخ دمشق ٤: ١٤٩، و١٣: ٢١٣ / ح ١٤٥.

ورواه وهيب، ويحيى بن سليم، عن ابن عثمان، فلاحظ تحريجاته في كفاية الطالب للكنجي ١: ٥٩١ / ح ٣٢٣.

٤- تاريخ دمشق ١٣: ٢١٢ / ح ١٤٤، و١٤٩: ١٤٩ / ح ١١٤.

ورواه داود بن رشيد، وسعيد بن منصور، عن إسماعيل. تاريخ دمشق ١٤: ١٤٩ / ذيل ح ١١٤ إشارة، ولكل من فقراته طرف

وشواهد.

وفقرة «أتمها ريحانته» استقصينا طرق الريحانة في تعليقه الحديث ١٤٥ من الخصائص للنسائي، الطبعة الثانية عن أبي أيّوب،

وأبي بكر، وجابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري، وسلمان، وأمّ سلمة، وعائشة، وعبد الله بن الزبير، وابن عباس، وابن عمر،

وعتبة بن غزوان، وعروة البارقي، وعلي عليه السلام - موقوفاً ومرفوعاً - وأبي هريرة، وهلال بن خباب.



١٩- حدّثني ابن زنجويه، أخبرنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر، عن ابن خثيم، عن محمد بن الأسود بن خلف، عن أبيه: أنّ النبي ﷺ أخذ حسناً فقبله، ثمّ أقبل عليهم فقال: «إنّ الولد مَبْحَلَةٌ مَجْبَنَةٌ»^(١).

٢٠- حدّثني جدّي [أحمد بن منيع]، أخبرنا يزيد بن هارون، قال: وأخبرنا أحمد بن يحيى القطان، أخبرنا وهب بن جرير، قال: أخبرنا جرير بن حازم، أخبرنا محمد بن أبي يعقوب، عن عبدالله بن شداد، عن أبيه، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء [أو] الظهر أو العصر، وهو حاملٌ حسناً أو حسيناً، فتقدّم النبي ﷺ فوضعه، ثمّ كبر في الصلاة، فسجد بين ظهري صلاته سجدة أطالها.

فقال أبي: فرفعتُ رأسي، فإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، فرجعت في سجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس: يا رسول الله إنّك سجدت بين ظهري صلاتك سجدة أطلتها، حتّى ظننا أنّه قد حدث أمرٌ وأنته يوحى إليك!

قال: «كلّ ذلك لم يكن، ولكنّ ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتّى يقضي حاجته»^(٢).

٢١- حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدّثنا [محمد] بن فضيل، عن عطاء بن السائب، قال: أتيت أمّ كلثوم ابنة عليّ، فقالت: إنّ مولىّ لنبيّ الله - يُقال له كيسان - قال له النبيّ ﷺ في شيءٍ من أمر الصدقة: «إنّا أهل البيت نخبنا أن نأكل الصدقة، وإنّ مولانا من أنفسنا، فلا تأكل الصدقة»^(٣).

١- تاريخ دمشق ١٣: ٢١٣ / ح ١٤٦.

ورواه أحمد بن منصور وحسن بن مهدي، عن عبدالرزاق. كشف الأستار ٢: ٣٧٨ / ح ١٨٩١.

٢- تاريخ دمشق ١٣: ٢١٥ / ح ١٥٤.

ورواه وهب بن جرير، عن أبيه. تاريخ دمشق ١٣: ٢١٥.

ورواه موسى بن إسماعيل، عن جرير. تاريخ دمشق ١٣: ٢١٦.

ورواه مهدي بن ميمون، عن محمد بن عبدالله بن أبي يعقوب. تاريخ دمشق ١٣: ٢١٦.

٣- معجم الصحابة ٥: ١٥٣ ترجمة كيسان.

ورواه سفیان بن وكيع، عن ابن فضيل. مسند الروياني ١: ٢٦٩ / ح ٦٧٧.

ورواه عن عطاء أيضاً:

١. جرير. تاريخ دمشق ٤: ٢٨٠.

٢. حماد بن زيد. تاريخ دمشق ٤: ٢٨٠، والتاريخ الكبير ٧: ٤٢٨.

٣. سفیان الثوري. مصنف الصنعائي ٤: ٥١ / ح ٦٩٤٢، وعنه أحمد والطبراني والبعوي هذا في معجم الصحابة ٥: ١٥٣، وابن

عساكر في تاريخ دمشق ٤: ٢٨٤، والتاريخ الكبير ٧: ٤٢٧، وسنن البيهقي ٧: ٣٢٠، وسنن البغدادي والأموال لابن زنجويه ٣: ١١٤٥،

ومسند أحمد: ١٥٧٠٨، ومصنف الشيباني ٢: ٤٢٩ / ح ١٠٧١٠، ومسند الروياني ١: ٢٨٦ / ح ٧٣١.

٤. شريك. تاريخ دمشق ٤: ٢٧٣، عن البغوي هذا، ومعجم ابن قانع ٢: ٥٤٤ / ح ٤٩٤، والمعجم الكبير ٤: ٢٣٢ / ح ٤٢١٧.

٥. علي بن عباس. مسند الروياني ١: ٢٧٠ / ح ٦٨٠، وكنى الدولابي ١: ٢٦٤ / ح ٤٦٨.

٦. ورقاء بن عمر. معاني الآثار ٢: ٩، و٣: ٢٨٢، وتاريخ دمشق ٤: ٢٨٦، والمعجم الكبير ٢٠: ٣٥٤ / ح ٨٣٧.

وللحديث طرق كثيرة عن رسول الله ﷺ.

مصادر التحقيق

- ١- الأحاد والمثاني لابن أبي عاصم، طبعة الرياض، عام ١٤١١.
- ٢- أنساب الأشراف للبلاذري، تحقيق زكار، طبعة بيروت، وتحقيق شيخنا الوالد، طبعة قم، مجلدين منه.
- ٣- البحر الزخار للبخاري، طبعة المدينة المنورة، عام ١٤٣٠.
- ٤- بشارة المصطفى، طبعة العتبة العلوية بتحقيقي عام ١٤٣٦.
- ٥- تاريخ بغداد للخطيب، ١٤ مجلداً طبعة بيروت.
- ٦- تاريخ دمشق لابن عساكر، ٨٠ مجلد، طبعة دارالفكر بيروت.
- ٧- التاريخ الكبير للبخاري، ٨ مجلدات، طبعة بيروت والهند.
- ٨- تذكرة الحفاظ للذهبي، طبعة بيروت، دار إحياء التراث.
- ٩- التمهيد لابن عبد البر القرطبي (المكتبة الالكترونية).
- ١٠- معرفة الثقات للعجلي، طبعة بيروت.
- ١١- حلية الأولياء لأبي نعيم الإصبهاني، طبعة بيروت، عام ١٤٠٧.
- ١٢- دلائل النبوة لأبي نعيم الإصفهاني، طبعة بيروت، سنة ١٤٠٦.
- ١٣- دلائل النبوة للبيهقي، طبعة بيروت، عام ١٤٠٥.
- ١٤- الذرية الطاهرة للدولابي، طبعة قم، عام ١٤٠٧.
- ١٥- سنن الترمذي، طبعة بيروت، دار إحياء التراث.
- ١٦- السنن الكبرى للبيهقي، طبعة بيروت والهند.
- ١٧- سير أعلام النبلاء للذهبي، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت، عام ١٤٠٦.
- ١٨- الشريعة للأجري، ٥ مجلدات، طبعة الرياض، عام ١٤٢٠.
- ١٩- صحيح ابن حبان، ١٦ مجلداً، طبعة بيروت، عام ١٤١٤.
- ٢٠- صحيح ابن خزيمة، ٤ مجلدات، طبعة بيروت، تحقيق الأعظمي.
- ٢١- صحيح البخاري، طبعات شتى ومع شروحه.
- ٢٢- طبقات ابن سعد، ٨ مجلدات، طبعة دار صادر.
- ٢٣- طبقات ابن سعد، ٣ مجلدات، القسم المكمل، طبعة المدينة المنورة، عام ١٤٠٨.



- ٢٤- طبقات المحدثين بإصهبان لأبي الشيخ، ٤ مجلدات، طبعة بيروت، سنة ١٤٠٧.
- ٢٥- عمل اليوم والليلة للدينوري، طبعة الرياض، عام ١٤١٤.
- ٢٦- العيال لابن أبي الدنيا (المكتبة الألكترونية).
- ٢٧- فضائل أهل البيت لأحمد وابنه عبدالله والقطيعي، طبعة قم، بتحقيقي.
- ٢٨- فضائل الخلفاء لأبي نعيم الإصبهاني (المكتبة الألكترونية).
- ٢٩- كشف الأستار في زوائد البزار للهيتمي، طبعة بيروت، عام ١٣٩٩.
- ٣٠- كفاية الطالب للكنجي، مجلدان، طبعة قم، بتحقيقي.
- ٣١- الكفاية للخطيب البغدادي (المكتبة الألكترونية).
- ٣٢- الكنى والأسماء للدولابي، طبعة بيروت، عام ١٤٢١.
- ٣٣- المستدرک للحاكم، ٤ مجلدات، طبعة الهند وبيروت.
- ٣٤- مسند ابن جعد، طبعة الكويت، عام ١٤٠٥.
- ٣٥- مسند أبي بكر للمروزي (المكتبة الألكترونية).
- ٣٦- مسند أبي يعلى الموصلي، ١٣ مجلداً، طبعة بيروت، ١٤٠٤.
- ٣٧- مسند أحمد، ٥٠ مجلداً، طبعة بيروت، مؤسسة الرسالة.
- ٣٨- مسند الطيالسي، طبعة الهند، ١٣٢١.
- ٣٩- مصنف ابن أبي شيبة، ٨ مجلدات، طبعات شتى.
- ٤٠- مصنف عبدالرزاق الصنعاني، ١١ مجلداً، طبعة بيروت، ١٤٠٣.
- ٤١- معاني الآثار للطحاوي، طبعة بيروت، عام ١٤٠٧.
- ٤٢- معجم الصحابة للبغوي، طبعة الكويت.
- ٤٣- المعجم الكبير للطبراني، ٢٥ مجلداً، طبعة بيروت، تحقيق حمدي.
- ٤٤- مناقب أميرالمؤمنين محمد بن سليمان الكوفي قاضي صعدة، طبعة قم، مجلدان، الطبعة الثانية ١٤٢٣.
- ٤٥- مناقب أهل البيت لابن المغازلي بتحقيقي، طبعة قم، ١٤٢٧.



مجلة الزكي العلمية

AL-ZAKI - QUARTERLY AUTHORIZED JOURNAL